المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

حقيقة التسامح الديني في الفكر الغربي وموقف الإسلام منه

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة
بكلية الدعوة وأصول الدين

إعداد الطالب:
عبد الرحمن بن أحمد بن مسفر الغامدي
الرقم الجامعي: ٤٣٠٨٨٠٥٣

إشراف فضيلة الشيخ:
د/ أبو زيد بن محمد بن محمد مكي القبي
الأستاذ المشارك بقسم العقيدة

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

طباعة القطاني

ماجستير _ عبدالرحمن احمد الغامدي / دافع الرسالة .. الصورة البهابة) ٢٠٠٦ ١٤٣٦ ٧ ٢٠
Ali Fattani

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

بحثت هذه الرسالة عن التسامح الديني في الفكر الغربي. وموقف الإسلام منه . وتكونت من مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة، وهي كالتالي:

- التمهيد يتناول التسامح في الإسلام تعريفه وبيان أسسه ومنهجه مع المخالفين على مستوى الأفراد والدولة.

- الفصل الأول يتضمن حقيقة التسامح الديني في الفكر الغربي .

- الفصل الثاني يتضمن نشأته وأسباب نجاحه.

- الفصل الثالث يتضمن أسسه التي قام عليها.

- الفصل الرابع يتضمن واقعه في العالم الغربي.

- الفصل الخامس يتضمن انتقاله بمفهومه الغربي إلى العالم الإسلامي أسباب ذلك ومظاهره ومآلاته.

وقد توصل البحث إلى نتائج منها على سبيل المثال:

١ - التسامح الديني من المصطلحات المجملة، لكنه في الفكر الغربي يختلف عنه في الإسلام، فالمقصود منه في الفكر الغربي: هو التساهل مع الرأي المخالف سواء دينيا أو عقليا للوصول إلى الحقيقة الكاملة والتي لا يملكها دين أو فرد أو جماعة، من غير ممارسة للسلطة وإنما عن طريق إقناع العقل بها ؛ بينما المقصود منه في الإسلام: هو التعايش مع المخالف في المعتقد بدون إضرار بدين الإسلام أو المسلمين .

٢ - يعتمد التسامح الديني في الفكر الغربي على التفكير الفلسفي والأخذ بمبدأ نسبية الحقيقة وبمشروعية الخلاف، بينما في الإسلام على ألا إكراه في الدين وأن الحق واحد وعلى العدل والإحسان.

٣- واقع التسامح الديني في العالم الغربي يدعو إلى: حرية الاعتقاد، وتقديس العقل، وإحياء النزعة الإنسانية، وأخذه صفة قانونية يتطلب حماية من قبل المجتمع الدولي.

٤ - انتقال فكرة التسامح الديني بمفهومه الغربي إلى العالم الإسلامي بسبب: الضعف والانحطاط في الأمة الإسلامية وتأخرهم عن تقديم الاسلام ، والجهل بالكتاب والسنة ، والاستشراق. وكان من مظاهره: إشاعة النزعة الإنسانية،وإنتشار الفكر الفلسفي الغربي، والأخذ بنسبية الحقيقة، والقطيعة مع الماضي. وكانت من مآلاته: إبراز الاتجاه العقلاني والتخلي عن مذهب السلف، الانفتاح الفكري المطلق على الأمم الأخرى، الدعوة إلى التجديد بلا قيد ولا شرط، المجاهرة بالآراء التي تخالف أصول الدين وقطعياته، ونفي حاكمية الشريعة. ثم بيّنت الموقف من التسامح الديني بمفهومه الغربي المعاصر. والله الموفق.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

Summary

Praise be to Allah and peace be upon prophet Mohammed ad his followers.

This thesis searched religious tolerance in western thought. The thesis included introduction ,preamble, five chapters, and a conclusion as follows:

Preamble: tackles tolerance in Islam ; definition, its basics, style with contradictors at the level of individuals and country.

First Chapter: tackles reality of religious tolerance in western though ; method and

Second Chapter: discusses the emergence and success reasons.

Third Chapter: the basics on which it is built.

Fourth Chapter: tolerance reality in western world.

Fifth Chapter: tackles its transmission in its western concept to the Islamic world; reasons, features, and outcomes.

The researchers reached the following finding:

1. Religious tolerance is a gross idiom but it differs in western thought from Islam.

It means in western thought ht acceptance of opposite opinion whether religious or mental in order to reach total fact not owned by religion, individual, or a group without practicing authority but through conviction. It means in Islam dealing the contradictor easily provided that such dealing does not lead to harms.

2. Religious tolerance depends in western thought on philosophic thinking and considering the truth relativity and disagreement legality. In Islam, no compulsion in religion. Truth is one, justice and fairness.

3. The reality of religious tolerance in western world calls for: freedom of ideology, sanctification of work, retrieving human trait, and its legal features requires protection by the international community.

4. Transmission of religious tolerance in its western world due to: weakness and decline of Islamic nation, spread of philosophic sciences, ignorance with knowledge sources, and orientation. its features included: spread of humanitarian trait spread of western philosophic thought, spread of truth relativity, and disagreement of the past. Its outcomes included highlighting the rational trait and avoiding salaf method, intellectual open mindedness on other nations, call to renewal without condition, expressing the opining contradicting religion`s fundamentals and basics, denying sharia jury. After that, I explained the situation from religious tolerance in its current western concept .

ماجستير _ عبدالرحمن أحمد الغامدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الخاتمة

المقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعـــــد:

لقد ضرب الإسلام أروع الأمثلة في التسامح مع المخالفين من - اليهود والنصارى - ما لم يحدثوا في الدين شبهة أو شكا، فأرسى محمد ﷺ دعائم التسامح بين البشر، وأوحى الله إليه في القرآن أن لا إكراه في الدين، وبين حقوق غير المسلمين الذين لا يحاربون المسلمين، لذلك فالأسس التي وضعها الإسلام للتسامح الديني تعد صالحة للعمل بها في كل زمان ومكان، والتي من خلالها واجه الإسلام مفاهيم الفكر البشري، ورد كل القضايا إلى أصولها الأصلية التي جاء بها الأنبياء -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- للناس، بأن دين الله واحد وما وقع من خلاف إنما كان من تحريف البشر.

أما التسامح الديني في الغرب فكان من أسباب نشأته الصراع بين مفكري أوروبا والكنيسة على مدى سنوات طويلة، فوجد هذا التسامح الديني كحل لهذا الصراع، والذي من خلاله قام المفكرون باستخدامه لنشر أفكارهم وارآئهم الفلسفية التي تخالف آراء الكنيسة، لذلك فبداية الدعوة إليه في الغرب إنما كان بسبب ضلالات الكنيسة وانحرافها واضطهادها الديني للمخالفين في العقيدة سواء كانوا من أصحاب الديانات الأخرى، أو من أهل المذاهب النصرانية المخالفة، فظهرت دعوات مطالبة في حرية كل إنسان فيما يعتقده ويؤمن به، وبنزع القداسة عن رجال الدين وأنه من حق كل إنسان قراءة الكتاب المقدس وتفسيره له، أضف على ذلك الاكتشافات العلمية المخالفة لتعاليم الكنيسة، والتي من خلالها تبين بطلان كثير من معتقدات وأقوال

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الكنيسة، مما أفقدها الثقة لدى الناس، فظهرت الدعوة بعد ذلك بالتشكيك في أقوال الكنيسة خاصة مع ظهور ديكارت ومنهجه العقلي والدعوة إلى تطبيقه، ثم جاء بعده جون لوك مطالبا بإخضاع الوحي للعقل عند التعارض، ودعوتهم إلى تطبيق مبدأ التسامح الديني وإعطاء الحق لكل إنسان في أن يعتنق ما يشاء، ويكفر بما يشاء من الأديان والمذاهب، وبعده كثرت الدعوات بالأخذ بالمذاهب الفلسفية والعلمية المناهضة للكنيسة، والدعوة إلى التسامح الديني مقابل التعصب والاضطهاد الذي كان سائدا آنذاك.

تطور في العصر الحديث مفهوم التسامح الديني في الغرب متأثرا بالحداثة والفلسفات النقدية، على أساس أن فكرة التسامح الديني لا تؤمن بوجود حقيقة مطلقة، والتي أدت بهم إلى الدعوة إلى الحرية وحق الاختلاف، فأخذ بعد ذلك صفة قانونية مرتبطاً بحقوق الإنسان وبالديمقراطية.

ثم انتقلت فكرة التسامح الديني بمفهومها الغربي للعالم الإسلامي والتي تعد مخالفة لمفهوم التسامح الصحيح في الإسلام ، فتلقفها فئام من المسلمين، وأخذوا يدعون إليها في البلاد الإسلامية، بما فيها من إجمال، وبما فيها من باطل يناقض العقيدة الإسلامية، فكان لزاما على طلاب العلم لاسيما المختصين في العقيدة بيان هذا المصطلح وما فيه من إجمال، وما فيه من ضرر على الأمة الإسلامية إذا أخذ بمفهومه الغربي، فهو مصطلح مجمل يحتمل حقا وباطلا،

فيحتاج إلى إيضاح وتجلية ليعرف المسلمون حقيقته، فإذا أردنا دراسته بصورة صحيحة فإنه يتحتم معرفة البيئة الزمانية والمكانية التي ظهر فيها هذا المصطلح في الغرب وأسباب ظهوره وما حصل له من تطور وأهدافه، والموقف منه، لذلك اخترت هذا الموضوع لما له من أهمية تمس واقعنا المعاصر.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

۞ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- بيان حقيقة التخبط الذي عاشه الغرب - ولا يزال -، والمساهمة في كشف عواره أمام من يدعو إلى الانزلاق وراء الغرب منبهرا بما حققه من تقدم علمي.

٢- تأثر كثير من أبناء المسلمين بالفكر والثقافة الغربية عموما مع أنها مليئة بالانحرافات والتناقضات العقدية والعقلية.

٣- التسامح الديني من الألفاظ المجملة والتي تحمل معاني حقه، وأخرى باطلة، والذي يتحتم علينا عدم قبوله أو رده حتى معرفة المراد والمقصود منه.

٤- الأخطار التي جلبتها الدعوة إلى التسامح الديني بمفهومه الغربي على عقول فئام من أبناء الأمة الإسلامية.

٥- بيان منهج أهل السنة والجماعة وما يتميزون به من جمع الأمة على منهج رباني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

۞ الدراسات السابقة:

١- **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام** للشيخ محمد الغزالي

تكلم فيه عن التعصب المقيت عند النصارى، مقارنة بما عند المسلمين من تسامح، والكشف عن تعصب النصارى عبر التاريخ، وأنهم لم يعملوا بما ذكر في الأناجيل ـ المحرفة ـ، وناقش شبهات النصارى ومفترياتهم.

٢- **تسامح الإسلام وتعصب خصومه** للدكتور شوقي أبو خليل تكلم عن المستشرقين وشبهاتهم، والتسامح عند المسلمين والفرق بينهم وبين النصارى.

٣- **رسالة في التسامح لجون لوك**، ترجمة: الدكتور عبدالرحمن بدوي تكلم عن التعصب الذي كان منتشرا في أوروبا، وسيطرة رجال الكنيسة، وعن التسامح العقلي والذي من خلاله يحارب التعصب المنتشر في أوروبا، ويعد هذا المرجع من المراجع التي استفدت منها في هذه الرسالة.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

٤- **التسامح بين شرق وغرب (دراسات في التعايش والقبول)** لمجموعة من الباحثين، ترجمة: إبراهيم العويس

تكلم عن التسامح من الناحية الفلسفية وأنه صفة أخلاقية.

٥- **تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحديث. دراسة نقدية في ضوء الإسلام**. عبداللطيف بن إبراهيم الحسين

تكلم عن ضوابط وخصائص التسامح في الإسلام، وعن أسسه وأهدافه ومجالاته في الغرب، ولم يتطرق هذا المرجع للتسامح الديني من ناحية فكرية، وهو ما جرى بحثه في هذه الرسالة.

٦- **التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب**. صالح بن عبدالرحمن الحصين

تكلم عن التسامح في الإسلام وأن من ثماره الرحمة والعفو والصبر، وأنه من حسن الأخلاق، كما أن من ثماره التعايش مع المخالف، وتكلم عن منزلة التسامح كقيمة إنسانية، وعن تطبيقه عمليا في الثقافة الغربية.

٧- **نقد التسامح الليبرالي**. الدكتور محمد بن احمد مفتي

عرف التسامح وتكلم عن نشأته وعلاقته بالدين والدولة وبالنسبية وبالديمقراطية والتعددية - باختصار شديد - وأنه مبني على أسس معرفية وفلسفية غربية. ومن محاسن هذا الكتيّب: ما ذكره من سعي الغرب لإعطاء هذا التسامح صبغة عالمية، وفرضه على الأمم والشعوب بقيم الليبرالية والديمقراطية، وأنه قائم على المنفعة وهو ما يجعله مصلحة وليس قيمة عليا أو فضيلة، واستخدامه كأداة ضغط على المجتمعات العقدية بهدف تفكيك الالتزام العقدي فيها بإثارة الحاجة إلى التسامح مع الأقليات. ويعد هذا المرجع من المراجع التي استفدت منها في هذه الرسالة.

هذا البحث مكمل لما سبق، ويتميز بالتركيز على مفهوم هذا المصطلح كفكرة أكثر من الأشخاص القائلين به، والتسلسل في طرح هذه الفكرة وربط أولها بآخرها

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاندي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٧٠٠
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

أي بما آلت إليه سواء في العالم الغربي أو في العالم الإسلامي، وبطريقة مبسطة ليستفيد منه المتخصص وغير المتخصص. والفرق بينه وبين التسامح في الإسلام، وكيفية التعامل معه حيث إنه من الألفاظ المجملة التي لا تقبل حتى يستفسر عنها ويعرف مراد القائل بها.

۞ خطـــة البحـــث:

البحث يتكون من: مقدمة، تمهيد، خمسة فصول، خاتمة. وهي كالتالي:

١/ **المقدمة وتشتمل على:**

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- والدراسات السابقة.
- وخطة البحث.
- ومنهج البحث

٢/ **والتمهيد وفيه:** فكرة موجزة عن التسامح في الإسلام.

٣/ **أما الفصول فهي كالآتي:**

الفصل الأول: حقيقة التسامح الديني في الفكر الغربي.

الفصل الثاني: نشأة التسامح الديني في العالم الغربي وأسباب نجاحه.

الفصل الثالث: أسس التسامح الديني في العالم الغربي.

الفصل الرابع: واقع التسامح الديني في العالم الغربي.

الفصل الخامس: انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي.

٤/ **الخاتمة:** وتشتمل على أهم نتائج البحث.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

۞ منهج البحث، كالتالي:

- **المنهج التاريخي**: وذلك بتتبع الفكرة قبل ظهور هذا المصطلح وأسباب نشأتها.

- **المنهج الوصفي**: وذلك بوصف أفكار هذا المصطلح عند الغرب من خلال بعض مصادرهم ومراجعهم .

- **المنهج التحليلي**: وذلك بذكر نتائج هذا المصطلح بعد ذلك.

- **المنهج النقدي**: وذلك بعرضه ونقده في ضوء العقيدة الإسلامية ، وقد حرصت على عرض البحث في عبارة سهلة وواضحة ، ويمكن إجمال جوانب المنهج في النقاط التالية :

١ـ عزوت النصوص الواردة إلى مظانها ، فإن كانت آية كريمة فإلى مكانها من القرآن الكريم وفق الرسم العثماني ووضعتها بين قوسين كبيرين { }

وأذكر اسم السورة ورقم الآية ، وإن كانت أحاديث فإلى مصادرها من كتب الحديث ووضعتها بين قوسين " " وقد حرصت على الإقتصار على الأحاديث الصحيحة لا سيما البخاري ومسلم .

٢ـ توثيق النقول فإن كانت منقولة بنصها أضعها بين علامتي النقل " ". وإن كنت تصرفت في النص فأكتب ـ بعد ذكر الكتاب والصفحة بين قوسين ـ (بتصرف) . وإن كانت مجرد أفكار فأكتب عبارة (انظر) . وعند تكرار النقل من مرجع واحد ولم يفصل بين النقلين حاشية أخرى أوثق النص (المرجع السابق). وإذا وضعت بين الكلمات هذه النقاط الثلاث (...) فإن ذلك يعني أن هناك كلاما محذوفا تم الاستغناء عنه طلبا للاختصار ، أو لعدم الفائدة من ذكره.

٣ـ ترجمت للأعلام الغربيين وغير الغربيين الواردة ذكرهم في البحث .

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

شكر وتقدير

أحمد الله تعالى وأشكره على تيسيره وتوفيقه وعونه، وأسأله التوفيق والإخلاص في القول والعمل.

كما أتوجه بالشكر إلى قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى على إتاحة الفرصة لي لإعداد هذه الرسالة. وأخص بالشكر الجزيل - في هذا المقام - فضيلة المشرف على هذه الرسالة الشيخ الدكتور أبو زيد مكي حفظه الله، والذي كان لتوجيهاته الأثر الكبير في إنجاز هذه الرسالة. كما أتوجه بالشكر لمشايخنا الفضلاء المناقشين ، ثم الشكر موصول إلى أبوي اللذين غرسا فيّ حب العلم والتعلم .

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩ Ali Fattani

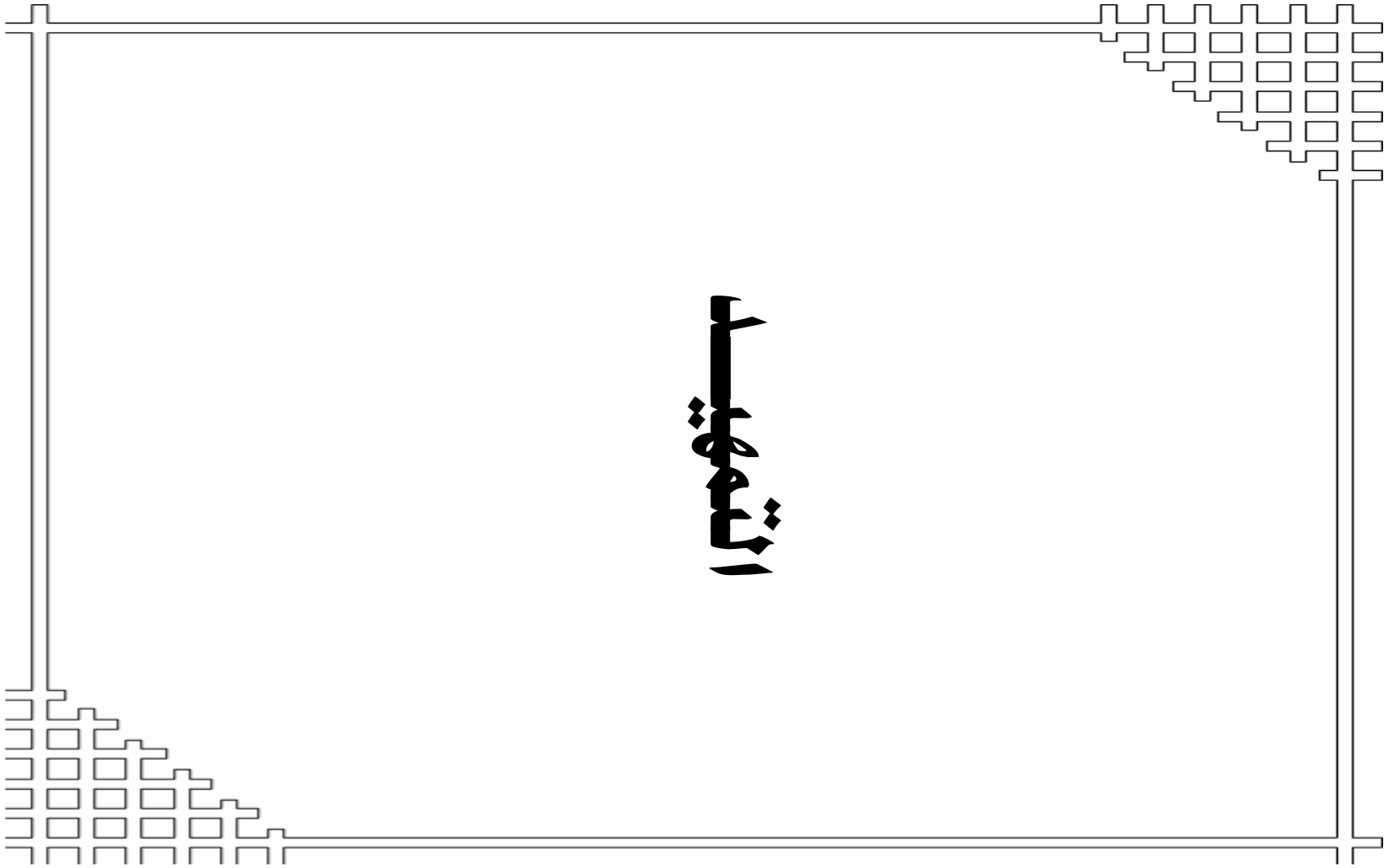
تبعية

التمهيـــد

التسامـح فـي الإســـلام

ويشمل الآتـي :

- **تعريف التسامح في الإسلام.**
- **أسس التسامح في الإسلام.**
- **أهداف التسامح في الإسلام.**

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

تعريف التسامح في الإسلام

مصطلح التسامح من المصطلحات الحديثة وبالرجوع إلى اشتقاقه اللغوي نجد لفظ السماحة التي قال فيها ابن فارس: (سمح، السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة. يقال سمح له بالشيء. ورجل سمح، أي جواد، وقوم سمحاء ومساميح)[١].

وتطلق السماحة ويراد بها معنيان:

الأول: بمعنى الجود والكرم يقال سمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء.

الثاني: بمعنى المساهلة، وتسامحوا تساهلوا[٢].

فأصل السماحة السهولة في المخالطة والمعاشرة، وهي لين في الطبع في مظان تكثر في أمثالها الشدة[٣].

وفي الاصطلاح: ذكر فيها تعريفان:

١- السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه، ومعنى كونها محمودة أنها لا تفضي إلى ضرر أو فساد[٤].

٢- التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة ـ بالتعايش في أمور الحياة ـ يكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها التى تتجلى في التيسير وعدم القهر، وسماحة المسلمين التي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٣/ ٩٩.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٢/ ٤٨٩.

(٣) انظر: أصول النظام الاجتماعي في الاسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص٣٥٣.

(٤) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ص٢٦٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الأخرى[1]. يكون ذلك وفق أسس شرعية ـ سيأتي ذكرها ـ .

نخرج من هذين التعريفين أن التسامح منه ما هو محمود وما هو مذموم ، فالتسامح المحمود : هو التعايش مع المخالف في المعتقد بدون إضرار بدين الإسلام أو المسلمين.

أما التسامح المذموم : فهو إقرار المخالف في المعتقد والسماح له بإظهار مخالفته ، والإضرار بالإسلام والمسلمين .

مما لا ريب فيه أن التسامح من أهم القضايا التي أهتم بها الإسلام، واحتل مساحة كبيرة في حياة الأمة الإسلامية، والله تعالى يعلم ما يدعيه أعداء الإسلام، زورا وبهتانا من أن الدين الإسلامي دين تعصب وإكراه واضطهاد، ولذا فهو يؤكد على إثبات التسامح والتراحم والبر والصلة بين بني البشر جميعا قبل بزوغ هذه الفرية[2].

---

(١) انظر: نظرة النعيم، مجموعة باحثين ٦/ ٢٢٨٧.

(٢) انظر: وسطية الإسلام في سماحة الدين وتسامحه، د.محمد الصالح، ص٢٩١.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩ Ali Fattani

أسس التسامح في الإسلام

لقد أسس الإسلام للتسامح أسسا راسخة، وعقد له مواثيق متينة، وفصّل تفصّيلا مبيَنا ؛ بين واجب المسلمين بعضهم مع بعض في تضامنهم وتوادهم من جهة ما يجمعهم من الجامعة الإسلامية، وبين حسن معاملتهم مع من تقتضي الأحوال مخالطتهم من أهل الملل الأخرى[1]. وهذه الأسس تتمثل في عدة عناصر أساسية:

الأساس الأول: أن الإسلام ـ الذي أتي به جميع الأنبياء عليهم السلام ـ وحده هو الدين الحق، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران:١٩]. فمع أنّ سائر الديانات ليست على حق وباطلة، يقف الإسلام منها موقف التسامح، فالمسلم حين يتعامل ويتعايش مع المخالف له في المعتقد لا يعني من هذا إقراراً بصحة معتقد المخالف وأنه على حق ، فالدين الحق الذي لايقبل الله غيره هو دين الإسلام [2].

الأساس الثاني: عدم إكراه غير المسلمين لاعتناق الإسلام. كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة:٢٥٥]. تكاد تجمع كتب التفسير والفقه على اعتبار آية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ تمثل قاعدة كبرى من قواعد الإسلام، وركناً عظيماً من أركان سماحته فهو لا يجيز إكراه أحد على الدخول فيه، ولا يسمح لأحد أن يكره أهله على الخروج منه، ومن أجل ضمان عدم الإكراه أوجب الإسلام على المسلمين التمكن من القوة للقيام في وجه من يحاول فتنتهم عن دينهم وأمر المسلمين أن يعتمدوا في دعوة خصومهم أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة لتبيين الرشد من الغي[3].

---

(١) انظر: أصول النظام الاجتماعي في الاسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص٣٥٧.

(٢) انظر: التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، سور رحمن هدايات، ص٦٥.

(٣) انظر:الحريات العامة في الدولة الإسلامية، راشد الغنوشي، ص٤٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الأساس الثالث: العدل والإحسان، فالمسلم مأمور من ربه أن يعدل مع الناس جميعا، ولا يجوز أن يحمله شنآن قوم -أي شدة بغضه لهم- أن يحيد عن منهج العدل[1]، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة:٨]. وقال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة:٨]، فالآية ترغّب بالبر والعدل مع الكافر غير الحربي، بدليل محبة الله للمقسطين في نهاية الآية.

فمعاملة أهل الكتاب بالعدل والإحسان هو من سماحة الإسلام، وليس في ذلك خلط بين هذه المعاملة وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين.

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء، واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين، الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته،... فهناك من يخلط بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه مكفولي الحقوق، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله... فالمسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب، ولكنه منهي عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم"[2].

الأساس الرابع: عدم أذية غير المسلمين بقول أو فعل، فمن المنهي عنه سب معتقداتهم أو الاستهزاء بما يدينون به درء للمفسدة وهي سب الله عزوجل، وتمكينهم من ممارسة دينهم وإعطائهم الحرية الكافية في ذلك مع مراعاة النظام والشعور العام[3].

---

(١) انظر: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، ص١٠٦.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/ ٩٠٩.

(٣) انظر: التعايش السلمي، ص٣٤٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

إن من سماحة الإسلام أن تركهم على ماهم عليه بلا تضييق عليهم، لكن لا يكون ذلك علنا أمام الملأ وفي الأماكن العامة، لأنهم في بلاد تحكم بالإسلام فهم تحت سلطانه.

الأساس الخامس: عدم السماح للباطل بالظهور، فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه، وأهل الإسلام يجب عليهم أن يظهروا الحق في بلادهم، ويجعلونه عزيزا غالبا، وأن لا يسمحوا للباطل بالظهور والاستعلان، فإن ذلك إعزازا له، وتوهينا للحق، وخذلانا للدين. وإن عدم السماح للباطل بالظهور يؤدي إلى ظهور الحق، وذلك أعظم دعوى له. وهذه سنة الله تعالى، فإن الحق إذا حضر زهق الباطل، وإذا غاب ظهر الباطل، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الاسراء:٨١].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: "دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد"(١).

فلم يسمح رسول الله ﷺ للباطل بالبقاء، بل أزال آثار الجاهلية، وأظهر شعائر الإسلام ودعوته.

فكان من أحكام الإسلام الثابتة عدم السماح للباطل بالظهور، سواء كانت شعائر كفر من قبل أهل الذمة، أو شعائر بدع، أو مذاهب منحرفة عن الإسلام، أو معاصي ومنكرات(٢).

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ٨/ ١٦ .

(٢) انظر: التعددية العقائدية وموقف الإسلام منها، يوسف القحطاني، ص٢٢٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الغامدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

أهداف التسامح المحمود في الإسلام

ذكرت فيما سبق الأسس التي يقوم عليها التسامح في الإسلام فهو ينطلق منها لغاية يسعى إليها. أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **الهدف الأول**: وحدانية الحق وأنه ثابت ومطلق، لا يتعدد ولا يتغير بتغير الناس وأحوالهم وزمانهم. كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٣].

فالإسلام جاء بالحق المبين، والنور المستبين، والعلم اليقين، ليس فيه شك وحيرة، ولا التباس ولا غموض[1]، قال تعالى: ﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١].

فالمسلم حينما يتسامح مع الآخر فهو واثق من دينه لا يخالجه أدنى شك من أنه على الحق المبين وهذه عقيدته، فلا تجده يقول بأن لديه نصف الحقيقة أو أن الحقيقة مشتركة بين البشر فهي نسبية. بل الحق لديه واحد ومطلق مصدره كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ.

وهذا بخلاف من لم يكن مصدر التلقي عنده كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فتجده متذبذب شاك، بل إنه لا يؤمن حتى يشك وهذا بسبب عدم إيمانه وصحة معتقده. فالتسامح عند الآخر وجد لعدم معرفته بالحقيقة ومن أين يتلقاها، فهو يبحث عنها عند غيره، بخلاف المسلم فتسامحه لمعرفته بتلك الحقيقة فهو حينما يدعو ذلك المخالف إنما هدفه من ذلك الوصول به إلى تلك الحقيقة.

- **الهدف الثاني**: كسب المخالف ودعوته بالكلمة الطيبة والمعاملة بالحسنى، فلقد بعثنا مبشرين ولم نبعث منفرين انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

---

(١) انظر: التعددية العقائدية، ص١٢١.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل:١٢٥].

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ... فالإسلام دين العدل والاعتدال، ودين السلم والمسالمة.."[(١)].

فالمخالف حينما يعيش في بيئة مسلمة بسلام ويرى حسن تعامل المسلمين معه، ودعوتهم له تكون بكل هدوء بلا تخويف ولا تهديد يسودها روح التعايش، تجعل من ذلك المخالف يتشوق لمعرفة محاسن هذا الدين على أقل تقدير.

- **الهدف الثالث**: وسطية هذه الأمة، فالناظر إلى الأمم الأخرى غير المسلمة خاصة اليهودية والنصرانية تعصبهم وعدم قبولهم للآخر إلا في نطاق ضيق ينطلق من مصلحتهم، فتسامحهم إن تسامحوا لغرض دنيوي والتاريخ شاهد على ذلك،بينما هذه الأمة قامت على التسامح والعدل منذ قيامها انطلاقا من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ...﴾ [البقرة:١٤٣].

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعا، فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم، وتبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد، وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها، وتقول: هذا حق منها وهذا باطل. لا التي تتلقى من الناس تصوراتها وقيمها وموازينها وهي شهيدة على الناس، وفي مقام العدل بينهم، وبينما هي تشهد على الناس هكذا، فإن الرسول هو الذي يشهد عليها، فيقرر موازينها وقيمها، ويحكم على أعمالها وتقاليدها، ويزن ما يصدر عنها، ويقول فيه الكلمة الأخيرة.. وبهذا تتحدد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها لتعرفها، وتشعر بضخامتها. ولتقدر دورها حق قدره، وتستعد له استعدادا لائقا"[(٢)].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/ ٢٢٠٢.

(٢) في ظلال القرآن الكريم، ١/ ١٣٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. المصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

فهذه الأمة وسط بين الأمم التي سبقتها والتي لم يعرف التسامح فيها إلا نتيجة وحلا للتعصب الأعمى الذي عاشته. أو بين تلك التي إلى الآن لا تعترف بشيء اسمه تسامح فهي لا تقبل أن يعيش بينها من يخالفها في معتقدها ودينها.

- **الهدف الرابع**: إحياء روح الحوار، وإقامة الحجة وإبلاغ دين الله، فالله ﷻ أرسل الرسل وأنزل الكتب حتى تقام الحجة على الناس. كما قال ﷻ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥].

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن مصائر البشرية كلها في الدنيا وفي الآخرة سواء، منوطة بالرسل وبأتباعهم من بعدهم. فعلى أساس تبليغهم هذا الأمر للبشر، تقوم سعادة هؤلاء البشر أو شقوتهم، ويترتب ثوابهم أو عقابهم في الدنيا والآخرة"(١).

فالمسلم حين يدلي بالنصيحة لذلك المخالف ويحاوره بالحجة وبالبرهان من غير أن يفرضها عليه، أو يكرهه على رأي، إنما يفعل ذلك سعيا لإصلاحه ورده إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي الإسلام، فإن استجاب وأسلم وصار من أهل الحق، وإلا فقد أقيمت الحجة على ذلك المخالف أعذارا وإنذارا، وهذا من التسامح الذي دعا إليه الإسلام.

- **الهدف الخامس**: التعايش بين الأديان السماوية من خلال إرساء الثقة والاحترام المتبادل قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:٦٤].

---

(١) في ظلال القرآن الكريم، ٢/ ٨٠٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الفصل الأول

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الفصل الأول

حقيقة التسامح الديني
في الفكر الغربي

وفيـــه مبحثـــــــان:

۞ المبحث الأول: المقصود بالتسامح الديني في الفكر الغربي.

۞ المبحث الثاني: منهج التسامح الديني في الفكر الغربي.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٢٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المبحث الأول
المقصود بالتسامح الديني في الفكر الغربي

التسامح الديني في الفكر الغربي ـ مصطلح مركب ـ نحتاج أولاً إلى معرفة مرادهم بالتسامح، ومرادهم بالدين.

- فنبدأ بتعريف التسامح في الفكر الغربي:

التسامح في الشيء هو التساهل فيه، وقد عرفه فولتير[1] وغيره من فلاسفة القرن الثامن عشر بأنه ما يتصف به الإنسان من ظرف، وأنس، وأدب، تمكنه من معايشة الناس رغم اختلاف آرائهم عن آرائه، كما أنه يعني الموافقة والقبول والعفو، ويعني أيضاً تخلي صاحب السلطة عن ممارسة سلطته أي يتنازل أمام الآخر، وذلك بعنوان التعبير عن التهذيب والرفعة، أو بعنوان المرونة التكتيكية لاحتواء خلاف[2].

وبالنظر للمعجم الفلسفي ذكر عدة معانٍ عن التسامح والتي منها:

– هو أن تترك لكل إنسان حرية التعبير عن آرائه وإن كانت مضادة لآرائك، فالتسامح هنا لا يوجب على المرء التخلي عن معتقداته، أو الامتناع عن إظهارها، أو الدفاع عنها، أو التعصب لها، بل يوجب عليه الامتناع عن نشر آرائه بالقوة والقسر والقدح والخداع.

– هو أن يحترم المرء آراء غيره، لاعتقاده أنها محاولة للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة، وهذا يعني أن الحقيقة أغنى من أن تنحل إلى عنصر واحد، وأن

---

(١) فولتير: كاتب وفيلسوف فرنسي ولد في عام (١٦٩٤-١٧٧٨) اسمه الأصلي فرانسوا ماري أروويه، وفولتير اسم له قلمي. عرف بنقده السافر ودعوته إلى الإصلاح، ودفاعه عن الحرية والمساواة و كرامة الإنسان. انظر معجم أعلام المورد، ص٣٣٣.

(٢) انظر: دراسات في التسامح، ناجي البكوش وآخرون، ص٨.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الوصول إلى معرفة عناصرها المختلفة يوجب الاعتراف لكل إنسان بحقه في إبداء رأيه، حتى يؤدي اطلاعنا على مختلف الآراء على معرفة الحقيقة الكلية، فليس تسامحنا في ترك الناس وما هم عليه من عاداتهم واعتقاداتهم وآرائهم منةً نجود بها عليهم، وإنما هو واجب أخلاقي ناشئ عن احترام الشخصية الإنسانية(١).

ومما ذكر في معنى التسامح أيضاً:

- أنه يعني قبول آراء الآخرين وسلوكهم على مبدأ الاختلاف، وهو يتعارض مع مفهوم التسلط والقهر والعنف، ويعد هذا المفهوم أحد أهم سمات المجتمع الديمقراطي(٢).

- كما أنه يعني احترام حرية التعبير، والانفتاح الفكري تجاه الذين يمارسون ديانات وعقائد دينية مختلفة عما نمارس(٣).

فهو - بزعمهم - أي عند المفكرين الغربيين ليس مجرد قيمة دينية أو أخلاقية، بل هو شيء عقلي واجتماعي، وإنساني يستوجب الاعتراف بالآخر بالنظر إلى كونه شريكاً في الإنسانية ومن ثم شريكاً في العقل، فإتاحة الفرصة له للمشاركة الفكرية ثراء للمعرفة التي لا يملك فرد، ولا تملك جماعة أو ثقافة إدعاء الاستئثار بها، وهو ما دعا إليه جون لوك(٤) بأن التسامح هو الحل العقلاني الوحيد للخلافات والصراعات، والحروب الدينية التي حصلت والتي ستحصل(٥).

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/ ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) انظر: مجلة التسامح، العدد (١١)، علي أسعد وطفة، ص٢١٤.

(٣) انظر: مجلة التسامح، العدد (٥)، د. عاطف علي، ص٣٠٠.

(٤) جون لوك: فيلسوف تجريبي إنجليزي (ولد سنة ١٦٣٢) درس الطب ومارس التجريب العلمي. وقد أسس لوك نادياً للمناقشات الفلسفية الدينية (توفي عام ١٧٠٤). انظر الموسوعة الفلسفية. عبد الرحمن بدوي، ص٣٧٣.

(٥) انظر: النخبة والحرية، د. جمال الدين دراويل، ص١٤٢.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

نخرج من هذه التعريفات بأن التسامح هو قبول آراء الآخرين وسلوكهم على مبدأ الاختلاف، وإن كانت مضادة لآرائك، وتخلي صاحب السُلطة عن استخدام سلطته لفرض رأي بالقوة، للوصول إلى معرفة الحقيقة في ظل مجتمع ديمقراطي.

من خلال هذه التعريفات نجد أن التسامح في الغرب أخذ تصورا وهو قبول الآخر ـ أيا كان ـ ومهما كان رأيه صوابا أو مخالفا للصواب وبلا ضوابط وصولا للحقيقة ـ المزعومة ـ التي لا يملكها فرد ولا دين بمفرده وإنما هي مشتركة بين الأديان والأفراد ، وهذا يدل على التخبط الذي عاشه الغرب فليس لديه قاعدة ينطلق منها في التسامح سوى ما يميله عليه العقل ويؤمن به من غير وحي يهتدي به فكانت النتيجة أن أصبح هذا التسامح أداة لمحاربة الأديان ونشر الإلحاد والدعوة للحرية المطلقة .

- وأما تعريف كلمة الدين في الفكر الغربي:

فلهم في تعريف الدين تعبيرات شتى، وهذه نماذج منها:

– الدين هو الإيمان بالقيم المطلقة والعمل بها، كالإيمان بالعلم أو الإيمان بالتقدم، أو الإيمان بالجمال، أو الإيمان بالإنسانية، ففضل المؤمن بهذه القيم كفضل المتعبد الذي يحب خالقه، ويعمل بما شرعه، لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بما يتصف به من تجرد، وحب وإخلاص، وإنكار للذات[1].

– الدين يتمحور حول الاهتمام بالأعلى[2].

– الدين نظام من العقائد والأفعال المتعلقة بأمور مقدسة، أي منفصلة عن عالم الناس ومفارقة، ولكنه في الوقت نفسه عقائد وممارسات، توحد جميع الذين ينتمون إليه في جماعة أخلاقية تسمى كنيسة[3].

– الدين هو عبارة عن عقائد وشعائر روحية بشكل ما، تعيش بالتجربة أكثر مما

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/ ٥٧٢.

(٢) انظر: التعددية الدينية في فلسفة جون هيك، د. وجيه قانصو، ص١٤٨.

(٣) انظر: علم الأديان، ميشال مسلان، ص٧٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

تعيش بالنصوص[1].

تكتشف من خلال هذه التعريفات وغيرها عن خلل كبير في التصور الغربي لماهية الدين ومفهومه ، فمنهم من يجعله مجرد قيمة لا فرق بينه وبين غيره من القيم التي يؤمنون بها، ومنهم من يقصره في مكان معين فقط كالكنيسة فلا علاقة له بالحياة العامة، ومنهم من يضعه تحت التجربة . بذلك نجد في كل تعريف عند هؤلاء الباحثين الغربيين حينما يضع تعريفا فإنما يسعى من خلاله لخدمة وجهة نظره فهي غير جامعة ولا مانعة وليس فيها وصفا دقيقا لتعريف الدين .

وأصح تعريف للدين هو أن يقال:

الدِّين: هو اعتقاد قداسة ذات، ومجموعة السُّلوك الذي يدل على الخضوع لتلك الذات ذُلاً وحُباً، رغبةً ورهبة.

فهذا التعريف فيه شمول للمعبود، سواءً كان المعبود حقاً، وهو الله ﷻ، أو معبوداً باطلاً وهو ما سوى الله ﷻ، كما يشمل العبادات التي يتعبد بها الناس ، كما يبرز التعريف حال العابد إذ لا بد أن يكون العابد متلبساً بالخضوع ذلاً وحباً للمعبود حال العبادة، إذ أن ذلك أهم معاني العبادة، ويبين هدف العابد من العبادة، وهو إما رغبة أو رهبة، أو رغبة ورهبة معاً ؛ لأن ذلك هو مطلب بني آدم من العبادة[2].

بعد أن عرفنا المراد بكل من التسامح والدين في الفكر الغربي . كل على حده . ، نأتي الآن للتعرف على مفهوم التسامح الديني ومدلوله في الفكر الغربي . كمصطلح مركب . ، فهو كالآتي:

الأول: المساواة بين الأديان ـ السماوية ـ ، فكلها على حق، وكلها حسنة.

الثاني: النسبية الدينية أو نسبية الأديان، فكل دين يكشف عن جانب من الحق،

---

(١) انظر: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ص٢٠٠.

(٢) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف، ص١٢.

ماجستير_ عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

ومن خلال هذه الأديان يظهر الحق بصورة كاملة[١].

ومعنى ذلك ـ بزعمهم ـ أنه لا يوجد دين يملك الحق المطلق، فالحق أو الحقيقة مقسمة بين الأديان فهي بذلك ضرورية بعضها يكمل البعض الآخر، وهذا غير صحيح فالدين الإسلام هو الدين الحق وهو ناسخ لما قبله من الأديان السماوية .

الثالث: أنه ليس من حق أحد أن يقتحم، باسم الدين، الحقوق المدنية والأمور الدنيوية، ومعنى ذلك أن التسامح الديني يستلزم ألا يكون للدولة دين، فالدين الحق لا تفرضه الدولة ولا علاقة لها به، وإنما يأتي عن طريق اقتناع العقل به[٢].

يقصد من هذا التعريف فصل الدين عن الدولة ، فلا علاقة لها به ، ولا تفرضه على الناس ، وليس من مسئوليات الحاكم تطبيق شرع الله الذي أتي به الأنبياء والرسل ، فالدين الحق ـ بزعمهم ـ هو ما أتى عن طريق اقتناع العقل به.

بذلك ما لبث التسامح الديني أن انقلب تدريجيا، إلى لامبالاة دينية، فلم يعد إلزاميا في المجتمع الغربي أن يكون المرء مسيحيا[٣].

- **يمكن من خلال ما سبق أن نعرف التسامح الديني في الفكر الغربي** بأنه التساهل مع الرأي المخالف سواء دينيا أو عقليا للوصول إلى الحقيقة الكاملة والتي لا يملكها دين أو فرد أو جماعة، من غير ممارسة للسلطة وإنما عن طريق إقناع العقل بها.

لقد أصبح التسامح الديني منذ القرن السابع عشر محل تنظير وتفكير من قبل رجالات الفكر خاصة منذ فصل الدولة عن الكنيسة، وشهد العالم الغربي منذ ثلاثة قرون وبصورة متدرجة تحرر الفكر تجاه الكنيسة وتجاه الدين، وتحرر الفكر تجاه أجهزة الحكم، وأصبح يدل على ما يمكن أن يمارسه الأفراد والجماعات سواء بسواء في ظل

---

(١) انظر: رسالة في التسامح، لجون لوك، ترجمة عبد الرحمن بدوي - ص٨.

(٢) انظر: التسامح، عصام عبدالله، ص١٩.

(٣) انظر: آلام العقل الغربي، ريتشارد تارناس، ص٣٧٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

مبدأ المساواة، وبعبارة أشمل أصبح التسامح يدل على طاقة المجتمع وقدرته على استيعاب المعارضين والمخالفين واحترامهم، وهكذا سنلاحظ التدرج في تطور مفهوم التسامح ليخرج من الفرد إلى المجتمع إلى الدولة وإلى المجموعة الدولية[1].

وبعرض ما تقدم عن مفهوم التسامح الديني في الفكر الغربي يتضح لك أيها القارئ أنه من المعاني المجردة التي لا ينتج عنها التزام أو مسئولية، وفيه إطلاق العنان لكل إنسان لإبداء رأيه أو ترك معتقده بلا ضوابط، فهو دعوة إلى عدم الاهتمام بالمعتقدات، لأنه ينطلق من عدم الإيمان بالحق والباطل، ومن

الاعتقاد بعدم وجود معيار لمعرفتها، فلا قيمة للعقيدة، والقيمة الحقيقية تكمن في كل إنسان في ميوله ورغباته، فالعقيدة مطلقا في الفكر الغربي محاربة تحت مظلة التعصب وعدم التسامح.

---

(١) انظر: دراسات في التسامح، ص٨.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المبحث الثاني
منهج التسامح الديني في الفكر الغربي

تعد الفلسفة الغربية المعاصرة من أهم مقومات التسامح الديني في الفكر الغربي، فاعتماد الشك في التفكير الفلسفي، والأخذ بمبدأ نسبية الحقيقة، والاعتراف بالاختلاف وبمشروعية الخلاف هو التسامح بعينه[1].

كما أن التسامح يوفر للفلاسفة المناخ المناسب لتلاقح الأفكار وتخصيبها وتطورها، ومن ثم يكون الإبداع والابتكار في الفكر[2].

لذلك فالتسامح الديني يقتضي توفر عدد من الفرضيات، منها:

أولاً: الاعتراف بفكرة الصواب والخطأ التي تبنى على قاعدة احتمال الخطأ والصواب للأطراف المختلفة، أي ما يسمى بنسبية المعرفة.

ثانيا: عدم امتلاك الحقيقة وترك المجال مفتوحاً للجدل والنقاش الجاد للوصول إليها أو عدم الوصول إليها.

ثالثاً: التأكيد على عدم العصمة، والذي يؤدي تبنيه إلى الاعتراف المتبادل بالخطأ وهو ما يسهم في الوصول إلى حل وسط يعزز من قيمة التسامح[3].

نخرج من هذا بالقول ان التسامح الديني في الفكر الغربي ينطلق من رؤى فلسفية، لذلك لابد أولاً من ذكر بعض خصائص الفلسفة، وما الفرق بينها وبين الدين، وما نظرتها للدين؟

---

(١) انظر: التسامح، عصام عبد الله، ص٣١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٢.

(٣) انظر: نقد التسامح الليبرالي، ص٣٦.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الفلسفة في الغرب كانت البديل والأداة التي يستخدمها دعاة التسامح الديني لمواجهة التعصب الديني الذي كان سائداً آنذاك ولمحاربة الدين الكنسي بصفة عامة، لذلك الفلسفة في الغرب تتصف بما يلي:

- تعتمد على الشك، فالفلسفة إنما هي ناقدة للأفكار والمعتقدات التي يسلم بها الناس، فكل الأفكار والمعارف والمعتقدات في الفلسفة لابد أن توضع موضع الشك وتنقد عن طريق العقل، فإما أن يقرها العقل أو يردها.
- تتسامح مع معتقدات الآخر، وتستقبلها بسعة صدر وسماحة فكر، كما أن الفلسفة لا تعرف الجمود والثبات على الرأي الواحد فالمرجعية في ذلك ما يمليه العقل.
- تتصف بالتعليق المؤقت للحكم، لأن الفيلسوف يظل في ريب بشأن كل فكرة لا يجد دليلاً كافياً على صحتها، ويؤثر أن يرجئ الحكم ويتوقف عن إصداره، ما دامت النتائج تفتقر إلى ما يبررها[1].

- وأما الفرق بين الدين والفلسفة في الغرب:

فعلماء الغرب يرون الفرق بين الدين والفلسفة من الوجوه الآتية:

- مشاكل الفلسفة يناط حلها بالأفذاذ من ذوي العقول الراجحة، بينما مسائل الدين – في زعمهم – تحلها الشعوب والجماهير.
- الدين يرثه الشعب عن أسلافه، والفلسفة يستمدها الفيلسوف من عقله ومن ملاحظاته الشخصية، ولو خالفت العقائد الموروثة.
- الفلسفة متجددة، والديانة تميل إلى الثبات وعدم التطور، لأن الجماعات لا تقبل أن تغير عقيدتها كل يوم، أو أن تعيد النظر فيها من جديد، ولا سيما إذا

---

(١) انظر: مدخل إلى الفلسفة، د. أحمد السيد رمضان، ص١٧، ١٨.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

كان كتاب العقيدة مفروضاً فيه كلام الرب المعبود.

- الديانة لها في المجتمع مكان الصدارة، لأن لها الأسبقية وتقادم العهد الذي مكن لها من الرسوخ في القلوب، ولأنها عقيدة الجمهور، وفي متناول عقليته.
- الديانة تعيش بسلطان ونفوذ كنفوذ الدولة، والفلسفة لا تعيش إلا في جو الحرية(١).

إن أوربا لم تعرف دين الله المنزل على حقيقته التي أنزل بها من عند الله، إنما الدين الذي عرفته هو دين وضعته المجامع الكنسية الأوروبية وفرضته فرضاً على الناس(٢).

لذلك نجد الاهتمام بالفلسفة في الغرب ليس إلا ردة فعل لما وجدوه من دين محرف ليس لهم أمامه إلا التسليم المطلق، حتى وإن خالف الفطرة والعقل السليم، أضف إلى ذلك ما وجدوه من اضطهاد وتنكيل من قبل الكنيسة عند مخالفتها في الرأي، لذلك وجدوا من الفلسفة بديلا لدينهم المحرف، فأخذهم بهذه الفلسفة ليس حبا بها بقدر ما بذلوه من سعي لإسقاط تسلط الكنيسة ورجالها ومحاربتها بأي وسيلة كانت فكانت الفلسفة هي البديل الوحيد أمامهم لتحقيق حريتهم الفكرية.

- **وأما نظرة الفلسفة للدين في الغرب**: فهناك عداء مستحكم وتاريخي بين الفلسفة والدين، والفلسفة الغالب عليها معارضتها للدين وعدم إضفاء أي قدسية على الدين، وتعاملها مع الدين كفكر مصدره الإنسان وليس مصدره قوة عليا هي المسئولة عن الدين، وإن كان الفلاسفة يشيرون إلى المسيحية فذلك على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر(٣).

---

(١) انظر: الدين، د محمد دراز، ص٦٥.

(٢) انظر: قضية التنوير في العالم الإسلامي، محمد قطب، ص٣٦.

(٣) انظر: درجات المعرفة بين الدين والفلسفة والعلم، د. محمد مصطفى بدوي، ص٢٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

فالفلسفة -بزعمهم- تدعو إلى فلسفة الدين، أو إقامة الدين على أسس وبراهين عقلية، إما للدفاع عن الدين وتبرير عقائده، أو لنقده وإن كان النقد في هذه الحالة، ما هو إلا محاولة لرفض تفسير الدين بمفهوم تقليدي معين، ومحاولة إحيائه من منظور جديد، يناسب ظروف وعلوم العصر الذي يتم النقد فيه(١).

كما أن للفلسفة -عندهم- مذاهب بمعنى طرق سير نحو الحقيقة، وليس لها مذاهب بمعنى عقائد، ففي اللحظة التي يصبح فيها المذهب الفلسفي عقيدة، تصير هذه الفلسفة متعصبة تحكمها العقيدة(٢).

لقد أخذت التصورات الفلسفية في الغرب تمضي حتى استقرت في مستنقعات المادية الآسنة والإلحاد، فقد قام علماء الفلسفة والعلوم الطبيعية ينظرون إلى ما في الكون نظراً مؤسساً على أنه لا خالق ولا مدبر ولا آمر، وليس هناك قوة وراء الطبيعة، والمادة تتصرف في هذا العالم وتحكم عليه وتدبر شؤونه ! وسموا كل فكر يعتقد بوجود إله ويؤمن به -طريقًا قديمًا- لا يقوم على العلم والحكمة، واستهزءوا به واتخذوه سخرياً، وأبوا الإيمان بكل ما لا يأتي تحت الحس والاختبار، وأصبح الإيمان بالله وبما وراء الطبيعة من قبيل المفروضات التي لا يؤيدها العقل ولا يشهد بها العلم، بحكم الطبيعة وبطريق اللزوم، بل أصبح من الأمور المقررة في يقين المفكر الغربي أن الدين لا يمكنه أن يوجه أو يدير أو يقود الأنموذج العلمي الغربي، ولا يمكن إلا للصيغ المنهجية والرياضية القائمة على المنطق البحت أن تكون بدهيات ذلك الأنموذج المحدود بقوى العقل البشري والآلات البشرية في فهم التجارب الإنسانية المعقدة واللانهائية عبر الزمان والمكان، وعلى الرغم من أنه لم يكن لدى الشعوب قط أغلى من عقيدتها وقيمها ومبادئها، بيد أن فكر النهضة العلمية قد أحدث تغييراً هائلاً في مناهج التفكير الفلسفية والبحث العلمي التي لم تكن متلائمة بحال مع الدين، فأخذ الوازع

---

(١) انظر: فلسفة الدين عند جوزايا رويس، د. أحمد الأنصاري ص٢، " بتصرف".

(٢) انظر: الدعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، د. هاني يحي نصري، ص٢٤٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الديني يتلاشى شيئاً فشيئاً حتى لا تكاد ترى له أثرا[1].

إذن الفلسفة الغربية في مجموعها هي محاولة لتفسير العالم والحياة والمجتمع عن طريق العقل مع التجاوز التام عن منهج الدين، وإنكار العالم الآخر، وكل ما يتصل بما وراء الطبيعة، أو ما وراء المادة، فالفكر الغربي قد تجاوز النظرة الدينية على أثر خلافات واسعة كبيرة، وقد مرت هذه الخلافات بمراحل متعددة: منها مرحلة المثالية الفلسفية، ثم مرحلة المادية الفلسفية، وقد انتقلت الفلسفة الغربية بين عديد من النزعات العقلية والتجريبية والوضعية، وكانت في أول أمرها تجمع بين وثنيات اليونان، وعقائد الرومان، ثم تأرجحت بين قيم المسيحية وقيم المادية، وجرت في مصارعة هائلة بين قيم الروح والضمير والأخلاق من ناحية، وبين المادية والإلحاد والإباحية من ناحية أخرى، فكان الانحراف إلى المادية الغالية والتحرر والإباحية نتيجة لانحراف سابق وصل إلى أقصى مداه في الزهادة والرهبانية، واعتزال الدنيا وإنكار متاعها، فليست الفلسفة الغربية في مرحلتها المادية القائمة إلا نتيجة من نتائج الصراع الهائل بين المادة والروح، والعقل والقلب، والدين والمادية، فالفلسفة المادية تعتمد على أساس واضح هو معارضة الدين والأخلاق، ونقد المسيحية، واتهام الدين بأنه مخدر، ولذلك فقد أنكرت هذه الفلسفة الغيب والروح، وهاجمت مختلف مفاهيمه، وعارضتها معارضة تامة، فانحرف الفكر الغربي إلى جانب الفلسفة المادية على أثر انتصارات العلم المتوالية التي بلغت إلى حد إنكار ما سوى المحسوس، وقد ظل الخلاف بين الدين والفلسفة يتسع وبعمق حتى وصل إلى حملة كاملة على كل مقررات الدين وكتبه، وكانت الكنيسة هي الهدف الأكبر لهذه الحملة، غير أن الاتهام الذي وجهته الفلسفة للدين في الغرب لا يمكن أن ينسحب على الدين كصيغة عامة، وإنما هو متصل بالمفاهيم الدينية التي عرفتها أوروبا[2].

---

(١) انظر: حوار الحضارات، عطية فتحي الويشي، ص١٩٣.

(٢) انظر: سقوط العلمانية، أنور الجندي، ص٦٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩ Ali Fattani

نعود فنقول: التسامح الديني في الغرب إنما هو ردة فعل - كما سيأتي - على التعصب الأعمى الصادر من رجال الكنسية لدينهم المحرف، فكانت الفلسفة هي البديل لمواجهة ذلك التعصب، وحلا للخلافات والصراعات الدينية في أوروبا، وبذلك فهو يعتمد على الفلسفة وليس على الدين، فمنهجه فلسفي وليس ديني، فسمي بالتسامح الديني ومرادهم به محاربة الدين من خلال الفلسفة، وهذا تناقض واضح بين هذا المسمى - التسامح الديني - وبين منهجه، حيث إن الدين قائم على الإيمان والتسليم، والفلسفة بخلاف ذلك.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩ Ali Fattani

الفصل الثاني

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩ Ali Fattani

الفصل الثاني

نشأة التسامح الديني في العالم الغربي وأسباب نجاحه

وفيـــه مبحثـــــان:

۞ المبحث الأول: نشأة التسامح الديني في العالم الغربي.

۞ المبحث الثاني: أسباب نجاح التسامح الديني في العالم الغربي.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المبحث الأول
نشأة التسامح الديني في العالم الغربي

التسامح الديني لا يمكن فهمه جيداً إلا إذا وضعناه ضمن سياقه التاريخي، فالأفكار لا تنشأ في الفراغ، ولا تنتشر إلا إذا كانت تلبي حاجة تاريخية معينة(١).

لقد ظهر ـ التسامح الديني ـ أصلاً لحل مشكلة قائمة هي مشكلة التعايش بين مذهبين أساسين للمسيحية الأوربية، المذهب الكاثوليكي والمذهب البروتستانتي(٢)، حيث كانت أوروبا تدين بدين محرّف ورّث حالة من التعصب والطغيان والتعذيب والاضطهاد للمخالف لدينهم المحرف، فكان لهذا الانحراف الديني وما ورّثه دور رئيسي في وجود ونشأة فكرة التسامح الديني، لذلك لابد من معرفة حال المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى وكذلك في عصر النهضة وخاصة في الجانب الديني والجانب العلمي.

---

(١) انظر: التسامح، ص٣٠.

(٢) الطوائف المسيحية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أولها/ الكاثوليك. وكنسيتهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية أي العامة، لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها، ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم، وهي تابعة للنظام البابوي. الثانية/ الأرثوذكس: وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية، أكثر اتباعها من البلاد الشرقية كروسيا واليونان والثالثة/ البروتستانت: تسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية، وأتباعها يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم، ولا يخضعون لفهم سواهم له، فهم يعارضون الكنائس الأخرى الذي يعتبر فهم الإنجيل مقتصراً على رجال الكنيسة. انظر المسيحية، د. أحمد شلبي، ص٢٤٩ وما بعدها.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٧ ـ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

أوروبا في العصور الوسطى[1]:

كانت الكنيسة وحدها هي ملاذ الثقافة والتعليم، ولذلك اصطبغت الثقافة في العصور الوسطى بالصبغة الدينية، فقد كان العلماء في تلك العصور هم أنفسهم رجال الدين، وما يقوله رجال الدين حينئذ يتقبله الناس وما يرفضونه يرفضه الجميع، وكل تعاليمهم مسلم بها لا تقبل النقض ولا تحتمل الجدل، وكانت اللغة اللاتينية هي اللغة الأساسية التي يجب على كل فرد أن يتعلمها ويتقنها، أما اللغات القومية فكانت لغة التخاطب المحلي، ومن أراد المعرفة فلا سبيل إليها إلا عن طريق اللغة اللاتينية، التي كانت إذ ذاك لغة الجامعات يتفاهم بها الطلبة مع أساتذتهم، لذلك نصت لوائح الجامعات الأوربية في العصور الوسطى على عدم إجازة من يثبت أن لغته اللاتينية غير سليمة[2].

لقد كانت الحياة العلمية في العصور الوسطى مقيدة بقيود الكنيسة، ولذلك كانت الكشوفات العلمية نادرة ولم يستطع المشتغلون بالعلم أن يفكروا بطريقة فردية، بل كانوا يعتقدون فيما قاله أسلافهم واضعين نصب أعينهم تطابق العلم بما ترضى عنه الكنيسة، بينما كان بعض الباباوات يحاربون أي دراسة حرة إذا لم تتمشَ مع الدراسات الدينية[3].

فتهيأ للكنيسة في العصور الوسطى سلطان واسع النطاق ممدود الرحاب،

---

(١) تبدأ العصور الوسطى: بسقوط الدولة الرومانية الغربية سنة ٤٧٦م وتستمر نحو عشرة قرون يسمى نصفها الأول بعصر الآباء ونصها الثاني بالعصر المدرسي، ثم يبدأ عصر النهضة في القرن الرابع عشر أو الخامس عشر وينتهي بنهاية القرن السادس عشر، وتبدأ العصور الحديثة، بالقرن السابع عشر، ولكل عصر خصائص تميزه عن العصر الذي يسبقه والعصر الذي يلحق به. انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، د. أحمد عجيبة ص٧٠.

(٢) انظر: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، د. عبد الحميد البطريق، ص١٤.

(٣) انظر: موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة والحديثة، محمود شاكر، ٢/ ٥٠٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

روحياً بحكم وظيفتها، وسياسياً بسبب ضعف الملوك والأباطرة، فسيطرت في التعليم في المدارس، واحتكرت لنفسها تأويل الكتاب المقدس، وأدانت كل من جاهر بحقيقة لم تقرها الكنيسة من قبل، وسلم بسياستها في اضطهاد مخالفيها الملوك والأباطرة، ومن لم يذعن لها تحيق به اللعنة، وكانت الهرطقة أعظم خطيئة عقابها نار جهنم، إلى جانب ما تنزل به السلطات الدينية من عذاب[1].

والمقصود بالهرطقة هنا: أي انحراف، ولو بسيط، عن العقائد المسيحية الرسمية، فأصبحت محاكم التفتيش السيئة الذكر والتي أنشأتها الكنيسة يُضرب بها المثل على ذروة التعصب وعدم التسامح، وكان هدفها محاربة الهرطقة في كل أنحاء العالم المسيحي، وقد كلف بها رجال الدين في مختلف المحافظات والأمصار، فكل واحد منهم كان مسئولاً عن ملاحقة المشبوهين، وكانت الناس تساق سوقاً إلى محكمة التفتيش عن طريق الشبهة فقط، أو عن طريق وشاية أحد الجيران، كانوا يقدمون المشبوه للاستجواب حتى يعترف بذنبه، فإذا لم يعترف انتقلوا إلى مرحلة أعلى فهددوه بالتعذيب وعندئذ كان الكثيرون ينهارون ويعترفون بذنوبهم ويطلبون التوبة، وأحياناً كانت تعطى لهم وينالوا البراءة، ولكن إذا شكوا في أن توبتهم ليست صادقة عرضوهم للتعذيب الجسدي حتى ينهاروا كلياً، وإذا أصر المذنب على أفكاره ورفض التراجع عنها فإنهم يشعلون الخشب والنار ويرمونه في المحرقة، وقد قتل خلق كثر بهذه الطريقة الوحشية التي أصبحت علامة دالة على العصور الوسطى[2].

الاضطهاد في أوربا كان قائماً على أساس الكتاب المقدس، مستندين فيه – أي رجال الكنيسة – إلى كلمات تنسب إلى المسيح عليه السلام مخاطباً بها حواريه قائلاً فيها: أجبروهم على اعتناق دينكم، فكان كل من خالف تعاليم الكنيسة اعتبر ملحداً

---

(١) انظر: قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، د. توفيق الطويل، ص١٤، ١٥.

(٢) انظر: مدخل إلى التنوير الأوربي، هاشم صالح ص١٥٥، ١٥٦.

ماجستير_ عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

يستحق النفي والجلد وفرض الغرامات[١]. وبمثل هذا العذاب الجسماني، عوقب الذين زاولوا التفكير الحُر في البحث عن الحقيقة، لقد لبثت هذه المحاكم قائمة في العالم الكاثوليكي حتى القرن الثامن عشر[٢].

وأما عن دور الفلسفة في العصور الوسطى، فقد لبثت الفلسفة في مرحلتها الأولى اليونانية نحواً من ألف سنة، تبدأ بطاليس سنة ٦٤٠ق.م، وتنتهي بنهاية القرن الخامس بعد ميلاد المسيح، وفي نهاية هذه المرحلة كان صوت المسيحية قد دوى في أرجاء أوروبا، فبدأ الفكر الإنساني - مصطبغا بذلك الدين المسيحي الجديد - مرحلة جديدةً، امتد نحواً من ألف سنة أخرى، كانت مهمة الفكر الإنساني ومن خلال الفلسفة أن يؤيد بالدليل العقلي ما سلمت به النفوس من إيمان تسليماً لا يقبل ريبة ولا شكاً، وهكذا أصبحت الفلسفة تابعة للعقيدة، وأصبح العقل عوناً لها، مما جعل للكنيسة في تلك العصور مكانتها وقوتها، وقد كانت الكنيسة لا تعرض من الفلسفة إلا ما كان متفقاً مع تعاليم النصرانية، وبذلك ظلت الفلسفة الغربية خادمة للدين جملة قرون، وكان غرضها الأول تأييد العقائد الدينية وتحديدها وتنظيمها[٣].

لقد استخدمت الفلسفة بالفعل في العصور الوسطى كأداة للتوفيق بين العقل والنقل أو بين الحكمة والشريعة، فالقديس أنسلم[٤] مثلاً يرى أن الإيمان ضروري للعقل وشرطا لصحة التفكير، ولما كانت المسيحية قد تطلعت إلى بسط نفوذها على الحياة الإنسانية بأسرها، كان لابد أن تشبع حاجات العقل، وما كان ليتحقق لها

---

(١) انظر: قصة الاضطهاد الديني، ص٧٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٨٤.

(٣) انظر: قصة الفلسفة الحديثة، زكي نجيب محمود، صالتمهيد.

(٤) القديس أنسلم: ولد في إيطاليا (١٠٣٣-١١٠٩) من أبرز فلاسفة العصور الوسطى الأوروبية. وكان من رؤساء الأساقفة في انجلترا. عاش في فترة حافلة بالصراع بين السلطة الدينية والسلطة المدنية - انظر الموسوعة الفلسفية، عبدالرحمن بدوي ١/ ٢٣٢.

ماجستير_ عبدالرحمن أحمد القاسمي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

ذلك إلا عن طريق الفلسفة اليونانية، فاهتم فلاسفة العصور الوسطى بتفسير الكتب المقدسة، وجعلوا هدفهم الأول التفقه والتبحر في أمور الدين والعقيدة، وكان الشعار الذي سادت عليه الفلسفة في ذلك الوقت، هي أن تكون في خدمة الدين، وتأثر هؤلاء الفلاسفة بأفلاطون[١] وأرسطو[٢]، وكانت فكرة الخير الأسمى[٣] عند أفلاطون، والمحرك الأول[٤] عند أرسطو من الأفكار التي ظلت راسخة في أذهانهم، ومن أشهر الأفلاطونيين القديس أوغسطين[٥]، كما يعتبر القديس توما الأكويني[٦] من أشهر الأرسطيين في ذلك العصر[٧].

---

(١) أفلاطون: ولد (٤٢٨-٣٤٧ ق. م) فيلسوف يوناني. يعد هو وسقراط وأرسطو واضعي الأسس الفلسفية للثقافة الغربية. معظم مؤلفاته محاورات. انظر معجم أعلام المورد ص٦٠.

(٢) أرسطو: أرسطو طاليس (٣٨٤-٣٢٢ق م) فيلسوف يوناني. ويعتبر من تلامذة أفلاطون. ومن أكبر الفلاسفة وكان له الأثر على جميع من جاء بعده من الفلاسفة حتى العصر الحديث. انظر معجم أعلام المورد ص٥٣.

(٣) الخير الأسمى: هو السعادة عند سقراط وأفلاطون، لأن الخير هو ما يحقق النفع للإنسان، والغاية من كل عمل أخلاقي تحقيق السعادة ومن هنا فالغاية والباعث عند سقراط شيء واحد، كذلك الحال بالنسبة إلى أفلاطون. انظر الموسوعة الفلسفية ١/ ١٨٠.

(٤) المحرك الأول: كل ما لا يتحرك بنفسه فهو محتاج إلى مبدأ يحركه، ويسمى هذا المبدأ بالمحرك، أو العلة المحركة. والمحرك الأول في فلسفة أرسطو هو الله، وهو يحرك العالم، ولا يتحرك معه، وهو فعل محض لا يعتريه التغير. انظر المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، ٢/ ٣٥٦.

(٥) القديس أوغسطين: (٣٥٤-٤٣٠م) لاهوتي وفيلسوف كاثوليكي. يعتبر كبير مفكري النصرانية في عهودها الأولى. اعتنق النصرانية عام ٣٨٦م ودافع عن الكنيسة دفاعاً قوياً. حاول التوفيق بين الفكر الأفلاطوني وبين العقيدة النصرانية. انظر معجم اعلام المورد، ص٧٦.

(٦) الأكويني: القديس توما (١٢٢٥-١٢٧٤) راهب وفيلسوف ولاهوتي إيطالي. وضع مذهباً فلسفياً يعرف بـ " التومائية "، وقد حاول فيه التوفيق بين الفلسفة اليونانية وتعاليم آباء الكنيسة الأولين. انظر معجم أعلام المورد ص٦١.

(٧) انظر: ما هي الفلسفة، د. حسين علي، ص٨٨، ٨٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

لا شك أن إعاقة الكنيسة للفكر في العصور الوسطى كان سبباً في أن حل الظلام في أوروبا، وساد الجهل، وأصيب العقل الأوربي بنوع من الفتور والخمول والكسل، مما كان له أثره في موقف العقل من الكنيسة وتعاليمها فيما بعد، وفي تلك الفترة الأولى من العصور الوسطى لم يكن هناك عداء أو نزاع بين الدين والعقل حيث مسالمة العقل للكنيسة، وانسياقه في ركابها والتبشير بتعاليمها دون نقد أو مناقشة خوفاً من سلطانها، واتقاءً لشرورها، وحرصاً من الأفراد على حياتهم من التنكيل والاضطهاد والتعذيب[1].

إن تعصب الكنيسة ضد العلم، وإنكارها للنظريات العلمية بدعوى مناقضتها للكتب المقدسة - عندهم - قد يؤخذ دليلاً على عدم صحة هذه الكتب وتلك العقائد المسيحية خاصة وأن الكنيسة - فيما بعد - لم تستطيع أن تقف أمام انتصار تلك النظريات التي أقرت ببطلانها ومناقضتها للكتب المقدسة وللمعتقدات المسيحية في وقت من الأوقات[2].

أوروبا في عصر النهضة:

بدأت مظاهر عصر النهضة في الظهور والسيادة بعد أن أصاب الاتجاهات الفلسفية التي ظهرت في العصور الوسطى الاضمحلال والتدهور، فسادت مظاهر النهضة في إيطاليا أولاً ثم تبعها الدول الأوروبية الأخرى، وبدأت الثورات تنشب ضد الدين النصراني في أوروبا من جراء موقف رجال الكنيسة المنافية للدين والأخلاق بصفة عامة فبدأت تظهر على السطح مظاهر الإصلاح الديني على أيدي رجال أرادوا تنقية الدين مما لحقه من شوائب الكنيسة، خاصة مارتن لوثر وجون كالفن مما أدى إلى ظهور عقيدة جديدة هي البروتستانتية، وبدأت المناهج العلمية

---

(١) انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، د. أحمد عجيبة، ص٢٧.

(٢) انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، د. أحمد عجيبة، ص٩٦.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٧ ١٤٣٦/٦/٢٩ Ali Fattani

تسود خاصة وأنها السبيل إلى التقدم المادي الذي كانت أوروبا في حاجة إليه، وشجعهم على الاستمرار في هذا السبيل ما وجدوه بين أيديهم من اختراعات مثل البوصلة والبارود والطباعة والعدسات وغيرها من مظاهر التقدم العلمي والعملي التي لم تعد تستند إلى الأفكار القديمة، بل أصبحت تنهض على أسس أفكار جديدة يدعمها منهج علمي جديد(١).

لقد ظهرت هذه النهضة الأوروبية أول الأمر في إيطاليا منذ أوائل القرن الرابع عشر تقريباً، واستمرت حوالي قرنين من الزمان، وكان من أهم خصائصها التحرر من سلطان الكنيسة ورجال الدين، والتمرد على قواعد الأخلاق المتفق عليها، ورفض الفلسفة المدرسية التي جاء بها العصر الوسيط، ونلاحظ أن سلطان الكاثوليكية أو سلطان البابوات قبل عصر النهضة كان سلطاناً طاغياً، وكان يوجد نوعان من السلطة آنذاك: السلطة المدنية وتتمثل في الحكومة القائمة، والسلطة الدينية وتتمثل في البابا وقساوسته والإدارات التابعة لهما، وكان البابا يتدخل حتى في نشر الكتب الفلسفية والعلمية التي تدرس في الجامعات أو تلك التي تنشر خارج الجامعة، فقد كان يسمح

مثلاً بنشر كتب أوغسطين وأنسلم وتوما الأكويني، ويمنع نشر أو تدريس أجزاء من كتب أفلاطون أو أرسطو إلا ما كان متفقاً مع عقائد الكنيسة، وكان البابا يتدخل في شئون الملوك ورؤساء الحكومات حتى إن رضى الله كان يقاس بمدى استمرار البابا في الحكم(٢).

لقد كان من أبرز، وربما من أول مظاهر عصر النهضة، محاولة العودة إلى التراث الأوروبي القديم من يوناني وروماني لدراسته والتعرف على هذا التراث القديم وما يحويه، وذلك أنه طيلة العصور الوسطى كان رجال الكنيسة يجيدون اليونانية

---

(١) انظر: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، د. إبراهيم مصطفى إبراهيم، ص٥٦.

(٢) انظر: الفلسفة الحديثة، د. أمل مبروك، ص٢١.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

واللاتينية ولا يأخذون من التراث اليوناني واللاتيني إلا ما وافق العقائد النصرانية، فركز الباحثون في مطلع عصر النهضة جهودهم في جمع المخطوطات اليونانية واللاتينية أينما وجدوها، في الأديرة والكنائس، وكذلك في المكتبات الخاصة والعامة[1]. فتغيرت نظرة الناس إلى نتاج الرومان القدماء، وصار الدارسون ينظرون إليه على أنه تراث فكري قائم بذاته تجب دراسته حيث الشكل والأسلوب والبلاغة في فن التصوير والإبداع في التعبير ليمكن فعلاً تذوقه وفهمه، وكذلك امتد الاهتمام بهذا التراث من الشكل إلى المحتوى وصار الناس يحاولون التعمق في دراسته للتعرف إلى ما عند الأقدمين من أفكار ومعان إنسانية بغض النظر عما إذا كانت هذه الأفكار منسجمة مع المعتقدات الدينية لعصر النهضة أم لا[2].

فحدث في عصر النهضة ثورة فلسفية أدت إلى استقلال الفلسفة عن اللاهوت، خصوصاً وأن مفكري هذا العصر قد أعلنوا بمذاهبه الجديدة ثورتهم على الماضي، وانفصالهم عن أرسطو، وتمردهم على الفلسفة المدرسية التقليدية[3]. وهذا التغيير الجذري لما هو سائد في العصور الوسطى تلك التي وصفت بأنها عصور الظلام والاستبداد، لم يأت هذا التغيير دفعة واحدة ولا بصورة مباشرة وإنما مر بمراحل متعددة، وظهر في صور مختلفة، فمرة تنقد الكنيسة، ومن خلاله تظهر المساوئ والعيوب ويبرز فساد رجال الدين وانحطاط المستوى الأخلاقي لدى القائمين على الكنسية، مما يترتب عليه عدم الاقتناع بريادة رجال الكنيسة وكونهم أصحاب المقام الأول في التوجيه والقيادة والفكر، ومرة أخرى يعظم فيها شأن العلم وتنشأ الجمعيات العملية التي تتبنى وجهات النظر العلمية، وتشجع البحث العلمي القائم

---

(١) انظر: أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة، د. عبد المجيد نعنعي، ص٢٩.

(٢) انظر: أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة، د. عبد المجيد نعنعي، ص٣١.

(٣) انظر: ما هي الفلسفة، د. حسين علي ص٩٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

على المناهج العلمية بعيداً عن أعين وفكر رجال الدين المسيحي[1].

يضاف إلى هذا أيضاً طبيعة المعتقدات المسيحية ومخالفتها أو مناقضتها للعقل البشري كعقيدة التثليث، وطبيعة المسيح وغيرها[2].

وقد تولد عن هذا التغيير نزاع بين العقل والدين، ولعل من أهم الأسباب في ذلك مايلي:

١- طبيعة الدين المسيحي واحتوائه على مسائل عقائدية غامضة، وأصول إيمانية معقدة تثير التناقض، وتقف عقبة أمام التفكير العقلي، كما أنها لا توفر للعقل حرية النظر والتفكير فيها لمناقضتها لقواعده، وهذا يرجع إلى التحريف والتغيير والتبديل الذي لحق بالدين الذي جاء به المسيح عيسى عليه السلام وذلك بعد رفعه، فتكونت بعد ذلك من عدة أديان وفلسفات وثنية مختلفة، فأصبحت المسيحية نتاج مركب من أديان وفلسفات مختلفة.

٢- هيمنة رجال الدين المسيحي على مقاليد الأمور وبسط نفوذهم على العلم والعلماء، ومقاومتهم للنظر العقلي، وتعصبهم المقيت، وعدم تسامحهم مع المخالفين لهم في الرأي، أو التأويل، وتحاملهم عليهم لدرجة اتهامهم بالخروج على الدين، بل إنهم نصبوا المحاكم لمحاكمتهم وطردهم من الكنيسة، والحكم عليهم بالسجن تارة واللعن والقتل تارة أخرى، وتمثل ذلك فيما سمي بمحاكم التفتيش.

٣- استبداد الكنيسة بفهم الكتاب المقدس. يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله: "لقد احتجزت الكنيسة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة عندهم، واستبدت بتفسيرها دون سائر الناس، ولا معقب لما تقول في هذا التفسير، أو في أي رأي تبديه، أو أمر تعلنه، وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول، وافق العقل، أو خالفه، وعلى

---

(١) انظر: أثر الكنسية على الفكر الأوروبي، د. أحمد عجيبة ص١٢، ١٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاندي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧..
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المسيحي إذا لم يستسغ عقله قولاً قالته، أو مبدأ دينياً أعلنته أن يروض عقله على قبوله، فإن لم يستطيع فعليه أن يشك في العقل، ولا يشك فيما تقوله الكنيسة أو تتبناه، لأن البابا -في نظرهم- هو خليفة المسيح"[1].

لقد كان عصر النهضة على تنافر مع العصر الوسيط، فعصر النهضة يقدس العقل بخلاف العصر الوسيط، وبذلك بدت حركة التحرر من الدين، حيث تولت حركة الإصلاح الديني بالنقد لأكبر هيئة دينية مقدسة، وأتاحت لغير الكنيسة تفسير الأناجيل مما أفضى بها إلى الدعوة إلى تحرير العقل من كل عقيدة[2].

عصر النهضة اختلف فيه الأمر إذ احتوته الثقة بالعقل، واستغرقه حب الاستطلاع الحُر، واشتد كلفه بالعلم، ونبذ العقائد التي كانت سبباً في التحكم فيه. وتمثل هذا في اتجاه العقل الجديد في طريقين:

الأول: إحياء الروح القديمة فانطلق دعاة المذهب الإنساني - منذ القرن الرابع عشر حتى السادس عشر - إلى بعث ما عرف من آداب اليونان والرومان، مسترشدين بها في إخضاع الدنيا لصالح هذا الإنسان الجديد، كان رواد الفكر الجديد في عصر النهضة يعتقدون أن التراث العقلي اليوناني كفيل بتكوين الإنسان، ومن هنا كان حرصهم على الرجوع إليه والاهتمام بالعمل على إحيائه، وأطلقوا على الآداب القديمة "الإنسانيات" وتأكدت النزعة الإنسانية التي اتجهت إلى الإعلاء من شأن الفكر الإنساني ورد القيم إلى العقل لا إلى الدين والنفور من التقليد والجمود والتمرد على السلطة التي تقيد انطلاق العقل، ونزع هؤلاء إلى التعليم اليوناني حرصاً منه على ترجمة تراثه من منابعه اللاتينية - لغة العلم في تلك العصور في البلاد الأوروبية - وتكفل ظهور المذهب الإنساني وسيادة النزعة الفردية وهدم قيم العصور الوسطى، تكفل

---

(١) انظر: أثر الكنيسة، ص٣٣ وما بعدها.

(٢) انظر: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، د. توفيق الطويل، ص١٤٨" بتصرف".

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

هـذا كلـه باسـتقلال الفلـسفة عـن الـدين وتوجيههـا إلى معاداتـه في تلـك الآونـة من تاريخها[1].

الثاني: اهتمامه بالطبيعة الحافلة بالحقائق، ونزوعه إلى ارتياد المجهول من آفاق العلم الطبيعي، إذا انبعثت صيحة بيكون[2] بالدعوة إلى التجربة والاختبار واستجاب لها العلماء وغيرهم وأنشأت الجمعيات العلمية صدى لهذه الدعوة، وأيدت العلوم الطبيعية بالمخترعات الحديثة، وانساق الناس إلى الكشف الجغرافي التماساً لحقيقة تسفر عنها مشاهداتهم، واتفق رواد الفكر الجديد على استهجان الكتب القديمة والسلطة الدينية مصدراً لعلمهم بالطبيعة الكونية ومضى العقل في محاولة اكتشاف الجديد في شتى صوره، وأمعن في تحطيم القيم المعتمدة في عصره[3].

وفيما يلي تلخيص لأهم النتائج المترتبة على ثورة العقل الأوربي على المسيحية:

• تحرر الفكر الأوربي من القيود الثقيلة التي كانت تفرضها الكنيسة على حرية الفكر وحرية البحث العلمي وكان هذا له أثره في الخروج على تعاليم الكنيسة.

• تركزت الكراهية ضد الكنيسة، وانصب الغضب على الأداة التي قيدت العقول ثم قويت هذه الكراهية بدرجة التحرر من الإيمان بالمسيحية أو العقيدة المسيحية ذاتها التي اعتمدت عليها الكنيسة في فرض سيطرتها على العقل والفكر.

• الانحلال الخلقي الذي صاحب ما كان في النهضة من تقدم علمي، لقد خرجوا على تعاليم الكنيسة واستهوتهم حياة اللهو والمرح وتطور بهم الحال إلى أن

---

(١) انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوربي، ص٧١.

(٢) فرنسيس بيكون: (١٥٦١-١٦٢٦) سياسي وفيلسوف وكاتب انجليزي يعتبر أحد رواد العلم التجريبي، انظر معجم أعلام المورد، ص٩٤.

(٣) انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ص٧٢.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

انغمسوا في حياة التبذل والتهتك ونبذوا التقاليد الدينية والآداب العامة[١].

يعد القرن السابع عشر من أكثر القرون في التاريخ الأوربي تطوراً بحكم ما شهده من تطورات علمية هائلة سادت العقل والفكر الأوروبي، وقد ظهر علماء ومفكرون أسهموا في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مثل بيكون، وديكارت[٢] وغيره، وهذا التطور الفكري والعلمي قد جرى في أجواء من الصراع بين القديم والحديث وبشكل تدريجي من حيث التقدم وتحرير الأفكار من الأوهام والخرافات والنظريات المختلفة والتي كانت سائدة في أوربا، وقد أثر هذا التطور العلمي الكبير على الفكر الأوروبي في القرن السابع عشر من خلال معطيات جديدة ومناهج حديثة في العلم وفلسفات ونظريات مختلفة وتحولات علمية وأدوات موضوعية بيد العلماء والباحثين لم تكن معروفة أو متيسرة من قبل، وواجهت هذه التحولات الفكر الإقطاعي المتخلف مع ظهور تيارات سياسية وفكرية عبرت عن واقع جديد وفلسفة جديدة في السلطة والحكم والملكية والثورة، وناقش الفلاسفة والسياسيون قضايا فكرية وسياسية، مثل أصل الدولة وحقوق المواطن وغيرها[٣].

لقد أدى الصراع الديني والسياسي والثقافي إلى تقوية العامل العلمي والفلسفي على أساس رؤية فلسفية جديدة تعتمد على العلم أساساً، وكانت الفلسفة في العصور الوسطى جزءاً من اللاهوت، والحقائق التي يكتشفها العلماء والتي يصل إليها الفلاسفة يجب أن لا تعارض المسيحية، وإلا لأصبحت منبوذة وكفراً وإلحاداً، ولكن مثقفي القرن السابع عشر شرعوا في محاولة فصل اللاهوت عن الفلسفة وعدّها جزءاً

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٧٤.

(٢) رينيه ديكارت: فيلسوف وفيزيائي ورياضي فرنسي، يراه أكثر الباحثين أبا الفلسفة الحديثة ومؤسسها ولد عام (١٥٩٦-١٦٥٠) له كلمته المشهورة " أنا أشك فإذن أنا أفكر، وأنا أفكر فإذن أنا موجود " انظر معجم أعلام المورد، ص١٩٦.

(٣) انظر: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي، ١/ ٤٧٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

من العلوم الطبيعية، وأكدوا على وجوب إحلال العلم محل اللاهوت، ونبذ مبدأ الوحي والاعتماد على قوى خارقة، واعتقاد وجود نواميس طبيعية تدير الكون المادي والعقل البشري، وتسيطر عليها(١).

كان علماء أوروبا وفلاسفتها ومثقفوها خلال النصف الأول من القرن السابع عشر ينتمون إلى مذاهب مسيحية كاثوليكية وبروتستانتية وأرثوذكسية، وكانت أوروبا متعصبة لديانتها المسيحية، وشهدت صراعات بين الكاثوليك والبروتستانت التي كانت تزداد حدة، وصراعاً بين البروتستانتية فيما بينها، وضاعف الكاثوليك مساعيهم التبشيرية لكسب عدد كبير من الأتباع، وخلال النصف الثاني من القرن السابع عشر ظهرت بين المسيحيين اتجاهات دينية مختلفة ازدادت مع الأيام وخلال القرن الثامن عشر مع الانقلاب الثقافي والعقائدية المسيحية الجديدة، مثل التصوف والإلحاد واللا أدرية، وأسباب ذلك هو التقدم العلمي وانطلاق الفلسفة خارج إطار التقييد، ونحو التحرر من السلطة الدينية، ومقارنة التعصب الديني الأعمى والحروب الدينية(٢).

إن من الملفت للانتباه أن مفكري ورموز عصر النهضة لم يكونوا أولئك الفلاسفة العظام، بل إن جهدهم الفلسفي لم يزد على تكرار أفكار وأقوال الفلاسفة اليونانيين القدماء، وغاية ما كانوا يسعون إليه هو هدم سلطان الفلسفة المدرسية وسلطان أرسطو، لا ليستبدلوا به سلطان أفلاطون حتماً أو أي سلطة أخرى، إن أفلاطون والفلاسفة اليونان والمفكرين اللاتنيين كانوا أدواتهم لهدم المدرسية، أما سعيهم الحقيقي فكان يرمي للتحرر من أي سلطان كان، وتثبيت الفردية مبدأ مطلقاً على مستوى الفكر وعلى كل المستويات(٣).

---

(١) انظر: المرجع السابق، ١/ ٥٤٨.

(٢) انظر: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، د. مفيد الزيدي ، ١/ ٥٥٠.

(٣) انظر: الأسس البنيوية لفكر الحداثة الغربية، د. محمد شريح، ص٣٣.

ماجستير_ عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

لقد كان عصر النهضة ثورة على المسيحية التقليدية وإعلاناً للعودة إلى الوثنية وهذه وإن كانت في الواقع عملية سلبية إلا أنها خطوة لابد منها لكل حركة جديدة، فمن الطبيعي أن تنصب أنظار رواد النهضة إلى هدم كيان الواقع الذي خضعت له أوروبا ألف عام قبل أن يفكروا في ماهية الواقع الجديد[١].

ظهور التسامح الديني:

كان اضطهاد المذاهب والأديان الأخرى هو القاعدة طوال العصور الوسطى، سواء من جانب البابوية، ومن جانب الحكام (الأباطرة)، لكن منذ منتصف القرن الخامس عشر بدأت بوادر التسامح، لكنها لم تظهر بصورة واضحة إلا بقيام حركة الإصلاح الديني على يد مارتن لوثر، فدعوته كانت خطوة لإقرار التسامح الديني، وظهر من بعده من أكد أن عدم التسامح يتناقض مع المحبة التي دعا إليها المسيح، كما يتناقض مع العقل[٢].

لقد أدى الإصلاح الديني إلى نقد الكنيسة الكاثوليكية، وخاصة بعد ظهور طوائف دينية عديدة أهمها البروتستانتية، ولم يعد الشخص غير المتدين يتعرض لمضايقات الكنيسة، ونتج عن هذا تحطم الوحدة المسيحية، ومن هنا ظهرت أفكار حول التسامح الديني وضرورة الفصل بين الكنيسة والدولة، وأصبح الفرد يقرر بنفسه مسائل إيمانه[٣].

كانط [٤]في كتابه "الدين في حدود مجرد العقل" دعا فيه إلى ضرورة قبول التعدد

---

(١) انظر: العلمانية، د. سفر الحوالي، ص٤٦١.

(٢) انظر: رسالة في التسامح، ص١٣.

(٣) انظر: ما بعد الحداثة والتنوير، د. الزواوي بغوره ص٧٤.

(٤) كانت وقد يكتب عمائويل كانط : (١٧٢٤-١٨٠٤) فليسوف ألماني ، يعتبر أحد أعظم الفلاسفة في جميع العصور . أشهر كتبه " نقد العقل المحض" و "نقد العقل العملي " ، معجم أعلام المورد ص ٣٦٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

داخل المسيحية الأوروبية باسم التسامح رفعاً لأزمة تمر بها أوروبا وذلك بسبب الحروب الدينية[١].

لكن التسامح كمبدأ أكثر منه مجرد حل طارئ لم يؤخذ به على مستوى واسع إلا بعد أن آمن الناس بمقدرة العقل على أن يتوصل إلى الحقيقة بدون عون[٢] ـ أي معرفة من خارج العقل من وحي إلهي أو من رجال الكنيسة ..

يقول جون لوك "وينبغي أن يكون العقل أول حكم ومرشد لنا في كل شيء[٣]. وبييل[٤] لا يقر بمقياس للحقيقة سوى العقل يقول" إن المحكمة العليا، وهي آخر محكمة يلجأ إليها والتي تستأنف أحكامها، هي العقل الذي يتحدث ببديهيات نور الطبيعة " فالعقل يعلم بوضوح أن إجبار أي إنسان أن يعتنق أمراً ينبئه عقله بخطئه هو أمر لا عقلي ولا أخلاقي بصورة مطلقة، كما يرى بييل أن المعتقد الذي يبدوا لنا مغلوطاً يجب التسامح به، لأنه قد يكون حقاً، ويرى أن من واجب الدولة أن تسمح بكل شيء إلا بعدم التسامح[٥].

بل إن جون لوك يصرح بأنه مع إيمانه بالوحي المسيحي بأن الوحي ان بدا على تناقض مع العقل وجب رفضه – أي الوحي – وعدم الإذعان لأمره، فقام ينادي بالحرية الدينية وبتحرير العقيدة من طغيان الكنيسة والدولة معاً، ويطالب بفصل الكنيسة عن الدولة[٦].

---

(١) انظر: مباحث في التنوير موجوداً أو منشوراً، صالح مصباح، ص٧٧.

(٢) انظر: تكوين العقل الحديث، جون هرمان، ص٥٦٠.

(٣) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ٤/ ٦٠.

(٤) بييل: روبرت ١٧٨٨ – ١٨٥٠، سياسي بريطاني، أعاد تنظيم الحزب الثوري، انظر اعلام معجم المورد ص١٣١.

(٥) انظر: تكوين العقل الحديث، ص٥٦٠.

(٦) انظر: قصة الاضطهاد الديني، ص١٢٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

لقد كان نجاح التسامح الديني في تاريخ العالم البروتستانتي والكاثوليكي على السواء مرهوناً بقيام المذهب العقلي ونموه، وتقبل بعض الناس لدعوته، لأنه قوض أسس القمع الشديد وهاجم نفوذ الذين يزاولون الاضطهاد، وزعزع الأسس التي بنوا عليها دعوتهم(١).

إن بداية التسامح الديني بدأ في إبان السنين الأولى لحركة الإصلاح، إذ ساد بين الإنسانيين ميل عام إلى التسامح وإلى العقلانية بل وإلى الشك(٢).

وما ان حل القرن الثامن عشر حتى كان الغرب زاخراً بالكتابات التي تدافع عن الرأي الداعي إلى التسامح إزاء الاختلافات الدينية وإلى الفصل بين الكنيسة والدولة، وأن على الفرد أن يقرر بنفسه أمور إيمانه الدينية، والحقيقة أن الطريق بات ممهداً، وواضحاً لأفكار القرن الثامن عشر - مثال - بأن الأديان كلها على اختلافها - بما في ذلك الديانات غير المسيحية - تنطوي على قدر من الحقيقة والصدق(٣). وأن هناك حقيقة جديدة أعمق من حقيقة المسيحية التقليدية، وهذه الحقيقية لا تتكشف كاملة وتامة للبشر بل يتعين البحث عنها واستكشافها تدريجياً عن طريق التجربة والخطأ وعن طريق البحث والاستقصاء وبذل الجهد الإنساني، فالحقيقة دائماً نسبية ومن ثم لا الوحي ولا التفكير أو الدراسة ستصل بنا إلى حقيقة مطلقة(٤).

- **نشأ التسامح الديني في بيئة يمكن إيجازها ووصفها بالقول**: انه في وقت بسطت فيه الكنسية نفوذها، من سيطرة على التعليم في المدارس واحتكارها تأويل الكتاب المقدس واستخدامها للفلسفة للتوفيق بين العقل والنقل، فكل شيء مقيد بقيود الكنيسة، فكانت النتيجة:

---

(١) انظر: قصة الاضطهاد الديني، ص١٢١.

(٢) انظر: تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون، ص٩٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٦٠.

(٤) انظر: تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون، ص١٦١.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

- تعصب رجال الكنسية ضد العلم، وإنكارهم للنظريات العلمية بدعوى مناقضتها للكتب المقدسة ومحاربة كل من خالفهم.

- ظهور ثورات وانتقادات ضد رجال الكنيسة، مع ظهور مناهج علمية جديدة لا يرجع فيها إلى الكنيسة، وثورة فلسفية متمردة على الماضي، واصفة إياه بعصر الظلام والاستبداد.

- ظهور حركة الإصلاح الديني ومفكرين يدعون إلى قبول التعدد باسم التسامح الديني رفعاً لأزمة تمر بها أوروبا بسبب الحروب، وأن الناس بمقدورهم الوصول للحقيقة عن طريق العقل.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المبحث الثاني
أسباب نجاح التسامح الديني في العالم الغربي

التسامح الديني قد يكون له عدة أسباب لظهوره وانتشاره في أوروبا لكن هناك ثلاثة أسباب هي أبرزها ومن خلالها اكتسب التسامح الديني صفة المرونة والتقدم ولغة الحوار والقابلية للآخر والحرية الدينية والتعددية والواقعية وكان له قبولاً بشكل عام، بخلاف ما كانت عليه أوروبا في السابق.

فنجاح التسامح الديني في الغرب يعود إلى قيام ثلاثة مذاهب أسهمت وكانت سبباً في نجاحه ومواجهته للتعصب الكنسي. وهي كالتالي:

السبب الأول: المذهب الإنساني.

السبب الثاني: المذهب الشكي.

السبب الثالث: المذهب العقلي.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

۞ السبب الأول: المذهب الإنساني:

رافق حركة إحياء التراث القديم ظهور نظرة جديدة، عند رجال النهضة للإنسان وهو ما اعتاد الناس على تسميته بالإنسانية، فتحرك علماء عصر النهضة من منطلق جديد يستهدف دراسة الإنسان لذاته وبمعزل عن كل ما يحيط به من أفكار وعقائد ومسلمات، وبهذا ابتعد رجال عصر النهضة عن الموقف الذي طالما التزم به مفكرو العصور الوسطى والذي كان يفرض تجاوز إنسانية الإنسان ومتطلبات الجسد للاهتمام بالروح فقط وبعلاقة الإنسان بالخالق واليوم الآخر، فعلاقة الإنسان بالأرض والمحيط والمادة والحاضر كلها كانت أموراً ثانوية(١).

لقد ترعرع المذهب الإنساني في أوروبا في القرن الرابع عشر حتى السادس عشر، ضد نمط الحياة الفكرية والاجتماعية، الذي رسخته الكنيسة في أوروبا خلال العصور الوسطى، فظهر هذا المذهب نتيجة الشعور بأن منهج الزهد في الدنيا، ودفع الإنسان بالإثم من حين مولده، وحرمانه من العلاقة الإيجابية بالطبيعة تسخيراً واستثماراً، انتهى إلى إلغاء الوجود الإنساني، حتى لم يبق منه سوى بهيمة تقاد(٢).

لذلك فهذه النزعة الإنسانية ترفع من قيمة الإنسان، وتدافع عن حريته وتطوره من كافة الجوانب، وقدر رفع لواءها دانتي(٣). وفرنسيس بيكون(٤). وميكافيللي(٥).

---

(١) انظر: أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة، د. عبد المجيد نعنعي، ص٣٢.

(٢) انظر: السلفية وقضايا العصر، د. عبد الرحمن الزنيدي، ص٥٦٦.

(٣) دانتي: اليغيري (١٢٦٥-١٣٢١) كبير شعراء إيطاليا قضى شطراً من حياته في المنفى. انظر معجم أعلام المورد، ص١٨٥.

(٤) سبق ترجمته.

(٥) ميكافيللي: نيقولو (١٤٦٩-١٥٢١) فيلسوف سياسي إيطالي. تولى مناصب إدارية ودبلوماسية. له كتاب اشتهر به اسمه (الأمير) انظر معجم إعلام المورد، ص٤٣١.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

وغيرهم، وهذه النزعة الإنسانية منذ بداية عهدها كانت تمهيداً فكرياً لمعظم الثورات التي قامت في أوروبا وكانت موجهة للفلسفة الدينية والأخلاق الإقطاعية، ولذلك فهي طالبت بالحرية، والحق في التمتع بالحياة الدنيا، وتحرير الإنسان من الاضطهاد واللامساواة[١].

لقد ساعدت النزعة الإنسانية في الفكر الغربي على جعل الفلسفة والدين نقيضان، وهاجمت الفلسفة المدرسية وسخرت من فكرها ونظرت إلى العصر الوسيط على أنه عصر انحطاط وبربرية، أدى هذا بالطبع إلى نتائج تجلت في شيوع الآراء المناهضة للدين، وذلك لأن الإنسان وقع في ظنه نتيجة الاكتشافات العلمية وما حققه من تقدم أنه ذو قدرة فائقة وفي وسعه تحقيق كل ما يصبوا إليه، ولم يعد في حاجة إلى الإيمان بالدين أو بوجود إله، لأن ذلك كان مرتبطاً بمجتمعات إنسانية لم تكن قد حققت ما حقق في عصر النهضة[٢].

لذلك كان من آثار المذهب الإنساني العمل على إقامة الفلسفة خصيمة للدين، والحملة على الفلسفة المدرسية بالتهكم على لغتها وبحوثها وطريقة استدلالها، بل الحملة على العصر الوسيط بجميع مظاهره، ورميه بالجهل والغباوة والبربرية[٣].

وفيما يلي ننظر إلى خصائص هذه النزعة الإنسانية:

- أن معيار التقويم، هو الإنسان أخذاً بقاعدة بروتاغورس[٤]:

---

(١) انظر: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم،د. إبراهيم مصطفى ص٥٧.

(٢) انظر: الفلسفة والنزعة الإنسانية، د. محمد عبد الحفيظ، ص١٧ " بتصرف ".

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص٥.

(٤) بروتاغورس: (٤٨٥-٤١٠ ق م) فيلسوف يوناني. يعتبر أول السوفسطائيين وأشهرهم. قضى معظم حياته في أثينا حيث كان له أثر كبير في التفكير الأخلاقي والسياسي قال إن الإنسان هو مقياس كل شيء. ومن أجل ذلك عد أول الإنسانيين. اتهم بالمروق من الدين، فأحرقت كتبه، ونُفي من أثينا حوالي عام ٤١٥ قبل الميلاد. انظر المعجم أعلام المورد، ص١٠١.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

"الإنسان مقياس كل شيء"، فهي تحرر الإنسان من كل مؤثر خارجي سواء كان شيئاً فزيائياً مادياً، أو كان إلهاً أو آلهة متعالية.

- الإشادة بالعقل، ورد المعرفة إليه "فالنزعة الإنسانية الأوربية تقوم في جوهرها على الشعور الغالي بأن العالم الإنساني الحقيقي يقوم في الاستقلال المطلق للعقل".

- تمجيد الطبيعة إلى درجة العبادة، لكنها عبادة عاشق لمعشوق يصوره كما يريد، إذ لم تعد الطبيعة في هذه النزعة نعمة إلهية ولا فاسدة تحكم بالخطيئة الأولى، مما يجعل صلاحها منوطاً بفعل خارجي خارق هو فعل الله، وإنما أصبحت جزءاً من العالم الإنساني نفسه يعيشها ويفسرها ويستثمرها، وقد أنتج هذا تقدم المعرفة الإنسانية بالقوى الطبيعية، وتطوراً هائلاً في العالم والصناعة الفنية، مما أثمر خاصية رابعة للإنسانية.

- هي أن التقدم إنما يتم بالإنسان نفسه وقواه الخاصة لا بقوة خارجية أو عالية على الكون[1].

لقد استطاع التيار الإنساني في عصر النهضة أن يحدث ثغرة في التقاليد المسيحية، وظهرت للمرة الأولى أفكاراً دينية خارجة خروجاً ظاهراً على القرون الوسطى[2]. بعد أن اطلع على الكتاب المقدس بترجماته الحديثة بالنصوص اليونانية والعبرانية القديمة، إضافة على العقلية العلمية وروح البحث والرغبة في النقد التي شاعت بتأثير انتشار الفلسفة اليونانية، قد جعلت الناس وخاصة المثقفين منهم أشد ميلاً للمناقشة والتساؤل وعدم التسليم بسهولة بكل ما كان يقول به رجال الدين[3].

إن الإنسانية على مستوى الفكر والأدب والفن والأخلاق، بل وعلى مستوى

---

(١) انظر: السلفية وقضايا العصر، ص٥٦٧.

(٢) انظر: تكوين العقل الحديث، ص٤٣٤.

(٣) انظر: أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة، ص٥٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الدين، في جوهرها ترفض المؤسسة الدينية وسلطانها، وتكرس للسلطة الفردية في شؤون المعتقد، فهي ثورة شاملة على القديم بكل أشكاله، فالإنسان يرفض المسيحية ويثبت شيئاً واحداً، وهو الإنسان الفرد(١).

فالإنسانية فكر انقلابي ثوري، وقد كانت الإنسانية ثورة على الفكر المسيحي الموروث في القرون الوسطى، لا تحمل مبادئ جديدة واضحة المعالم بقدر وضوح وجلاء نزوعها الأساسي إلى تهديم القديم وتقويض أسسه(٢). ولذلك عند العودة إلى نشأة هذه الفكرة ترى أن القهر الكنسي في العصور الوسطى تسبب في بروز أفكار عديدة تصادم الاتجاه الديني ومنها النزعة الإنسانية، ولذلك فإن من أهم الملامح التي تؤكد عليها الإنسانية هو إنكار أي معرفة خارج الإنسان - كالوحي والدين - وتحقيق الإنسان لقواه وقدراته الخلاقة واعتبار السعادة الإنسانية غاية في ذاتها لا تتطلب أي تبرير خارج الإنسان، إن الانتكاسة التي شعر بها الغربيون بسبب تسلط كنيستهم، والأثر النفسي العميق الذي أثر في نفوس العلماء والمثقفين في ذلك الوقت، قادهم إلى ثورة ضد كل ما هو ديني، اعتقاداً منهم أن الدين هو الذي أعاق الحياة، وأنه يدعو لتعذيب المخالفين وإذلالهم وظلمهم، إضافة إلى ذلك أن عصر النهضة الأوروبية أتى بعد إبعاد الكنيسة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتحرر المفكرون من كل القيود(٣).

---

(١) انظر: الأسس البنيوية لفكر الحداثة الغربية، د. محمد عادل شريح، ص٣٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٠.

(٣) انظر: الاستشراق عند ادوارد سعيد، د. تركي الظفيري، ص٢١٢.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

۞ السبب الثاني: المذهب الشكي:

وجد المذهب الشكي أرضاً خصبة في عصر النهضة أمام التعصب الذي كانت تتميز به العصور الوسطى، وبدأ التأثير المباشر للمذهب الشكي من الناحية الفلسفية عندما نشرت مؤلفات "سيكتوس"[1] لأول مرة في عام ١٥٦٢م، ومنذ ذلك الحين أثر المذهب الشكي تأثيراً بالغاً على الفكر والأدب الأوروبي، فالحروب في القرن السادس عشر، والشقاق الحزبي الديني كلاهما ساعد على زعزعة الاعتقاد في صدق المذاهب المدعية لليقين[2]. فشاعت الفوضى وفشا الشك في أوروبا روحياً وعقلياً ودينياً وسياسياً، وفي هذا الوقت الشكي ظهر ديكارت وأخذ يدعو إلى استبعاد كل سلطة غير سلطة العقل، بل أوجب على الباحث ألا يقبل حقيقة على أنها كذلك، إلا إذا بدت أمام عقله الحر المستقل في وضوح وتميز لا يدع للشك مجالاً، فالحقيقة هي اكتشفها العقل الحر[3]، والبحث عن الحقيقة لابد أن ينطوي على ممارسة الشك، وأنه جزء لا يتجزأ من الرؤية الفلسفية للفيلسوف أو من الحياة الفكرية لأي مفكر، فديكارت يرى أن كل إنسان لابد أن يشك ولو مرة واحدة في حياته في كل ما آمن به من حقائق، وما توارثه من معتقدات وآراء متواترة وصلت إليه عن طريق ما يسميه ديكارت الفكر الشائع أو عن طريق السلطة أياً كانت سياسية أو دينية أو إعلامية، فديكارت يضع في مقابل هذا الفكر الشائع ما يسميه الذوق العقلي السليم الذي كان يؤمن بأنه خط مشترك بين كافة الناس لأنه لغة فطرتهم السليمة، ولأن هذه الفطرة كما يقول في كتابه " مقال في المنهج " أعدل الأشياء قسمة بين الناس. فديكارت يريد أن يوضح للناس

---

(١) سيكتوس: بوليوس أفريقانوس (١٨٠-٢٥٠م) مؤرخ نصراني من مواليد القدس. زار مصر وإيطاليا وبلداناً أسيوية مختلفة. انظر معجم اعلام المورد، ص٦٠.

(٢) انظر: في فلسفة الحضارة، د. أحمد محمود صبحي وصفاء جعفر، ص٩٠.

(٣) انظر: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ص١٧٥، " بتصرف ".

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

في عصره أن المعرفة للجميع، وأن باب الثقافة مفتوح أمام كل الناس، وأن العلم ليس وقفاً على طائفة دون أخرى، أو طبقة دون أخرى، أو فئة دون فئة، وكانت لهذه الأقوال قيمة كبرى في العصر الذي وجد فيه ديكارت حيث إنه جاء عقب العصور الوسطى التي كانت تحتكر العلم والمعرفة في طبقة خاصة هي طبقة رجال الدين أو طبقة النبلاء(١).

فالشك عند ديكارت هو أول خطوة من خطوات منهج توضيح الأفكار، وبذلك لا يوجد في العقل أفكار غامضة، وخير وسيلة لتحقيق هذا الهدف هي إلقاء كل ما في العقل إلى الخارج – مؤقتاً –(٢)، وفي ذلك يقول ديكارت: "فإنني تعلمت ألا اعتقد اعتقاداً جازماً في شيء ما بحكم التقليد أو العادة، وكذلك تخلصت شيئاً فشيئاً من كثير من الأوهام التي تستطيع أن تخمد فينا النور الفطري وتنقص من قدرتنا على التعقل"(٣).

لقد رأى الفلاسفة أن أسلم طريق للتحرر من عوائق السلطة يتمثل في الشك المنهجي الذي نادى بضرورة استخدامه أكثر الفلاسفة، وقبل أن نتعرض للشك المنهجي كأداة للتحرر ينبغي أن نوضح الفارق بينه وبين الشك المذهبي(٤).

فالشك المذهبي هو شك من أجل الشك، يبدأ صاحبه منه وينتهي إليه، فهو وسيلة وغاية معاً، ومن ثم فمصطلح اليقين مختفٍ تماماً عند أصحاب هذه النزعة الشكية إذ هم لا يعرفون للجهل الإنساني حداً ولا نهاية، لأن أصحاب الشك المطلق يقولون إن العلم ليس مقدوراً للإنسان وعلى العكس من ذلك الشك يثيره الشاك لأجل بلوغ اليقين الذي ينشده، والشك المنهجي إنما هو أداة للتخلص من أي سلطة

---

(١) انظر: قصة الفلسفة الغربية، د. يحي هويدي، ص٥٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٥٢، " بتصرف ".

(٣) انظر: درجات المعرفة بين الدين والفلسفة العلم، د. محمد بيومي، ص١٠٣.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص١٠٣.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

كانت، ويتخذه الشاك وسيلة ومنهجاً ليختبر به صحة آرائه التي توصل إليها من قبل، فيرجح ما يراه صحيحاً، وينبذ ما يراه باطلاً، ومن خلال الشك المنهجي تختبر الآراء الشائعة والمعتقدات الموروثة حيث لا تقبل هذه الآراء، أو تلك المعتقدات إلا بعد إثبات صحتها بالدليل العقلي(١). يقول كانط " إن قرننا هو بشكل خاص قرن النقد الذي ينبغي أن يخضع له كل شيء، وحده الدين محتجاً بقداسته، والتشريع القانوني متذرعاً بجلالته، يريدان أن ينفذا منه، ولكنهما يثيران عندئذ الظنون والشكوك ألحقه حولهما، ولا يمكنهما أن يحوذا على تقديرنا الصادق لأن العقل لا يقدم هذا التقدير إلا للأشياء التي تقبل بأن يطبق عليها التفحص الحر والنقدي"(٢).

فالشك المنهجي يضع كل شيء موضع الفحص والاختبار، وعلى ذلك فالشك المنهجي هو مرحلة أساسية من مراحل منهج البحث في الفلسفة، وقوامها تمحيص المعاني والأحكام تمحيصاً تاماً بحيث لا يقبل منها إلا ما يثبت يقينه، فمن أراد البحث فعليه أن يحرر نفسه من الأفكار السابقة، ولا يقبل إلا ما يثبت للعقل بداهة(٣)، وبعد هذا الشك يكون الإنسان قد تهيأ إلى أن يصل إلى اليقين الأول وهو يقين الكوجيتو، وذلك لأن ثمة شيئاً واحداً يظل في منجاة من الشك وهو الفكر، فالشك نفسه ضرب من ضروب التفكير وبهذا الاعتبار فلا يمكن أن أشك في أني أشك، ومعنى هذا أنني لا يمكن أن أشك في أني أفكر، وهذا هو اليقين الأول الذي وصل إليه ديكارت بعد مرحلة الشك، وهو اليقين الذي أطلق عليه يقين الكوجيتو ومعناه " أنا أفكر إذن أنا موجود"، وبوضع ديكارت لحقيقة الكوجيتو في بؤرة التفكير الفلسفي، أحدث تحولاً هاماً في مسار تطور الفكر الغربي فالفكر الغربي اهتم بالإنسان وعقل هذا الإنسان

---

(١) انظر: درجات المعرفة، ص١٠٥، ١٠٦.

(٢) مدخل إلى التنوير الأوروبي، هاشم صالح، ص١٥٢.

(٣) انظر: ما هي الفلسفة، ص١١٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

أكثر[1].

لقد تميزت فلسفة ديكارت بالطابع العقلي الذي يمارس حرية البحث واستقلال الفكر، واصطناع النقد لجميع المعتقدات والأفكار، فأخضعت كل شيء للفحص والنقد، واستعملها المفكرون في أوروبا سلاحاً لتقويض أسس الاعتقاد والإيمان[2]، وتاريخ التسامح الديني وانتصار الحرية الدينية قد تم على يد العقلانيين، يوم بدأوا بالشك في الأسس التي قام عليها الاضطهاد، فلما تداعت هذه الأسس انهار الاضطهاد بتداعيها[3].

وبذلك بدأت الدعوة إلى التسامح الديني وإقرار الحرية لكل فرد، ورفع احتكار الكنيسة لتفسير الكتاب المقدس وحق تفهمه للجميع وإحياء حركة النقد وأن الحقيقة التي كانت تدعيها الكنيسة أصبحت حقيقة نسبية، فالبحث عن الحقيقة لا تأتي إلا بعد ممارسة الشك، وعن طريق العقل المتحرر من كل القيود.

لقد ابتليت الإنسانية بهذا النوع من الشك العاصف، على يد من سموا بالسوفسطائيين في تاريخ الفكر اليوناني، والشك في أصله تردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر[4]. وبهذا فالشك ليس وليد العصور الحديثة، أو حتى الوسطى فقد أوصى أرسطو قديماً بمزاولة هذا الشك عند البدء بدراسة أي موضوع علمي، حيث -كما يقول- (علاقة ضرورية بين الشك والمعرفة الصحيحة، لأن المعرفة التي تعقب الشك تكون أدنى إلى الصواب)[5].

---

(١) انظر: قصة الفلسفة الغربية، ص٥٣.

(٢) انظر: الفلسفة الحديثة، د. أحمد رمضان، ص١٥٣.

(٣) انظر: قصة الاضطهاد، ص١٢٨.

(٤) انظر: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، د. راجح الكردي، ص٨٣.

(٥) نقلا عن: مصادر المعرفة، د. عبد الرحمن الزنيدي، ص٦٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧..
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

وفي العصور الحديثة جاء ديكارت، فبدأ شاكاً كالشكاك، ولكنه انتهى إلى المعرفة أخيراً، وقرر أن الشك المطلق إنما ينتج من الوقوف في منتصف الطريق، دون الوصول إلى آخره[1]. وديكارت الذي انتهى إلى الشك في أنه يشك، عاد فبنى فلسفته على أنه لا يشك في أنه يشك، ولأنه يشك فهو يفكر، وما دام يفكر فهو إذن موجود، أنا أفكر فأنا إذن موجود، أما كيف عرف هذه الحقيقة، فإنه يجيب: إن ما أعرفه في وضوح وتميز هو أنني لكي أفكر فلابد أنني موجود، فالمبادئ القبلية، تمثل الأساس الذي لابد منه لقيام معرفة علمية، ومن ثم فلا مناص لمن شك فيها أو اصطنع ذلك من أحد خيارين:

١- إما البقاء في شك مطبق، فيصبح من أصحاب الشك المطلق الذي لا يتجاوز المعرفة لديهم الوهم الذي يشبه هلوسة المعتوهين، وبه لا يكون معرفة البته.

٢- وإما أن يعترفوا بتلك المبادئ بصفتها الأساس الراسخ في العقل البشري الذي يقوم عليه المعرفة، وبأنها لا تدخل دائرة الشك الذي يتناول العلوم النظرية لأنها تمثل العقل الذي يراد تطهيره، فالشك فيها من ثم إلغاء للعقل نفسه وهذا ما انتهى إليه أصحاب الشك المنهجي، من حيث علموا، أو لم يعلموا، حيث بنو معرفتهم عليها، دون تساؤل عن أصلها أو شك في قيمتها[2].

إن لقاعدة ديكارت هذه معنى خفيا غير المعنى الظاهر الذي يتبادر إلى الذهن لأول وهلة فهو يريد أن لا يسلم لشيء إلا بعد أن يعلم أنه حق ولكن بالطريقة التي لا يقبل سواها وهي: الإدراك بالحدس المباشر وبالحدس غير المباشر أو الاستنباط، وهذا يعني أن يقصى من دائرة العلم، ليس فقط جميع الوقائع التاريخية، بل أيضاً كل معنى يستلزمه تفسير الظواهر الطبيعية ولا نتمثله أو نتخيله، وقد تذرع الكثيرون بهذه

---

(١) انظر: مصادر المعرفة، د. عبد الرحمن الزنيدي، ص٧٢، ٧٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٧٢، ٧٣.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

القاعدة لنبذ الدين لما يعول عليه من أحداث تاريخية تتعلق بنزول الوحي، وما يتضمن من عقائد تفوق إدراك العقل، وقالوا إن هذه القاعدة عبارة عن إعلان حرية الفكر وإسقاط كل سلطة(١).

وأخيراً فإن العقلانية الغربية المزعومة يوم أن أزاحت المجتمع الغربي عن إيمانه، وديانته، قادته إلى هوة سحيقة أثمرت البربرية والفوضوية وصولاً إلى اللاعقلانية واللا أدرية(٢).

---

(١) انظر: موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، د. صالح الدميجي، ص٧٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٨١.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

۞ السبب الثالث: المذهب العقلي:

في أواخر القرن السابع عشر، دخل الأوروبيون عصر العقل، وبدلاً من اعتماد العلماء والدارسين والفلاسفة على النصوص المقدسة، اكتسبوا توجهاً نحو المستقبل واستعداداً لنبذ الماضي والبدء من جديد، وبدأوا يكتشفون أن الحقيقية لم تكن أبداً مطلقة وذلك بعد أن حطمت الاكتشافات الجديدة الثوابت القديمة(١).

فالمذهب العقلي أو العقلاني هو اتجاه تنويري يثق في الإنسان وبعقله الذي يمكنه من إدراك الحقيقة واكتساب المعرفة، ولا حاجة إلى سلطة تفرض عليه لكي تدله على الحقيقة، كما كان الوضع في أوروبا في العصور الوسطى، وقد سادت العقلانية في القرن السابع عشر في أوروبا كثورة على خضوع العصور الوسطى الطويل للسلطة الدينية ولأرسطو(٢).

فلبث المذهب العقلي قرنين من الزمان وكان أسباب تقدمه ونجاحه يرجع إلى:

١- إعراض العقلانيين عن الكتاب المقدس وعدم إذعانهم له بأنه مصدراً للحقيقة، أيدهم في ذلك ما وجدوا فيه من تناقض.

٢- بسبب المكتشفات العلمية التي من خلالها ظهرت سذاجة وجهل ما كان عليه المجتمع الأوروبي، مما كان للمذهب العقلي الدور البارز في نشر ثقافة النقد التاريخي للكتب المقدسة وعلى القائمين عليها(٣).

يذهب العقلانيون إلى أن العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة والتي تتسم بطابع الضرورة والكلية، هاتان العلامتان كافيتان للدلالة على صدق قضايا المعرفة من حيث أنها قضايا واضحة وقبلية، أي سابقة على كل تجربة، بمعنى أنها فطرية أو كالفطرية لا تحدث اكتساباً، أي لا تستمد من التجربة الحسية، وذهب أصحاب المذهب العقلي

---

(١) انظر: تاريخ الكتاب المقدس، كارين ارمسترونج، ص١٣٧.

(٢) انظر: قصة الفلسفة الغربية، د. يحي هويدي، ص٥٠.

(٣) انظر: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ص٢١٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

إلى القول بأن العقل هو قوة فطرية في الناس جميعاً، فالإنسان في رأي أصحاب المذهب العقلي لا يتلقى العلم من الخارج، بل من داخل عقله هو، فذهب أفلاطون مثلاً إلى القول بأن نفس الإنسان أو روح الإنسان كانت قبل نزولها إلى الأرض تعيش في عالم آخر، هو عالم " المثل " وكانت النفس تعرف كل الحقائق المطلقة، ثم انتقلت النفس من عالم المثل إلى عالم الأشياء المتغيرة، أي نزلت من عالم المثل إلى عالم الأرض، ومن ثم حلت النفس في الجسد، ومعنى هذا أن الإنسان في رأي أفلاطون يولد مزوداً بمعارف مستمدة من عالم المثل، ولكنه نسيها، فالمعرفة موجودة وفطرية في الإنسان، وما عليه إلا أن يتذكر هذه المعرفة، أي أن المعرفة عند أفلاطون هي تذكر، والجهل نسيان، ويجمع الفلاسفة العقلانيون على وجود الأفكار الفطرية، فهاهو الفيلسوف الفرنسي ديكارت أبو الفلسفة العقلية وزعيم العقلانيين يؤكد على وجود أفكار فطرية، فالعقل عند أصحاب المذهب العقلي هو ملكة فطرية أو كما يسميه ديكارت هو نور الفطرة أو النور الطبيعي، فالعقل عند أصحاب المذهب العقلي يحتوي على مبادئ مستقلة وسابقة على كل تجربة:

- مبدأ الهوية الذي يقول: أن الشيء هو نفسه ولا يمكن أن يكون غير نفسه.
- وكمبدأ عدم التناقض الذي يقول: أن الشيء لا يمكن أن يتصف بصفة ونقيضها في وقت واحد، فلا يمكن أن نقول عن الشيء أنه موجود وغير موجود في وقت واحد.
- الكل أكبر من أي جزء من أجزائه، أو أن الكل يساوي مجموع أجزائه.
- العدم لا يمكن أن يكون علة لشيء ما.
- كل ما يحدث في الكون له علة أو سبب نتج عنه.
- حرية الإنسان هي من المسلمات التي ينبغي أن نسلم بها دون أن يساورنا في ذلك شك[1].

---

(١) انظر: ما هي الفلسفة، ص١٣٤، ١٣٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

فهذه المبادئ عند أصحاب المذهب العقلي موجودة في العقل مستقلة وسابقة على كل تجربة، وأن الإنسان يستطيع عن طريق هذه المبادئ العقلية أن يعرف ويدرك العالم الخارجي، كما أن أحكام العقل تتصف أيضاً بأنها ضرورية أي أحكامه واضحة بذاتها ونتائجها حتمية، وتتصف كذلك، بأنها كلية، أي عامة ومشتركة بين الناس جميعاً، وليست مقتصرة على فرد دون فرد أو جماعة دون أخرى، ونظر العقلانيون فوجدوا أن قضايا العلوم الرياضية تتوافر فيها هذه الشروط جميعاً، أي أنها مطلقة وضرورية وكلية، لذلك اتفق أصحاب المذهب العقلي على أن العلوم الرياضية تمثل النموذج الصحيح لما يجب أن تكون عليه القضايا الفلسفية(١).

لقد كان من خصائص الفلسفة الحديثة لفت عقل الفرد وتحريره من رق رجال الكنيسة، وتقرير حق الأفراد في الحكم على الأشياء، فلكل فرد أن يبحث وينتقد غير مقيد في ذلك بأي سلطة خارجية(٢).

يقول كانط: "إن قيام الجمهور بتنوير نفسه هو أولى الأمور وأقربها إلى الاحتمال. إذ سيتوفر في هذه الحالة عدد ممن يفكرون بأنفسهم، وينشرون حولهم روح التقدير العقلي لقيمة كل إنسان وواجبه في أن يفكر بنفسه، ولكن مثل هذا التنوير لا يتطلب شيئاً غير الحرية، وأبعد أنواع الحرية عن الضرر، ألا وهي حرية الاستخدام العلني للعقل في كل الأمور"(٣).

يعرف القرن الثامن عشر في أوروبا بعصر العقل في معظم الأحيان وكذلك يسمى بعصر التنوير(٤). وفي ذلك القرن الذي يوصف بعصر العقل أو التنوير قام الفلاسفة باستخدام العقل في الدعوة إلى الحرية(٥).

---

(١) انظر: ما هي الفلسفة، ص١٣٦، ١٣٧.

(٢) انظر: قصة الفلسفة الحديثة، ص٤٨.

(٣) نقلا عن: فلسفة الحضارة، ص١٢٢.

(٤) انظر: الإلحاد في الغرب، د. رمسيس عوض، ص١١٥.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص١٢٣.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

لذلك فمقومات التنوير الأساسية هي كالتالي:

١- **العقل**: أي أن يُحكَّم المرء عقله في جميع القضايا التي تُعرض على تفكيره، حتى وإن كانت هذه القضايا قضايا دينية، ومن هنا، فإن الفكر التنويري يكون هو الفكر الذي يرفض كافة مظاهر التفكير الخرافي، فالعقل يمثل أحد أهم مقومات التفلسف.

٢- **الحرية**: والمقصود هنا بالحرية الفكرية في المحل الأول، بحيث لا يخضع المرء في تفكيره لأية سلطة خارج عقله، بحيث يمكن أن يعبر عن رأيه من دون أن يخضع لأي ضغط خارجي.

٣- **الانفتاح الفكري**: حيث يقوم الفرد بالاطلاع على سائر الآراء والأفكار التي تتاح له معرفتها، وذلك في غير تعصب لها أو عليها، فهو ينظر إلى فكر الآخرين على أنه قد يحتمل الخطأ والصواب، ويجب ألا يحكم عليه إلا بعد فحصه واختباره[١].

لقد تعرض أنصار المذهب العقلي للكثير من المخاطر من مخالفيهم، ومع ذلك شهدت فرنسا مثلاً هجوماً من الفلاسفة على عدم التسامح وعلى مراقبة رجال الدين الكاثوليك وحتى امتيازات الطبقات الحاكمة التي كانت تساندهم، وكان للمذهب العقلي وأنصاره الدور البارز في القضاء على احترام الكنيسة[٢].

وبذلك نزعت أوروبا سلطان الدين ـ المحرف ـ عنها، وانزوى رجال الدين في كنائسهم وأديرتهم، وأصبح العقل صاحب السلطان، فهو السيد المطاع، وهو المرجعية الوحيدة التي يثقون بها ويتكئون عليها ويلجأون إليها لحل مشكلاتهم الحياتية على أنواعها يقول مصطفى صبري بشأن تقديسهم العقل: "واتخذ الباريسيون في ثورتهم امرأة حسناء عصرية من نساء باريس، أطلقوا عليها (آلهة العقل) ليدّلوا بتمجيدهم

---

(١) انظر: ما الفلسفة، د. إبراهيم محمد تركي، ص١٩٢.

(٢) انظر: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، د. جلال يحيى، ص٢٥٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩ Ali Fattani

إياها على اطراحهم لأساليب التفكير البالية، واعتناقهم للعقل وحده، دون أن يكون لغيره عليهم سلطان، وقد استتبع هذا التمسك بالعقل ومنطقه الكفر والإلحاد في انجلترا وفرنسا على السواء، وأخذت العقيدة الدينية تتقوض وتنهار، وطغى الإلحاد حتى أصبح بدعة، سائداً في الأندية، وهكذا غاص الإيمان وساد العقل وانتصر، وبذلك برزت القيم المادية، وخفت صوت القيم الروحية، لا بل أصبح كل ما هو ديني موضع ازدراء وسخرية، وأصبح الدين - في نظر فلاسفتهم - شيئاً من الماضي الذي لا يتلاءم مع عصر العقل والتنوير"[1].

لذلك رأى العقل الأوربي أن ترك الدين والذي كان ممثلاً في المسيحية المحرفة والتحول عنه، والاستقلال عن الكنيسة سوف يتيح له حرية البحث المستقل دون رقابة كهنوتيه، ودون وصاية من رجال الدين، ولذلك حينما استرد العقل الأوروبي حريته، كفر بهذا الدين الذي حتم عليه الإيمان بعقائد لا يفهمها، وتحول إلى الاتجاه المقابل الذي لا يؤمن إلا بالمادة، ولا يعتقد إلا في المحسوس، وأصبح لا يرى تفسيراً لحقائق الأشياء إلا التفسير المادي[2].

فسخرت جاهلية عصر النهضة عقلها في كيفية الاستغناء عن الله وإخراج موضوع الألوهية من ميادين الفكر والحياة واحداً إثر الآخر، كان التفكير الحر معناه الإلحاد ! ذلك أن التفكير الديني معناه الخضوع للقيد الذي قيدت الكنيسة به العقل وحجرت عليه أن يفكر، فمعنى الحرية الفكرية هو تحطيم ذلك القيد الذي يغل العقل من التفكير. يقول برنتون " فالمذهب العقلي يتجه نحو إزالة الله وما فوق الطبيعة من الكون، فإن نمو المعرفة العلمية وازدياد الاستخدام البارع للأساليب العلمية يرتبط بشدة مع نمو الوضع العقلي نحو الكون " إن الاتجاه الفكري النافر من الدين، المتجه إلى الإلحاد، لم يكن رد فعل لخطأ واحد من أخطاء الكنيسة وهو الحجر على العقل

---

(١) نقلاً عن: الديمقراطية في ميزان العقل والشرع، د. نايف معروف، ص٦٥.

(٢) انظر: تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر، د. أحمد اللهيب، ص٩٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

خوفاً من مناقشة المسلمات المفروضة، إنما كان في الحقيقة رد فعل أو نتيجة لأخطاء متعددة في وقت واحد، فالجهالة العلمية التي عانتها أوروبا عدة قرون في ظل سيطرة الكنيسة جعلت للعلم فتنة ليست من طبيعته في الأحوال العادية وفي النفوس السوية، فضلاً عن أن حرب الكنيسة للعلم والعلماء في عصر النهضة - باسم الدين- جعلت طريق البحث العلمي هو طريق معاداة الدين(١).

لقد خلق الله ﷻ هذا العقل وزوده بأدوات تمكنه من سلوك الطريق الذي يفضي به إلى الحق إذا تجرد عن الأهواء والنوازع والأغراض، ولكنه ﷻ أيضاً جعل لهذا العقل حدوداً كما جعل للبصر حدوداً، وحدوده لا يمكن أن تتجاوز عالم الشهادة والحس، ولذلك فكل المغامرات العقلية التي تريد أن تستكنه الغيب أو تستكشف الملكوت الأعلى باءت بالفشل، والتاريخ الفلسفي الذي بين أيدينا أبرز دليل على ذلك، ونجد فيه مغامرتين للعقل الغربي استغرقت كل مغامرة منهما أكثر من خمسمائة عام، الأولى: مغامرة العقل اليوناني، والثانية: مغامرة العقل الأوربي الحديث، وكلتا المحاولتين انتهت إلى الشك والعدمية واللا أدرية، وعندما ينتهي العقل إلى الشك والعدمية واللا أدرية مع تمكن النوازع الغريزية والأرضية منه فإنه يصبح وحشاً جامحاً لا يمكن أن يقف في طريق رعوناته وشهواته وأهوائه شيء، وهذا ما حصل عبر مسيرة الفكر الأوروبي على مستوى الأفراد وعلى مستوى الدول والمجتمعات، حتى سئم الإنسان نفسه، ولم يعد يشعر لوجوده معنى، لقد أصبح همته وغايته لا يتجاوزان الحدود التي وقف عندها عقله، فلم يفكر بعالم آخر للجزاء والحساب، ولذلك فكل ما يمكنه أن يصل إليه من المتع والملذات يجد أن عليه أن يقتنصها بسرعة قبل أن تذهب منه(٢).

---

(١) نقلاً عن: مذاهب فكرية معاصرة، د. محمد قطب، ص٥١٦، ٥١٧.

(٢) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، د. أحمد الطعان، ص٨٤٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

إذاً يمكن تلخيص أسباب نجاح التسامح الديني في العالم الغربي في ثلاثة أسباب:

الأول/ المذهب الإنساني والذي يهدف إلى دراسة الإنسان لذاته، بعيداً عن كل ما يحيط به من أفكار وعقائد ومسلمات، معتمداً على الفلسفة في نقد الدين وكل ما يتصل بالعصور الوسطى، فهذا المذهب قائم على أن الإنسان مقياس كل شيء، والإشادة بالعقل، والاهتمام بالطبيعة، وإنكار أي معرفة خارج الإنسان كالوحي والدين.

الثاني/ المذهب الشكي حيث قام ديكارت يدعو إلى استبعاد كل سُلطة غير سُلطة العقل وأن على الباحث ألا يقبل حقيقة على أنها كذلك، إلا بعد اكتشاف العقل لها ؛ وذلك عن طريق الشك فكل إنسان لا بد أن يشك ولو مرة واحدة في حياته في كل ما آمن به من حقائق، وما توارثه من معتقدات وآراء متواترة، فقام الفلاسفة من بعده بالعمل بالشك المنهجي وأن كل شيء موضع فحص واختبار، فمن أراد البحث فعليه أن يحرر نفسه من الأفكار السابقة، ولا يقبل منها إلا ما يثبته العقل بداهة.

الثالث/ المذهب العقلي يدعو أصحاب هذا المذهب إلى ثقة الإنسان بعقله الذي من خلاله، تدرك الحقيقة وتكتسب المعرفة، فلا حاجة إلى سُلطة تفرض عليه لكي تدله على الحقيقة، فالعقل هو المصدر الوحيد للمعرفة.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الفصل الثالث

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الفصل الثالث

أسس التسامح الديني في العالم في الغربي

وفيـــه تمهيـد وثلاثـة مباحـث:

۞ المبحث الأول: الحداثة.

۞ المبحث الثاني: البراجماتية.

۞ المبحث الثالث: الديمقراطية الليبرالية.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

التمهيـــــد

التسامح الديني في المجتمع الغربي كان ـ بزعمهم ـ حاجة وجودية ملحة للخروج من أتون حروب التعصب الديني التي دامت نحو قرن ونصف قرن، من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن السابع عشر ميلادي.

فكان المخرج من تلك الحروب التي استمرت بين المذاهب النصرانية هو تكريس قيمة التسامح الديني ـ كما يزعمون ـ .

ثم ما لبث أن صار ذلك التسامح قيمة مناطها الحرية الفردية ـ المشوهة ـ، وتقبل ممارسة الفرد لتلك الحرية لا يلتزم فيها بأي قيمة دينية.

لذلك فالتسامح الديني موقف قائم على تقبل المواقف الصادرة من الغير، وآرائه المخالفة، وهو نتاج تاريخي لحضارة الغرب، وجزء لا يتجزأ من وصف المجتمعات التي تمارس الديمقراطية، والحرية والانفتاح على وجهات نظر الآخرين للدين والعالم، وإلا فإنه يوصف من خالفه بالتعصب.

يقوم التسامح الديني في الفكر الغربي المعاصر على ثلاثة أسس من خلالها ينطلق دعاته في الغرب وهي: الحداثة، والديمقراطية الليبرالية، والبراجماتية.

فالحداثة تسعى إلى التحرر من الدين وتنبذ التقليد وترتكز على العقل والعلم وتسعى إلى إخضاع المجتمع إلى العقل بوصفه الأداة الوحيدة لتحرير الإنسان من كل سلطة.

والديمقراطية الليبرالية والتي هي نظام قوامه حماية الحريات، وأن لكل شخص اعتقاد ما يشاء، على أساس الإقرار بالتعدد، والمساواة المطلقة بين الأفراد والجماعات، وأن لها حق الاختلاف، فالناس متساوون فيما بينهم مهما اختلفت مذاهبهم وديانتهم.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

والبراجماتية التي تتعامل مع الأفكار أياً كانت على مدى فائدتها ونفعيتها للفرد والمجتمع، فالغاية فيها تبرر الوسيلة في سبيل تحقيق رغبات الأفراد.

فالتسامح الديني في الفكر الغربي المعاصر يعتمد على ثلاثة أسس، الحداثة كآلة وأداة ومنهج ينطلق منها في التعامل مع الأفكار والآراء والاختلافات، والبراجماتية كغاية يسعى من خلالها لتحقيق المصالح والمنافع، والديمقراطية الليبرالية كنظام يحميه فيما يدعو إليه باسم الحرية الشخصية وحقوق الإنسان.

وقد قسمت أسس التسامح الديني في هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: الحداثة.

المبحث الثاني: البراجماتية.

المبحث الثالث: الديمقراطية الليبرالية.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المبحث الأول
الحداثـــــــــة

أدى بروز الحداثة إلى اعتماد التسامح الديني عليها، فتوسع في مجالات عدة بعد أن كان مقتصرا على حرية العبادة، فعلى سبيل المثال ظهرت الإباحية، وتحرير المرأة وغير ذلك.

لقد استمدت الحداثة جذورها من فلسفة الأنوار التي أعلنت مركزية الإنسان وفردانيته، وتفسيره لذاته وبيئته والكون المحيط به من غير حاجة إلى وحي، فهي نتاج العقل، تسعى إلى التحرر من الدين والارتكاز على العقل والعلم، والثورة على الكنيسة والدعوة إلى التحرر الفكري من سيطرتها، ومن النفوذ الواسع الذي يتمتع به رجال الدين، واحتكارهم للعلم والمعرفة.

فالتسامح الديني يعتمد على مفاهيم الحداثة الغربية، وتأسيسه ووجوده على أرض الواقع حاجة ملحة للخروج بالمجتمعات الغربية من الصراعات والحروب الدينية القائمة على التعصب.

كان المخرج من ذلك هو إقامة الدين على العقل، والسعي في القضاء على الفكر أو الرأي الواحد، تمثل ذلك في الشك المنهجي الذي يرمي إلى تحرير العقل من كل حكم مسبق، ومن أي سلطة مرجعية.

كما أن الحداثة تعتمد على فلاسفة ومفكرين كان لهم الدور البارز في إحداث القطيعة مع الماضي، وجعل الإنسان مقياس لكل شيء.

فالتسامح الديني تتبناه الدول الحديثة في الغرب، وتجعله من الحقوق والواجبات على الحكومات الذي من خلاله يقضى على التعصب الذي عانت منه أوروبا طيلة قرن ونصف القرن، وحق الإنسان في تقرير شئونه، وتحقيق رغباته، دون إكراه أو قيد.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

لذلك الحداثة لا يمكن اختصارها في مذهب محدد، أو في مدرسة بعينها، أو حتى في مجرد قوانين جامعة يمكن من خلالها إدراكها إدراكاً كلياً[1]، لكن جاء في تفسيرها في موسوعة إنكارتا بأنها: "هي الفترة التي تمتد من عصر الأنوار إلى الوقت المعاصر، وتسعى إلى تغيير الكون وجميع الأشياء فيه عقلياً"[2].

إن مفهوم الحداثة له تعريفات كثيرة، لكن ثمة ما يشبه الإجماع على أن الحداثة مرتبطة تماماً بفكرة الاستنارة الذي ينطلق من فكرة أن الإنسان هو مركز الكون وسيده، وأنه لا يحتاج إلا إلى عقله سواء في دراسة الواقع أو إدارة المجتمع أو للتمييز بين الصالح والطالح، وفي هذا الإطار يصبح العلم هو أساس الفكر، والتكنولوجيا هي الآلية الأساسية في محاولة تسخير الطبيعة وإعادة صياغتها ليحقق الإنسان سعادته ومنفعته، والعقل هو الآلية الوحيدة للوصول إلى المعرفة[3].

ويمكن القول في الحداثة: بأنها حركة فكرية حديثة وشاملة كرؤية جديدة للعالم، آذنت بميلاد نظام معرفي جديد في أوروبا، وأنزلت العقل منزلة السلطة المرجعية المعرفية الوحيدة في إدراك العالم الطبيعي والاجتماعي، وتكريس الإنسان هدفاً نهائياً للتحرر والتقدم، وكأنها ثورة تتجه صوب التجديد وإلغاء القديم، عنوانها العقل القاطع للصلة بينه وبين الماضي البالي، كما يصورها أصحابها، آخذاً طريقه نحو التحديث في شتى مجالات الحياة، يقول تورين: "فالحداثة في شكلها الأكثر طموحاً، هي التأكيد على أن الإنسان هو ما يفعله، وأنه من الضروري وجود توافق وثيق بين منتوجات العلم والتكنولوجيا والإدارة وتنظيم المجتمع من خلال القوانين بين الحياة الشخصية التي تحفزها المصلحة، وأيضاً لإرادة التحرر من كل الإكراهات، وإذا ما تساءلنا: على أي شيء يرتكز هذا التوافق بين الثقافة العلمية والمجتمع المنظم والأفراد

---

(١) انظر: طه عبد الرحمن ونقد الحداثة، بوزيرة عبد السلام، ص٢٧.

(٢) نقلاً عن: مقالات نقدية في الحداثة والعلمانية، سعيد فوده، ص١٠.

(٣) انظر: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، عبد الوهاب المسيري، ص٣٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الأحرار؟ فسيكون الجواب: على انتصار العقل"[1].

الحداثة ترتبط أولاً وأخيراً بالمجتمع الغربي، فهي خصوصية يتسم بها الغرب، ابتدعها من أجل فرض ثقافة شاملة عالمية وعقلانية لتحقيق الوحدة، رافضة كل ما يعيق التقدم، فهي ثورة على المألوف، وعلى التفكير الذي لا يتأسس على العقل، وتقويض لكل ما هو مؤسس على الخرافة والأسطورة، وبالتالي فقد شكلت الحداثة قطيعة مع العصور الوسطى المظلمة، وفي الوقت نفسه، تواصلاً مع عصر النهضة وعصر الأنوار، الذي لا يؤمن إلا بالعقل والذات المفكرة المبدعة والناقدة...[2]

المتتبع لتاريخ الحداثة ومساراتها ومجالاتها، يمكنه أن يتلمس بعض السمات والمميزات التي تتصف بها، ويمكن ذكرها في النقاط التالية:

- الحداثة فكرة لا تقتصر على الجانب الأدبي فقط، فالحداثة خطاب يُعم ويشمل جوانب حياة الإنسان كافة، اجتماعية كانت، أو فكرية، أو صناعية أو غيرها، وبالتالي فالحداثيون يقدمون تصوراً عاماً في حياة الإنسان.

- الحداثة مشروع أساسه العقل والعقلانية التي لا تؤمن إلا بما يدركه العقل فقط، فالعقل المتحرر من كل سلطان هو معيار أهل الحداثة، إذ أن الحداثة تحيل إلى أن يكون الإنسان هو محور أي عمل، وهذا معناه ميلاد نزعة إنسانية ويعني أيضاً مركزية ومرجعية الذات الإنسانية وفاعليتها، بل محكوماً من طرف العقل.

- الحداثة حركة معاكسة للماضي، وانقلاب على كل معالمه ودلالاته، فهي انفصال الحديث عن القديم وانقطاعه عنه، بل الحداثة ثورة على كل قديم مقدس أو غير مقدس، ديني أو دنيوي، فالحداثة ثورة في جوهرها عملية انتقالية تشتمل على التحول من نمط معرفي إلى نمط معرفي آخر يختلف عنه جذرياً، وهي انقطاع عن

---

(١) نقلا عن: طه عبد الرحمن ونقد الحداثة، ص٣٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الطرق التقليدية لفهم الواقع، وإحلال أنماط معرفية وفكرية جديدة.

- الحداثة مشروع أوروبي في موطنه ونشأته، عالمي في أبعاده وامتداداته، إذ يكتسح كل ما في طريقه، بالنظر إلى ما تمارسه الحداثة من إغواء وإغراء تارة، وقوة وعنف تارة أخرى، تجعل المغلوب ملزماً بتقليد الغالب وخاضعاً لأوامره وشروطه، خصوصاً مع التطور العلمي والتكنولوجي الكبير...(١)

ما بعد الحداثة:

ظهرت ما بعد الحداثة كردة فعل على الحداثة وما وصل إليه الإنسان في أوربا بسببها إلى التفلت والانحطاط وانعدام للقيم والمبادئ، ولذلك قد يقول قائل: إننا في زمن ما بعد الحداثة، وقد تجاوزنا مرحلة الحداثة إلى مرحلة ما بعد الحداثة، لكنها - أي ما بعد الحداثة - بمختلف تجلياتها ما هي إلا استمرار لمنطق الحداثة ولعمقها المتمثل في النقد المستمر والتجاوز الدائم لذاتها، وكيفما كان الحال، لا يمكن القول إن الغرب قد قطع صلته بالحداثة لينغمس في مرحلة ما بعد الحداثة، بل إن الأمر يتعلق بصيرورة الحداثة نفسها التي أنجبت ما يدعوه آلان تورين " المتخيل الثقافي في ما بعد الحداثي"، والذي يمثل إعادة تجديد العلاقة المتوترة بين العلم والحرية، وبين العقلانية والذاتية....(٢)

لذلك الحداثة هي الأرض التي تقف عليها ما بعد الحداثة، وتشتبك معها في جدال ونزاع دائم، بل إن حركة ما بعد الحداثة، شاءت أم أبت، هي في آخر الأمر، إحدى النتائج المترتبة على مشروع الحداثة نفسه، ولكن هذا المصطلح مهما بلغت جدته، يظل مرتبطاً بعلاقة جدلية بمفهوم الحداثة، أي أن مصطلح ما بعد الحداثة، يظل متاخماً لمفهوم الحداثة ومرتبطاً به تلازمياً، بحيث لا يمكن معرفة ما بعد الحداثة،

---

(١) انظر: طه عبد الرحمن ونقد الحداثة، ص٣٧ وما بعدها.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٧٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

إلا باستدعاء الحداثة وأنها لحظة تاريخية سابقة، حتى وإن جاءت ما بعد الحداثة بوصفها نفياً للحداثة[١].

فما بعد الحداثة هو استمرارية للحداثة، وهي كما قال الفيلسوف الألماني هابرماس بأن " الحداثة مشروع لم يكتمل "[٢].

لقد جعلت الحداثة من الإنسان مركز الاهتمام الأول في هذا الكون، وجعلت من العقل مصدراً لكل حقيقية، ولكل يقين، وما يريده هذا الإنسان هو الصواب هو الصلاح وما لا يريده يسلبه، ينفيه، ينكره، فلا يعترف به، ورفضت الاعتراف بأي حقيقة من خارج الإنسان، أو من خارج وعي الإنسان ووضعته بذلك في مكانةٍ فوق مكانته، وضعته في مكانةٍ لا طاقة له بها، ولا قدرة له عليها[٣].

وبذلك فالحداثة لا تعبر إلا عن أزمة الإنسان الأوربي، الذي يبقى الخاسر الأكبر وليس الوحيد في المشروع الحداثي، إذ أن ثورته على سلطان الكنيسة في القرون الوسطى لم تكن إلا لغرض تحرر الإنسان من اضطهاد محاكم التفتيش، التي صادرت كل تفكير يتنافى مع ما أقره آباء الكنيسة، فكان العلم هو البديل والمخلص، ومن بعده العقل الذي أهدى جميع كشوفاته على التقنية في القرن التاسع عشر، واعتقد الإنسان الأوروبي معه أنه سيطر على الطبيعة بواسطة العقل، بيد أن الحلم تحول إلى كابوس، إذ غدا العقل سبباً في شقاء الإنسان، ليس الأوربي فقط، هذا الانقلاب الذي أحدثه العقل في أوربا الذي جعل الفرد يعلن الثورة ضد كل يقين موضوعي، وبدل أن يحاول محاورة هذا العقل تمرد عليه، فكان الشك بديلاً تحول فيه كل مقدس إلى مدنس، والنظام إلى فوضى، والمعنى إلى اللامعنى، إنها سجن العديمة ليس الفرد الأوروبي فقط هو الذي يكابد هذه الأزمة ويتحمل تبعاتها ونتائجها، بل إن الحداثة الغربية

---

(١) انظر: التحولات الفكرية للعولمة، د. توفيق الصالحي، ص٢١٩وما بعدها " بتصرف ".

(٢) نقلاً عن: قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ص٣٠٨.

(٣) انظر: الإسلام كمجاوز للحداثة وما بعد الحداثة، سالم القمودي، ص١٤٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

ألقت بظلالها على جميع المجتمعات، بغض النظر عن أوطانها وعقائدها وثقافاتها...[1].

يمكن إيجاز الوضع الذي آل إليه واقع الإنسان الحديث من جراء طمع العقل الحداثي الغربي وسعيه إلى التغيير، في قول عدنان رضا النحوي وتقويمه للحداثة الغربية: "تمثل الحداثة في العالم الغربي، كما يرسمها واقعها وفكرها وممارستها، الصورة المنحرفة لسعي الإنسان إلى التغيير وسعيه وراء الجديد سعياً متفلتاً من الإيمان والتوحيد غارقاً في ظلام الشرك والإلحاد، سعياً يجمع اليوم خبرة آلاف السنين في الانحراف، والشذوذ، والأمراض النفسية، والعصبية، والشر، والفساد في الأرض، وطغيان الشهوة الجنسية المتفلتة والملتهبة، وفورة سائر الشهوات المدمرة لتدفع هذه كلها ردود فعل نفسية عنيفة غير واعية في ثورة هائجة تحاول هدم الماضي بصورة مستمرة متتالية، حتى لا يبقى حسب ظن رجالها شيء ثابت في الحياة، لهجوم جنوني على التراث والدين وثورة على الحياة وعلى سنن الكون بين قلق الشك والريبة، وفجور الكبر والغرور، إنها تمثل انحطاط الإنسان إلى أسفل سافلين بما كسبت يداه"[2].

يقول سيمون جارحي: "إن الغرب فقد المرتكزات الروحية والثقافية والدينية التي كان يرتكز عليها، فلم يعد هناك شيء يركن إليه، فالديانة النصرانية فقدت مقوماتها، والتوق إلى الروحانيات انتهى واضمحل في النفوس، وأصبح في الغرب نوع من الفراغ، ونوع من الضياع الشامل تكتوي به الأجيال الشابة"[3].

هذه هي الحداثة التي تبناها العالم الغربي والتي تجعله ينظر إلى نفسه على اعتبار أنه هو مركز العالم، وأن ينظر إلى العالم على أنه مادة استعمالية يوظفها لصالحه باعتباره

---

(١) انظر: طه عبد الرحمن ونقد الحداثة، ص٩٠، ٩١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٣٣.

(٣) نقلا من: طه عبدالرحمن، ص١٣٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الأكثر تقدماً وقوة، ولذا فإن منظومة الحداثة الغربية هي في واقع الأمر منظومة امبريالية داروانية[1].

(١) انظر: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، د. عبد الوهاب المسيري، ص٣٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩ Ali Fattani

المبحث الثاني
البراجماتيـــــة

التسامح الديني قائم على أن الإنسان لا يستطيع الوصول إلى الحقيقة المطلقة، وأنه لا أحد يملك الحقيقة، وأن الحق نسبي، وهذه هي الفلسفة السفسطائية، والتي هي في الأساس قائمة على الشك في كل شيء، فلا يوجد ما هو حقيقة مسلم بها، ولا يوجد ما هو ثابت، كل شيء موضع شك وريبة، وكل شيء خاضع للجدل، وقد أثرت هذه الفلسفة السفسطائية على المجتمع الغربي ومناحيه الفكرية والمذهبية، وزعزت الأفكار والمسلمات التي كانت سائدة في المجتمع.

فلم يعد هناك معيار ثابت في الغرب لطرح أي فكرة أو رأي، وأصبح المعيار الحقيقي في حياتهم العلمية والعملية هو ما يحققه من منفعة، ودعوتهم للتسامح الديني إنما ينطلق في الأساس بما يترتب عليه من فائدة على أرض الواقع سواء على مستوى الدول أو على مستوى الأفراد، وبذلك يكون التسامح الديني في الغرب براجماتي، فالبراجماتية هي القاسم المشترك عندهم، وقيمة أي رأي أو فكرة فضلا عن التسامح الديني ما تحققه من نتائج ملموسة، وإذا لم يكن ثمت نتائج مفيدة فلا قيمة له.

لذلك فالبراجماتية مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها وآثارها عملياً، والمعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة، وله صور في الفلسفة والتربية والدين والأخلاق والاجتماع والسياسة وكافة المجالات في الحياة، فالبراجماتية بوجه عام عبارة عن وصف لكل ما يهدف إلى النجاح أو إلى منفعة خاصة، وعند كانط هو: كشف المستقبل في ضوء الحاضر، وعنده أيضاً الاعتقاد البراجماتي هو التسليم بأمر لضرورة عملية مثل محاولة طبيب ما تشخيص المرض بصورة مبدئية[1].

---

(١) انظر: الفلسفة التطبيقية، د. مصطفى النشار، ص٢٠٦.

ماجستير_ عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

فقياس أي فكرة في الفلسفة البراجماتية بمقدار ما تحققه من نتائج على أرض الواقع[١]. ولذا نجد أن الفلسفة البراجماتية تمتد تأثيراتها إلى معظم المجالات الفكرية وتعد اليوم القاعدة الفلسفية للعالم الجديد[٢].

يقول الدكتور جميل صليبا في تعريف البراجماتية: "البراجماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني براجما، ومعناه العمل، وهي مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة، أي الفكرة التي تحققها التجربة، فكل ما يتحقق بالفعل هو حق، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية، ومعنى ذلك كله أنه لا يوجد في العقل معرفة أولية تستنبط منها نتائج صحيحة بصرف النظر عن جانبها التطبيقي، بل الأمر كله رهن بنتائج التجربة العملية التي تقطع مظان الاشتباه، وإذا كانت الحقائق العلمية تتغير بتغير العصور، فإن الصادق في الحاضر قد يصبح غير صادق في المستقبل، ونتيجة ذلك أن صدق القضايا يتغير بتغير العلم، وأن الأمور بنتائجها، وأن الحق نسبي، أي منسوب إلى زمان معين، ومكان معين ومرحلة معينة من مراحل العالم، فليس المهم إذن أن يقودنا العقل إلى معرفة الأشياء، وإنما المهم أن يقودنا إلى التأثير الناجح فيها[٣].

تقريرات المنهج البراجماتي:

١- المنهج البراجماتي يرى ضرورة تجاوز الماضي الذي عاش فيه غيرنا، فالمستقبل هو الهدف الأسمى الذي تسعى إليه الفلسفة البراجماتية، يقول جميس [٤] مؤكداً ذلك " لنا الآن أن نقرر بثقة ويقين أن الرغبة في تحديد المستقبل وفي تعيينه تكون عنصراً مهماً

---

(١) انظر: تطور الفكر السياسي من الاشتراكية إلى الليبرالية الجديدة، د. عدنان السيد، ص١١٥.

(٢) انظر: فلسفة التقدم، د. حسن محمد الكحلاني، ص١٠٠ " بتصرف ".

(٣) المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، ج/ ١، ص٢٠٤،٢٠٣.

(٤) جيمس وليم : فيلسوف وعالم نفس أمريكي (١٨٤٢ـ ١٩١٠) طور الفلسفة البراجماتية من أشهر مؤلفاته " مبادئ علم النفس " و" ضروب الخبرة الدينية " معجم أعلام المورد ص ١٦٧.

ماجستير_ عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

من عناصر الميول الفلسفية، وأن كل فلسفة تتجاهل إشباع تلك الرغبة، ولا تعمل على ذلك لا يمكن أن تحوز قبولاً عاماً، وبالتالي فإنها فلسفة متشائمة"[١].

٢- المنهج البراجماتي لا يقدم حلولاً جاهزة على غرار الفلسفات الأخرى، بقدر ما يعد برنامجاً أو منهجاً للمزيد من العمل، يقول جميس في هذا "ولذا فإن النظريات تصبح أدوات ووسائل لا إجابات عن ألغاز، فهي منهاج يساعدنا على الحركة للإمام وعلى التقدم، وعند الاقتضاء نعيد صنع الطبيعة من جديد" فالعقل في هذه الحالة هو أداة لفهم العالم وتغييره، والنظريات العملية والفلسفية، وسائل تقودنا لإنجاز أهداف تحدد في المستقبل[٢].

٣- المنهج البراجماتي يرى أن الحقيقة نسبية وليست مطلقة، فالحقيقة هنا نسبية لأنها من صنع الإنسان، ولذا فهي متجولة ومتغيرة بتغير ظروفه، إذ يؤكد شيلر[٣] ذلك قائلاً " أنه لا توجد حقيقية مطلقة، وإنما كل حقيقة فهي إنسانية، وعلى هذا فإن الحقيقة لا تعلن مرة واحدة وإلى الأبد، وإنما هي ديناميكية (حركية) وفي صيرورة مستمرة"[٤].

فالبراجماتية في دعوتها لنسبية الحقيقة تؤكد قدرة الإنسان على صنع حقائق جديدة وإمكان تغييرها، وهذا ما أكدته الفلسفة السوفسطائية من قبل، عندما قال بروتاجوراس " إن الإنسان هو مقياس كل شيء، فالحقيقة البراجماتية من صنع الإنسان تتطور بالممارسة، وتتجدد مع تجدد حاجاته[٥].

---

(١) انظر: فلسفة التقدم، ص١٠٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٠٨.

(٣) شيلر جوهان كريستوف (١٧٥٩ ـ ١٨٠٥) شاعر وكاتب ومؤرخ ألماني . انظر معجم أعلام المورد ص ٢٦٧.

(٤) انظر: فلسفة التقدم، ص١١٩.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص١١٦، ص١١٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

٤- المنهج البراجماتي يرى أن التقدم يتم بالأفعال الإنسانية الحرة، والتمرد على كل قانون ضروري وحتمي، فالتقدم والنظر إلى المستقبل لا يكون إلا بالأخذ بالجديد وإحداث القطعية مع الماضي وذلك عن طريق الحرية التي تدعو إلى الأخذ بكل جديد(١).

٥- المنهج البراجماتي لا يهتم بمصدر الأفكار ولا بكيفية ظهروها وإنما يهتم بنتائجها العملية المؤثرة على سلوكنا وحياتنا(٢).

النتيجة التي تخلص إليها البراجماتية ـ في الغرب ـ هي أن التعامل بالأفكار هدفه تحسين تصرفات الإنسان ومدى نجاحها في الحياة، وحين يتبين عدم نفعيتها يمتنع حينئذ التفكير بها، أما إذ تبين نفعيتا فلا بأس حينئذ أن يشرع العقل في التفكير فيها وإخراجها إلى حيز الوجود، وتطبيقها تطبيقاً مباشراً ليتوصل بعد ذلك إلى نتائج عملية مؤثرة(٣).

هناك عدة انتقادات ـ في الفكر الإسلامي ـ للبراجماتية منها:

١- أن فيها دعوة لنسبية الحقائق:

ما دامت الحقيقية ناتجة عما تقدمه من آثار عملية، إذ المنفعة تتعلق بشهوات المرء وأهوائه، فما ينفعني حق بالنسبة لي، وكذلك ما ينفعك حق بالنسبة لك حتى وإن كانا متناقضين في الواقع، فلم يعد هناك معيار خارجي للحكم على الشيء بالصدق أو الكذب، فالشيء الوحد - بناء على المعيار البرجماتي - حقاً وباطلاً بالنسبة إلى شخصين أو جماعتين، اختلفت ظروفهما، فأسدت فكرة ما لأحدهما الفائدة دون الآخر، وتؤدي أيضا إلى أن يكون فكرة واحدة بالنسبة إلى شخص واحد حقيقة عندما تسدي له النفع

---

(١) انظر: فلسفة التقدم، ص١٧٢، " بتصرف ".

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٠٣.

(٣) انظر: التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، ص٣٢٢.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

في وقت ما، وباطلة في وقت آخر عندما لا تسدي له هذه الفائدة لاختلاف معطيات الظروف والملابسات، وعلى هذا فمعيار البراجماتيين غير مضطرد الصدق.

٢- جمعه بين المتناقضات:

فالشخص الواحد يؤمن بالشيء ويكفر به في آن واحد تبعاً لهذا المعيار الذي يجعل المنفعة قبل كل شيء، فالملحد الذي لا يؤمن بالقضية الدينية ويعتبرها وهماً وباطلاً قد يرى فيها الضرورة الاجتماعية، فتكون حقاً وصدقاً، في حين هو نفسه لا يؤمن بها ويراها كاذبة، وعلى هذا التفسير يكون هذا المذهب جامعاً - تبعاً لمعياره - بين الشيء ونقيضه في وقت واحد من جهة واحدة، وفي هذا خروج على مبدأ عدم التناقض[(١)].

٣- البراجماتية تفتقر إلى الموضوعية في عملية بحثها عن الحقيقة، لأنها تخضعها لعامل المنفعة الشخصية، وتجعل من المنفعة والفائدة الميزان الذي تزن فيه الحقائق، وهكذا ينطبق عليهم الوصف القرآني ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣].

٤- لا تستثنى البراجماتية في سبيل تحصيل المنفعة أي وسيلة مهما كانت قذرة، فنراها تلجأ إلى الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

٥- النظر إلى العقل على أنه أداة للبقاء وليس أداة للمعرفة، وفي هذا حط من قدر العقل، الذي أكرمنا الله به وميزنا به عن بقية المخلوقات، ومسخ لدوره، فالبراجماتية تفقد ثقتها بالعقل وبقدراته، فجوهرها قائم على النظرة إلى أن الإنسان مكره على العيش في عالم لا عقلاني يتعذر فهمه، ومهما حاول إدراك الحقيقة الموضوعية، فإن محاولاته ستبوء بالفشل، لذا يجب النظر إلى مختلف النظريات العلمية، والأفكار الاجتماعية والقيم الأخلاقية نظرة أداتية، أي بمقدار منفعتها في تحقيق أهدافه[(٢)].

---

(١) انظر: درجات المعرفة بين الدين والفلسفة والعلم، د. محمد مصطفى بيومي، ص١٩٤، ١٩٥.

(٢) انظر: التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام، د. محمد شيخاني، ص٣٣٢، ٣٣٣.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

٦- تحديد الإدراك الإنساني:

وهذه الفلسفة بقصرها القيمة المعرفية على العمل النافع فقط ـ في الظاهر ـ، قد حددت القدرة الإنسانية، وجعلتها عبارة عن أدوات حسية متجهة نحو العمل، ولا عبرة بالإدراك العقلي أو الدين في توجيه شئون الحياة، وفي نفس الوقت تدعو إلى مبدأ " الغاية تبرر الوسيلة " إذ يسعى كل فرد إلى اكتساب الثمرة المرضية له بأي وسيلة كانت مما تؤثر على المكانة الأخلاقية في المجتمع إذ بهذا المعيار تتلاشى المعايير الأخلاقية فيسود البطش والقوة[١].

البراجماتية يجمعهم القول بأن المنفعة والقيمة والنجاح هي المعيار الوحيد للحقيقة سواء كان ذلك في الإدراك الحسي أم في الإدراك العقلي، فهل ظل هذا المعيار مع فلاسفة هذا المذهب حيال المعرفة الدينية؟

الواقع أن البراجماتيين ينظرون إلى الدين باعتباره رغبة نفسية يجب أن يشبعها الإنسان، فالبراجماتية تعالج الدين لا على أنه حق يجب الإيمان به، بل على أنه جانب من جوانب النفس الإنسانية يمثل أحد رغباتها الهامة التي يجب أن تشبع عن طريق الاعتقاد، المنفعة - إذن - هي التي توجه الإنسان نحو الاعتقاد لا الاقتناع بما يعتقد يستوي في ذلك أتباع كل الديانات، ولا يقتصرون هذا الأمر على دين بعينه، فما دام الإنسان يحقق نفعاً من اعتقاده، فإن هذا وحده يكفي بغض النظر عن صحة ما يعتقد، أو حتى وجوده الخارجي فإن المذهب العملي إنما يدرس الدين من وجهة نظر الحاجات الإنسانية نفسها[٢].

كما أن البراجماتية ينظر أصحابها إلى الدين باعتباره مشبعاً لرغبات الإنسان لا بالنظر إلى ذاته، واعتبروا المسائل الميتافيزيقية عبارة عن ألفاظ مجردة لا يهتم بها

---

(١) انظر: درجات المعرفة، ص١٩٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٣٩٣.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

إلا من جهة تقديمها للمنافع الفردية والجماعية، والدين ما هو إلا ثمرة من ثمار التجمع البشري، ومعنى هذا أنه لا ينشأ عن قوة خارجية، إذ مرد ذلك كله إلى عادات وتقاليد الشعوب، وتطور العلم حدا ببعضهم إلى إنكار وجود الله، وضرورة تطوير الدين وإعادة صياغته تبعاً لتقدم العلم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إيمانهم الكامل بأن الدين مصدره الإنسان، وكذلك لم يهتم البراجماتيون بالشعائر والطقوس التي يقوم بها المتدينين نظراً لأنها تفرض عليه قسراً، ومن ثم يجب إغفال الناحية النظرية التي تقوم عليها العقائد، والاهتمام فقط بالنتائج والثمار العملية، وهذه النظرة من البراجماتيين يعتريها الخطأ من كل جانب، وتحمل في طياتها أدوات هدمها ذلك:

١- أن قول البراجماتيين بضرورة الاحتكام إلى التجربة ينفي قطعاً كل المسائل المتيافيزيقية باعتبارها مما لا يقع تحت الاختبار التجريبي، ومن ثم فحديث البراجماتيين عن الدين منقوض من أساسه.

٢- عند الأخذ بمبدأ البراجماتيين النفعي إزاء الدين، فإن جميع الديانات بناء على هذا المعيار تكون متساوية، ما دام كل فرد يحقق نفعاً، فيتساوى المؤمن والملحد والدين الصحيح مع غيره[1].

لذلك فالأساس الذي ينطلق منه التسامح الديني في الغرب والمعيار الذي يؤمنون به من دعوتهم للتسامح مع المخالف: هو ما يحققه من فائدة ومنفعة على أرض الواقع سواء على مستوى الدول أو على مستوى الأفراد، فوجوده منوط بالمصلحة المظنونة وإلا أصبح محل تنظير، لا مكان له في الحقيقة والواقع.

---

(١) انظر: درجات المعرفة، ص٣٩٦.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المبحث الثالث
الديمقراطية الليبرالية

كان نشوء التسامح الديني ما خلفته الحروب الدينية في أوروبا، وقد أدت سنوات الصراع إلى القبول بالتنوع الديني والرأي الآخر، وأصبح الدين والعبادة أمران شخصيان، وأن أي تدخل من قبل الدولة فيهما قمعي أو مفسد.

فالتسامح الديني في الغرب يدعو إلى حرية التعبير وإبداء الرأي، وهذا لن يكون في دولة عقائدية كما في السابق - العصور الوسطى -، وإنما يكون في دولة ديمقراطية ليبرالية تقبل التنوع والتعدد، وأن لكل إنسان الحق فيما يعتقده، وعلى الدولة أن تكفل هذا الحق لجميع مواطنيها.

في غير ظل الديمقراطية الليبرالية سيتمسك كل طرف بموقفه الجامد تجاه الآخرين، ويتعذر تحقيق التسامح بين الآراء والأحزاب المختلفة، فالتسامح الديني في الغرب لا يتحقق إلا في نظام ديمقراطي ليبرالي، وكلما غابت ثقافة الإقرار بالتعدد والاختلاف والحوار داخل المجتمع، كان التعصب وعدم التسامح.

لذلك فأصل كلمة الديمقراطية في نشأتها مردودة إلى العصر اليوناني القديم ومعناها سلطة الشعب[1]. لكن الديمقراطية المسيحية قد تجد إرهاصاتها في حركة الإصلاح الديني في أوروبا منذ القرن السادس عشر، ردا على تسلط رجال الكنيسة وسيادة عصر صكوك الغفران[2].

فهي نشأت انطلاقاً من فلسفات عصر النهضة الأوروبية، أو عصر الأنوار، فهي بذلك تحمل أفكار عصر الأنوار، فالديمقراطية صفة تطلق على المجتمع الذي

---

(١) انظر: الإصلاح الديمقراطي في الوطن العربي، عبد القادر المخادمي، ص١٩.

(٢) انظر: تطور الفكر السياسي من الاشتراكية إلى الليبرالية الجديدة، ص٨٣.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

يقرن بين أكبر قسط ممكن من التنوع الثقافي وبين أوسع نطاق ممكن من استعمال العقل[١].

كما أنها تتيح للفرد الحرية التامة والتي من خلالها يستطيع الفرد تحويل القناعة الدينية من قناعة جماعية إلى قناعة فردية، فهي لا تمحو الأديان وإنما تجعلها قابلة للتعايش داخل فضاء واحد[٢]. وثمة مبدءان أساسيان للثقافة الديمقراطية كما ظهرت في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وهما: مبدأ أن الإنسان خير وعاقل بطبيعته، ومبدأ التقدم الحتمي المطرد ابتغاء تحقيق الكمال الإنساني على الأرض[٣].

كما أن ثقافة الديمقراطية تتكون من قيم عدة، أهمها:

الحرية، والتسامح، والمساواة، والتعددية، ومن هذه القيم الأساسية تنبثق قيم فرعية أخرى، كلها تصب في نفس المصب في النهاية، فعلى أساس قيمة الحرية، تقوم حرية الرأي والفكر والعقيدة وغيرها من الحريات المدنية، وعلى أساس قيمة المساواة تقوم فكرة المواطنة التي لا تستقيم دولة حديثة دون أن ترتكز عليها كمرجعية في العلاقة بين الدولة والفرد، وعلى أساس التعددية والحرية تتعدد الأفكار والبدائل، مما يؤدي إلى التنوع والتنافس[٤].

كذلك نظرية العقد الاجتماعي التي تغفل دور الدين وتهمله، وأن هذا العقد إنما يكون بين الإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه وتتفق مصالحه مع مصالح الفرد ورغباته، لا مع مجتمع آخر بعيد مهما كانت قوة الصلة الدينية به، فهي تهدف إلى نزع ولاء الفرد من الكنيسة وإعطائه للدولة وإلى قطع الروابط الدينية ليحل محلها روابط وطنية، كما أنها جعلت القيمة العليا للمصلحة المادية التي بسببها تم إبرام العقد

---

(١) انظر: ما هي الديمقراطية، آلان تورين، ص١٨٣.

(٢) انظر: الهوية العربية فجوة الأدلجة والواقع، لطفي المرايحي، ص١١٧.

(٣) انظر: تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون، ص٣٨٥.

(٤) انظر: تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة، عبد الجليل أبو المجد، ص٧٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

وليست للملكوت الذي تبشر به المسيحية أو المثل أو الفضائل التي كان المجتمع يعدها أغلى ما يملك[١].

منطلقات الديمقراطية:

١- أن الإنسان الفرد هو أساس الديمقراطية وغايتها في آن معاً، فهو ذا قيمة في ذاته وإنسانيته هي منتهى كل سياسة وتنمية وتقدم[٢]. فالديمقراطية ليست مجرد طريقة في ممارسة السلطة، وإنما هي تجربة تنطوي على شكل من أشكال ممارسة الإنسان لذاته ولفكره[٣].

٢- حرية التعبير، فالحرية قيمة أساسية وشرط لاكتمال إنسانية الإنسان، وهي وسيلة للتعبير عن حاجاته، ووسيلة لمشاركته - فرداً أو جماعة - في هموم الآخرين[٤].

٣- القبول بالتنوع والتعدد، حيث إنه ينبع من ممارسة الحرية، ذلك أن قيام الأفراد بممارسة حرياتهم يفضي إلى ظهور آراء مختلفة[٥].

٤- الديمقراطية تتنافى مع العقل العقائدي سواء كان هذا العقل دينياً أم غير ديني، ذلك أن العقل العقائدي، والإيديولوجي عموماً، يَؤُول إلى وحدانية السلطة ومن ثم إلى ممارسة الاستبداد والطغيان، والديمقراطية تتنافى مع الدوغمائية العقائدية والعقلية الأحادية، فهي تفترض عقلاً مرناً مفتوحاً يتيح حرية التفكير ويعترف بحق الآخرين في أن يكون مختلفاً وأن كل شيء قابل للنقاش، وألا وصاية على العقل من خارجه ولا سلطان عليه غير نفسه[٦]. كما أنها تعتمد على تباين الآراء، والتسامح مع

---

(١) انظر: العلمانية، د. سفر الحوالي، ص٢١٥.

(٢) انظر: الإصلاح الديمقراطي، ص٢٧.

(٣) انظر: نقد النص، علي حرب، ص١٢٥.

(٤) انظر: الإصلاح الديمقراطي، ص٢٧.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص٢٨.

(٦) انظر: نقد النص: ص١٢٦.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المخالفين في القضايا العميقة المتعلقة بمصير الإنسان[1].

لذلك فأول مهام الطريقة الديمقراطية يكمن في تقبل الرأي الآخر مهما كان مصدره أو نوعه، وفي تشجيع الناس على تطوير أفكارهم الدينية، وذلك بأن يدرك الأفراد بأنه لابد لهم من الحياة وفقاً لمفهوماتهم ومشاعرهم الخاصة دون أن تفرض عليهم طريقة معينة، فإذا كان هناك شخص متدين أو كان هناك دين يدعى الصحة، فلا يصح أن يفرض على الآخرين لأن لهم الحق نفسه في مثل ادعائه، أي أن لهم الحق في أن يدعوا أن دينهم هو الصحيح أيضاً، مما يعارض روح الديمقراطية، حيث إن ذلك يجعل بعضهم ينكر على الآخرين حقهم في تبني ما يعتقدون صحته، كما أن المرء إذا لم يتمكن من قبول الآراء الأخرى أو الوصول إلى حل وسط في المعتقدات العقدية فإن عليه أن يحتفظ بها لنفسه ولا يطرحها للعامة، لأن ذلك يناقض الديمقراطية التي تكفل حرية التدين للجميع، وبناءً عليه، فالتعدد وإمكانية الاختلاف العقدي يعدان شرطين مسبقين لقيام مجتمع ديمقراطي، فالمجتمع الذي لا يقر بحق أو حرية العبادة للجميع كيفما شاءوا لا يصلح أن يكون ديمقراطياً[2].

الديمقراطية في الغرب نظام لا ديني منبثق عن تصور عن الحياة قائم على فصل الدين عن الدنيا، ويسعى إلى بناء النظام السياسي على قاعدتين، قاعدة حيادية الدولة تجاه العقدية، وقاعدة سيادة الأمة المترتبة عليها والتي تعني حق الأمة المطلق في تبني نظام الحياة الذي تراه مناسباً[3]. فالديمقراطية منبثقة من العلمانية وهي نظامها السياسي الذي تنطلق منه.

لذلك الناس في الغرب يقبلون الحوار والنقاش حول أي موضوع ما عدا موضوع الديمقراطية، فالديمقراطية بمبادئها - كالحرية والمساواة - وحقوقها

---

(١) انظر: تشكيل العقل الحديث، ص٢١، ٢٢.

(٢) انظر: نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية، د. محمد أحمد مفتي، ص٢٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٢٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الغامدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

وضماناتها منطقة مقدسة لا ينبغي أن تكون موضوع جدال وما لها لا تكون كذلك وهم لا يعلمون لها بديلاً إلا الديكتاتورية ذلك الشبح الرهيب ! ومع ذلك فقد كثرت اعتراضات المفكرين على هذا المبدأ أو انتقد من جوانب عديدة منها:

١- ميوعة الاصطلاح وصعوبة تحديده بدقة علمية يمكن بواسطتها التمييز بين الحقيقة وبين الإدعاء المزيف يقول آرنولد توينبي: "أصبح استخدام اصطلاح الديمقراطية مجرد شعار من الدخان لإخفاء الصراع الحقيقي بين مبدأي الحرية والمساواة ".

٢- الأحزاب المتشاحنة التي لا تعبر عن إرادة الأمة: إن الواقع المحسوس لينطق بصراحة أن النظام الديمقراطي يقضي على وحدة الأمة، ويفتتها إلى تكتلات متنافرة وأحزاب متطاحنة لأسباب لم تكن لتستدعي التكتل والتحزب لولا أن النظام نفسه يشجع على ذلك ويهيئه[١].

الحق في الديمقراطية الغربية هو ما أمر به الشعب، والباطل هو ما نهى عنه الشعب، وإرادة الشعب هي معيار الخطأ والصواب، فما أقره الشعب وقبله فهو الصواب، وما تركه ولم يقبله فهو الخطأ، فالإرادة الشعبية معصومة، ومن هنا، فإن الديمقراطية قد رفعت الشعب إلى المنزلة التي لا تليق إلا بالله تعالى، وهذا الفرق لا يستطيع أن ينكره أحد، إلا عن طريق الكذب والتضليل لخداع الناس وإيهامهم، وتعريفات الديمقراطية عن الدين - عندهم - أحد مسوغات الدعوة إليها[٢].

ومن هنا يتبين أن الحقوق والحريات في النظام الديمقراطي لا تحاط بأي سياج أخلاقي يحميها من الضد المقابل، والحجة التي يباح بها الخير من هذه الحقوق

---

(١) انظر: العلمانية، د. سفر الحوالي، ص٢٤٠، ٢٤١، " ملخصاً ".

(٢) انظر: اسلمة الديمقراطية، محمد شاكر الشريف، ص٣٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

والحريات، هي نفسها الحجة التي يحتج بها على إباحة الشرير منها[1].

الفكر الليبرالي في الديمقراطية الغربية :

الديمقراطية عند الغرب قائمة على نظرة معينة للكون والحياة والإنسان، تستمد هذه النظرة جذورها من أفكار المدرسة الليبرالية التي يعد من أبرز مفكريها جون لوك، وجون ستيوارت مل، وآدم سميث، وديفد هيوم، ورغم اختلاف وجهات النظر بين هؤلاء المفكرين، فإن هناك عدداً من الأمور المشتركة بينهم، منها: النظرة الفردية للإنسان والتي تجعل الفرد وحدة مستقلة قائمة بذاتها، تتصل بغيرها لتحقيق مصالحها الذاتية[2].

الليبرالية فكرة إنسانية أوروبية الولادة والمنشأ جاءت لرفع معاناة الإنسان الأوروبي - على زعم أهلها- وتخليصه من أصحاب السلطة الدينية والدنيوية، ومضمون فكرتها،التمرد، والرفض لكل إشكال السلطة الخارجية المانعة من تحقيق الاستقلال الذاتي الفردي[3].

كما أن الدولة في الفكر الليبرالي محايدة فيما يتعلق بالاعتقاد الديني، لأن الحرية تقتضي عدم القطع واليقين، لأنه لا يمكن الوصول للحقيقة إلا بواسطة العقل من خلال التجربة، فالإنسان قبل التجربة يجهل الكليات العامة، والمطلقات المجردة، وهذا ما يجعله غير قادر على القطع، ويسمى هذا المبدأ " مبدأ التسامح " وحقيقة إلغاء الالتزام الديني، لأنه أعطى الإنسان الحق في اعتقاد ما شاء وإعلانه، وعدم تكفيره ولو كان ملحداً، ويجب على الدولة أن تكفل هذا الحق لمواطنيها، لأن الدولة تكونت للمحافظة على الحقوق الطبيعية للأفراد، وهذا يقتضي أن تكون محايدة من كافة

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٥٩.

(٢) انظر: نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية، ص٢٠، ٢١.

(٣) انظر: الحداثة وما بعد الحداثة، محمد جديدي، ص٣٠٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الأديان والمذاهب[1].

الليبرالية تهتم بالإنسان وتعتبره قضيتها الأولى، وعلى ذلك فكل النزعات التي اختصت بهذه القضية - قضية الإنسان - كان لها إسهام واضح في تقرير مبادئ الليبرالية والتي هي: العلمانية، الإنسانية، العقلانية، النفعية.

- **فالعلمانية**: تعني في أطروحاتها فصل الدين عن السياسية، كما تعني فصل الديني عن النشاط البشري بعامة، وعلى مثل هذا المبدأ يقوم المذهب الليبرالي في كافة المجالات: السياسية، والاقتصادية، والفكرية، بل لا تكون الدولة ليبرالية إلا حيث تكون العلمانية، ولا تكون علمانية إلا حيث تكون الليبرالية[2].

لقد أسهمت كتابات جون لوك بشكل مباشر في تقديم رؤية للتسامح تنطلق من ضرورة فصل الديني عن السياسي والتي أصبحت فيما بعد شعاراً ليبراليا قائما بذاته، بمعنى أن التسامح الليبرالي يتطلب قيام مجتمع علماني لا ديني يتم فيه فصل الدين عن الدولة، كما هيأ نقد لوك لسُلطة الكنيسة الفرصة للكتابات الناقدة للدين حيث خطت الكتابات التي تلت كتابه التسامح خطوة أبعد من المناداة بفصل الدين عن الدولة إلى المناداة بنقد الدين الذي أصبح ينظر إليه بوصفه أحد المسببات الرئيسة للتعصب[3].

- **الإنسانية**: تؤمن الإنسانية بالدفاع عن حرية الفرد، والثقة بطبيعة الإنسان وقابليته للكمال، وتقرر التمرد على سلطة الكنيسة بل إنها تدعو إلى التمرد على نظام الحكم إذا ما حاد عن تحقيق الهدف من وجوده السياسي ألا وهو تحقيق الأمن والرخاء لأفراد المجتمع البشري، ومن منظور الفردانية ليست الليبرالية منفصلة عن الاتصال بالآخر بل إن المذهب الليبرالي يؤكد القبول بأفكار الغير وأفعاله، حتى وإن تعارضت

---

(١) انظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، د. عبد الرحيم السلمي، ص١٥٥.

(٢) انظر: الحداثة وما بعدها الحداثة، ص٣٠٨.

(٣) انظر: نقد التسامح الليبرالي، ص٢٢.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

مع المذهب، شرط المعاملة بالمثل[١].

- **والعقلانية**: تفيد العقلانية الاكتفاء بالعقل والاستغناء عن كل مصدر في الوصول إلى الحقيقة، إلا عن العقل الإنساني، وإخضاع كل شيء لحكم العقل، لإثباته أو نفيه، أو معرفة خصائصه ومنافعه، والعقل المحكم هنا هو عقل الإنسان، وهكذا تقوم الليبرالية على مبدأ أن العقل الإنساني بلغ من النضج العقلي قدراً يؤهله أن يرعى مصالحه وكل أموره الدينية والدنيوية من دون أبوية ومن دون وصاية خارجية ومن هنا فالعقلانية متصلة بالنزعة الإنسانية[٢].

- **والنفعية**: تجعل النفعية من نفع الفرد والمجتمع مقياساً للسلوك، وأن الخير الأسمى هو تحقيق السعادة لأكبر عدد من الناس، فالحقيقة التي تقررها الليبرالية تكمن في الفائدة والنفع اللذان يعودان إلى الفرد وحده، فالحق في المذهب الليبرالي أن يكون الفرد حراً طليقاً من القيود، وعليه مسئوولية تقصي الحقيقة، ومسئوولية اتخاذ موقف خاص والدفاع عنه، هذا في ذات نفسه، وعلى كافة الأطراف ذات السلطة: مجتمع، قبيلة، حكومة، مذهب، ملة، أن تحترم هذه المزايا والرغبات في الإنسان، وتكف عن كل ما يعرقل تحقيق هذه الذاتية، بل وتمنع كل من يعمل على تحطيم هذه الذاتية، بمنع أي وصاية، وعليها أن توفر كافة الظروف، وتهيئ السبل الكفيلة للوصول إلى هذه النتيجة[٣].

وعليه فالليبرالية في جوهرها تركز جهودها على الفرد وتسعى إلى تحرره من كل سيطرة وتسلط سواء أكان تسلطاً للدولة أو للجماعة على الفرد[٤].

---

(١) انظر: الحداثة وما بعدها الحداثة، ص٣٠٨.

(٢) انظر: الحداثة وما بعدها الحداثة، ص٣٠٩.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٣٠٩.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص٣١٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

أسس الليبرالية:

تتمثل الليبرالية في أسس جوهرية، هي:

١- **الفردية**: فالفرد قادر على اختيار مصيره ومستقبله، فكل واحد في المجتمع يسعى إلى تحقيق مصلحته بمعزل عن غيره، ودور الحكومة في ذلك منع تصادم مصالح الأفراد بعضها مع بعض الآخر.

٢- **الشمولية**: فالليبرالية تنظر إلى الأفراد - كل الأفراد - من زاوية كونهم يتسمون بعدد من الخصائص العامة، منها: الأنانية والاهتمام بالمنفعة الذاتية، التنافس والكسب والتملك، بالسعي وراء السعادة واجتناب الألم، العقلانية والميل إلى تقرير المصير الذاتي بما يجعل منهم أفراداً أحراراً في اختياراتهم.

٣- **التحسينية** "أو التطورية": وذلك بأن المجتمع قابل للتحسين والتطوير إلى ما لا نهاية، وهذه الفرضية لها علاقة بالنفعية حيث إنها تنظر وتعتمد على ما تحققه من نتائج فعالة تصب في مصلحة الفرد وما تحققه من سعادة فإن أخفقت في ذلك فبواسطة العقل النقدي يتم التطوير والتحسين الغير محدود.

٤- **الحرية**: الحرية في الفكر الليبرالي تعني عدم وجود تهديد ما يحول دون قيام الفرد بما يرغب فيه من أنشطة وممارسات، وتعني كذلك رغبة الفرد في أن يكون سيد نفسه فحياته وقراراته منوطة بذاته ليست متوقفه على قوة خارجية أياً كانت[1].

فالليبرالية قد ينظر إليها في الغرب من زاوية كونها امتداد لمبدأ التسامح الديني، وحينئذ يكون التسامح الديني في الغرب قد اتخذ شكلاً محدداً يتمثل في حرية الضمير الفردي، وهي اليوم عبارة عن حق أساس للفرد في حرية العبادة وحرية نشره لدينه وحرية تغييره أو حتى التخلي عن الدين بالكامل، وبالتالي، فإن القيام بتقييد ممارسة الأفراد لهذه الحرية ينظر إليه على أنه انتهاك لحقوق الإنسان الأساسية، كما أن التسامح

---

(١) انظر: إشكالية التعددية الثقافية، ص١٧٤ وما بعدها " ملخصاً ".

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الديني والاستقلال الشخصي وجهان لعملة واحدة في المذهب الليبرالي، فما يُميز التسامح الليبرالي دعوته للاستقلال الشخصي، وذلك بأن يكون الأفراد أحراراً في تقييم غايات وجودهم وإمكانية قيامهم بمراجعتها وتغييرها(١).

في الأنظمة الديمقراطية الأوربية لا يدان أحد بتهمة الكفر، لأن ذلك الإيمان أصبح مسألة شخصية، فلا يعاقب أحد على التعبير عن آرائه، لأن هذا يُعد من التسامح والذي يتطلب شرطين أساسين:

١- وجود دولة قانون تضمن حرية التعبير لكل الأديان والمذاهب والفلسفات.

٢- وجود مجتمع مدني يقبل بالآخر الذي هو شريك له في هذه الدولة(٢).

لذلك فالديمقراطية تقوم على مفهوم " حرية العقيدة " فحرية العقيدة مطلقة للشعب، فله اختيار ما شاء من العقائد والأفكار والمفهومات واتباعها، وليس للدولة أي حق في منعه من اعتقاد ما يشاء شريطة ألا يؤذي الآخرين، وذلك لأن العقيدة - وفقاً للمفهوم الغربي للدين - هي علاقة خاصة بين المرء وربه، وما دام أنها تندرج تحت إطار الخاص - أي الشؤون الخاصة بالفرد - فلا يجوز للدولة التدخل فيها مطلقاً، فالدولة التي تؤمن بحرية العقيدة تترك الأفراد فيها مطلقاً، فالدولة التي تؤمن بحرية العقيدة تترك الأفراد فيها يعتنقون ما شاءوا، وذلك لأن المعتقدات مسألة فردية شخصية بحتة(٣).

إذاً: الديمقراطية كما سبق تستمد أفكارها من الليبرالية. والليبرالية مذهب إنساني مادي ينطلق من الإنسان ويتوجه إليه وينتهي به، معلياً من قيمة الإنسان، خارجاً بها عن طبيعته متعالياً به عن دينه وقيمه، مجرداً له من مسئولياته، مغرقاً

---

(١) انظر: إشكالية التعددية الثقافية، ص٢٧٣، " بتصرف ".

(٢) انظر: قضايا في نقد العقل الديني، ص٢٤٥.

(٣) انظر: نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية، ص٦٢.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

بالإنسان في تحصيل مصالح ذاته، وتحقيق رغباته، يدعوه للترفع فوق كل طبيعة، فلا يكون تابعاً إلا لنفسه، ولا ممنوعاً من شيء إلا من تلقاء نفسه، فلا اعتبار للأديان السماوية ولا للقيم الثابتة ولا للحقائق المطلقة ولا للعقائد الربانية، إلا ما حكم العقل المجرد التابع من ذات الإنسان بصلاحيته(١).

كما أن الليبرالية حركة وتمرد - على كل شيء-، حركة لتحقيق ذات الإنسان واستقلاليته، وتمرد ومعارضة على الأديان والتقاليد والأعراف السائدة والسلطة السياسية، ترفض أن تكون إرادة الفرد امتداداً لآراء الجماعة أو الملة أو الطائفة، وتطالب بإخضاع المعتقدات والثوابت للنقد والتمحيص، في جو من الحرية والانفتاح والعقلانية والقبول(٢).

والمذهب الليبرالي لا يمنع أي دين ولا يدعو إلى أية عقيدة أو ملة، إذ يقوم على الحياد التام تجاه كل العقائد والملل والمذاهب، لكل فرد أن يعتنق ما شاء، وله الاستقلال التام في ذلك، لا يجبر على فكر أبداً، ولو كان حقاً، وهو ما عبر عنه هاليفي (بالحرية الميتافيزيقية)، فهو بهذا المعنى يحقق العلمانية في الفكر، وهو منع فرض المعتقدات الخاصة على الآخرين، كما يمنع إعطاء الدين دوراً في السياسة، أو في شؤون الحياة، وهذه هي العلمانية الشاملة، ولذا لا نجد دولة تتصف بالليبرالية إلا وهي علمانية المذهب في الفكر والتطبيق(٣).

وهكذا ينتهي الفكر المتمرد على الثوابت والمشكك في الحقائق والمدنس لكل مقدس إلى الإلحاد والتيه والجحود، ويتدرج من التشكيك في كل ثابت ومقدس إلى إنكار الإله والارتكاس في حمأة الإلحاد، الذي أصبح سمة للقرن التاسع عشر، الذي شهد مولد مذهب الإلحاد، مذهب كامل التكوين، يرمى إلى استبعاد الله بلا قيد ولا

---

(١) انظر: موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، د. صالح الدميجي، ص٥٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٥٦.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١١١.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

شرط من معتقداتنا، وكان من النادر فيما سبق من عصور أن يعتنق الإلحاد علانية مفكرون بارزون، إذ كان ينظر إليه على أنه موقف هدام، أما في خلال الفترة التي أعقبت هيجل فقد اعتنقه جهاراً نهاراً عدد من زعماء الفكر، الذين أضفوا عليه نوعاً من التوقير الذهني، بل من التداول الشعبي أيضاً[1].

---

(١) انظر: موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، ص١٠٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الفصل الرابع

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الفصل الرابع

واقع التسامح الديني في العالم الغربي

وفيـــه خمســة مباحـث:

- المبحث الأول: حرية الاعتقاد.
- المبحث الثاني: إحياء العمل النقدي.
- المبحث الثالث: تقديس العقل.
- المبحث الرابع: إحياء النزعة الإنسانية.
- المبحث الخامس: مواجهة الأصولية.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٢٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المبحث الأول
حرية الاعتقاد (أو ما يسمى بالحرية الدينية)

تعني حرية العقيدة حق كل إنسان في اعتناق الديانة التي يشاء بمطلق اختياره وكامل حريته، وحريته في ممارسة هذه الديانة، وتعني أيضاً حق الإنسان في أن يغير دينه ليعتنق ديناً آخر، فطبقاً لهذا الحق لكل إنسان أن يؤمن بدين معين، أو أن يتخذ عقيدة خاصة به، بمطلق اختياره وحريته(١).

فالحرية تتضمن التسليم بأن ينظر كل واحد بشكل إيجابي إلى وجود الآخرين كما هم، في تعددية من القناعات والآراء وأن يعرف كل واحد بأن التشابه والاختلاف من الأمور الطبيعية، وأن يقر بقيمة وجهات النظر(٢).

هذه الحرية يراد بها تحرر العقل من كل سلطة تفرض عليه من خارج، وقدرته على مسايرة منطقه إلى أقصى آماده وإذاعة آرائه، بالغاً ما بلغ وجه التباين بينهما وبين أوضع العرف وعقائد الدين ومقتضيات التقاليد من غير أن تتصدى لمقاومتها أو التنكيل بصاحبها سلطة ما، فأحرار الفكر في الغرب يرون أن الدين كغيره من الظواهر يخضع لمنطق العقل، ومهمة التدليل على صحة العقائد ملقاة على عاتق المؤمنين وحدهم(٣).

كما أن هذه الحرية تعني الانتقال من حالة إلى حالة جديدة، وهي بهذا تفترض التغيير بالضرورة، والأساس الذي ينبغي الانطلاق منه هو أن كل الأشياء في نشاط، وأن كل شيء يتأثر بكل شيء آخر ويؤثر فيه على نحو ما(٤).

---

(١) انظر: المبادئ الأساسية للنظم السياسية وأنظمة الحكم المعاصر، د. سعيد السيد، ص٤٧٥.

(٢) انظر: موسوعة تاريخ أوربا العام، لفرنسوا جورج دريفوس وآخرين، ص٥٦٦.

(٣) انظر: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، د. توفيق الطويل، ص٢١.

(٤) انظر: تأسيس الحرية مقدمة إلى أصوليات الإنسان، د. عزت قرين، ص٧١.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

يحتوي مفهوم حرية الاعتقاد أو ما يسمى بالحرية الدينية في الغرب على عنصرين أساسين:

الأول: ضميري داخلي، وهو يعني حق الإيمان بدين ما، أو عدم الإيمان ورفض أي دين مهما اختلفت تسميته.

الثاني: استظهاري خارجي، وهو يعني حق الفرد بنشر معتقده ما بين الآخرين، ثم حريته بممارسة ما يفرضه عليه دينه من مراسيم وأعمال وطقوس[١].

يقول ستيوارت مل[٢]. " وحرية الاعتقاد مطلقة لا يحدها حد، فللإنسان أن يعتقد ما يشاء، وله أن لا يعتقد في شيء قط، وله أن يعتقد ما تعتقده الجماعة أو غالبيتها، وله أن يخالف الجماعة كلها فيما تعتقده، ولا ضير عليه في ذلك، ولا قيد على الإطلاق"[٣].

فأصحاب المذاهب والفرق الدينية متساوون في الحقوق، واختلاف عقائدهم ومللهم لا يسّوغ التفاضل بينهم، إذ المشترك الإنساني الذي يجمعهم أجدر بالاعتبار في تحقيق الندية بينهم، وجعل التساوي في الحقوق والواجبات والفرص أساساً للتسامح والتعايش بينهم، وسبيلا للاحترام المتبادل، فلا أحد يملك الأسس النظرية القاطعة بتفوق معتقد على ما سواه من المعتقدات، وذلك بأن الحرية لا تقبل التمييز بين المعتقدات ولا تعترف بالتفاضل بين الأديان والملل، وهي تأخذ المعتقدات على ظاهرها، وتترك مصادرها وأصولها لأصحابها، وترى الخروج من حالة الصراع الديني والمذهبي التي مثلت إحدى الملامح البارزة للمجتمعات التقليدية لا يكون إلا

---

(١) انظر: محاضرات في نظرية الحريات العامة، حسن ملحم، ص٦٥.

(٢) جون ستيورات مل: عالم اقتصاد وفيلسوف بريطاني (١٨٠٦-١٨٧٣) نادى بالحرية الفردية، ودعا إلى الأخذ بمذهب المنفعة. انظر معجم أعلام المورد ص٤٣١.

(٣) الديمقراطية في ميزان العقل والشرع، د. نايف معروف، ص٧١.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

بصيغةٍ توفيقية لا تلغي ديناً ولا تفضل مذهباً[١].

لقد أصبحت الحرية الدينية، في الدول الغربية المعاصرة، حرية مقدسة، لا تجرؤ دولة من الدول، حتى تلك التي تنكرها، على الاعتداء أو الانتقاص من حق الأفراد في ممارستها[٢].

يتضح مما سبق أن الحرية إنما تنطلق من النظرة إلى الفرد على أنه المرجعية العليا في المجتمع، وأن سيادته لنفسه ترتبط بحريته، وتتمثل هذه الحرية في بعدها السياسي في حرية العقيدة التي تعني حق كل امرئ في تبني ما شاء من عقائد، وفي حرية الرأي التي تعني حق كل امرئ في تبني ما شاء من أفكار، وما نتج عنهما من تبّنٍ للتعددية السياسية التي تعبر عن الحق المطلق في الاختلاف العقدي والفكري في المجتمع، وفي حق كل فرد أو جماعة في الدعوة إلى ما يؤمنون به من منطلق حرية الفكر والعقيدة...[٣]

لقد اندفع تيار أهوج في كل القنوات الفكرية والعلمية في أوروبا تيار يريد أن يجرف كل شيء اسمه " دين " أو له علاقة بهذا الاسم ويطمس كل موحي من موحياته ويمحو كل أثر من آثاره، وكانت غاية من يسمون " أحرار الفكر " هو الدفع بهذا التيار إلى الأمام ما أمكن وبسرعة أقصى. لا لأن ذلك ما يمليه "المنهج العلمي" و"حرية الفكر" ولا لأنه مقتضى النظر الموضوعي المتسم بالتعقل والتروي بل لأنه نتيجة رد الفعل المتهور ضد الكنيسة الذي لا تكاد حدته تخف حتى تلهبها آثار سياط الكنيسة في ظهورهم[٤].

---

(١) انظر: النخبة والحرية، د. جمال الدين دارويل، ص٨٥، ٨٦.

(٢) انظر: محاضرات في نظرية الحريات العامة، حسن ملحم، ص٦٦.

(٣) انظر: نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية، د. محمد مفتي، ص٦٦.

(٤) انظر: العلمانية، د. سفر الحوالي، ص٣٢٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

تحت شعار الحرية ظل الإنسان الأوروبي يجد التشجيع المستمر على التحلل من دينه وعقيدته بوصف أن هذه أمور خاصة يتصرف فيها الإنسان على مزاجه الخاص، فمن شاء أن يبقى على عقيدة ودين فليبق، على مسئوليته الخاصة، ومن شاء أن يلحد فليلحد، ولن يقف في سبيله أحد، ولن يخرج عليه أحد، فتلك حريته الشخصية[1].

---

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص٢١٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المبحث الثاني
إحياء العمل النقدي

وصلت المسيحية الكاثوليكية في العصر الوسيط إلى درجة من الانحطاط في الأخلاق وانحلال في الشعائر، مما اضطر الدعوة للعمل على الإصلاح، وأشهر تلك الدعوات، الحركة الدينية والسياسية في القرن السادس عشر، التي عمت أنحاء عديدة من أوروبا، حيث كان من أشهر روادها في ألمانيا مارتن لوثر(١)، وفي فرنسا كالفن(٢)، وبما أن هذه الحركة تميزت بالنقد، فإن الطائفة الملتفة حولها سميت البروتستانت وأكثر ما تمسكت به هذه الحركة الاجتماعية هو تحرير الوجدان الديني من ربقة العقائد المفروضة، إذ أن النقد وجّه إلى الكنيسة الرسمية وتعاليمها، طالما جعل الدين مجرد رابطة شخصية ما بين العبد وربه، مستقلة تماما الاستقلال عن وسائطها التقليدين في الكنيسة، وبناءً على ذلك فإن القاعدة الأساسية التي ارتكزت عليها البروتستانية، هو أن يعود الإنسان إلى مصدر دينه، الذي هو الكتاب المقدس المتألف من العهد القديم ومن العهد الجديد، كي يستقي من المضمون الذي يحتويه، مبادئ إيمانه وقواعد حياته(٣).

لقد سجل مارتن لوثر حدثا فكريا عظيما في اعتراضه على الكنسية في وثيقة مكونة من خمس وتسعين فقرة علقها على باب كنيسة ويتينبرغ فطرد بسببها

---

(١) مارتن لوثر: راهب ألماني ولد (١٤٨٣-١٥٤٦) زعيم حركة الاصلاح البروتستانتي في ألمانيا هاجم المتاجرة في الكنيسة بصكوك الغفران وترجم الكتاب المقدس إلى الألمانية: انظر معجم أعلام المورد، ص٣٩٨.

(٢) جون كالفن: لاهوتي فرنسي (١٥٠٩-١٥٦٤) نشر راية الإصلاح البروتستانتي في فرنسا ثم في سويسرا، أسس المذهب الكالفني. انظر معجم أعلام المورد، ص٣٥٧.

(٣) انظر: محاضرات في نظرية الحريات العامة، ص٢٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

من الكنيسة وأحرق في ملأ كبير من الناس وكان من أفكاره مايلي :

أولا/ أن فهم الإنجيل أمرمتاح لكل ذي ثقافة وقدرة على الفهم وليس خاصا بفهم رجال الدين.

ثانيا/ إنكاره للتنظيم الكنسي البابوي الذي يستمد طاعته باعتباره خليفة للمسيح نفسه ، ولهذا جعلت البروتستانتية لكل كنيسة رياسة خاصة بها، وأن سلطان الكنيسة خاص بالوعظ، وهذا يدل على أن الدولة غير ملزمة بالخضوع للكنيسة.

ثالثا/ الدعوة لحرية الفكر ، والخروج من استعباد رجال الدين واحتكارهم للآراء الخاصة، وفهم الكتاب المقدس، ودعوى الأسرار المقدسة، وإهمال العقل ومنافاته باسم الدين(١).

فأثار رواد الفكر الحديث مشكلة التسامح الديني في كل صوره، وارتدوا إلى النصوص المقدسة وجدّوا في تفهمها ومعرفة أسرارها، واستنفدوا الوسع في الكشف عن سوءات الكنيسة وزيف تعاليمها وفساد رجالها، وانتصر الكثيرون من الأمراء لهذه الحركة عسى أن تقوّض سلطان الكنيسة وتقيهم طغيان رجالها الذين جاروا على نفوذهم، واغتصبوا الكثير من حقوقهم، فاتجهت الحركة الجديدة -حركة الإصلاح الديني- إلى إرجاع الدين إلى الكتب المقدسة، ورفض التسليم باحتكار الكنيسة لتفسير نصوصها، وتمكين العامة من الاطلاع عليها ومحاولة تفهمها، وسلب الكنيسة حقها المزعوم في غفران الذنوب والاتجار بصكوك الغفران وثواب الآخرة وسعادتها، واتجه المصلحون إلى نقد الطقوس الدينية والاعتراف وعبادة القديسين(٢).

فاتجه الناس إلى دراسة الإنجيل، مما أدى إلى انتشار حركة من النقد كان لها أثرها في إقرار الحرية الدينية، ومن ثم توكيد النظر العقلي، فعاش النقد الإنجيلي في جو بروتستانتي، ومن هذه الناحية كان المذهب البروتستانتي أداة لإقرار كفاية العقل

---

(١) انظر: حقيقة الليبرالية ، د.عبدالرحيم السلمي ، ص٤٩، ٥٠

(٢) انظر: قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، د. توفيق الطويل ص٩٢.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

للتفكير وتوكيد النزعة العقلية[١].

ومن هنا يأتي دور الفلسفة والتي تقوم على العمل النقدي، فالفلسفة ترفض قبول أي اعتقاد لا تثبت صحته بأدلة واستدلالات، والاعتقاد الذي لا يمكن البرهنة عليه بهذه الطريقة لا يستحق الولاء العقلي، لذا فالفلسفة تأخذ على عاتقها مهمة البحث الفاحص في الاعتقادات التي تُقبل بطريقة غير نقدية، فهي تحاول ألا تأخذ أي شيء على أنه قضية مسلماً بها، فكل القيم والمفاهيم والأفكار معرضة للنقد[٢].

ولهذا جاءت القاعدة الأولى من قواعد المنهج عند ديكارت[٣]. تقرر أنه ينبغي علينا " ألا تقبل أي شيء على أنه الحق إلا بعد أن نعرف بينته أنه كذلك، أي علينا أن نتجنب بكل عناية الاندفاع، والحكم السابق، وأن لا ندخل في أحكامنا إلا ما يتجلى لعقلنا بدرجة من الوضوح والتميز تحملنا على ألا نضعه موضع الشك[٤].

ومما ساعد على تقوية الشكوك في الدين المسيحي الممثل في المذهب الكاثوليكي والذي يزعم أنه يمتلك الحقيقة المطلقة للدين الحق، مما يعني العصمة، وجود كثير من التناقضات في الكتاب المقدس، فضلاً عن عدم صحته، وعلى أية حال يمكن القول إن الهجوم على الدين المسيحي بوجه عام استند إلى تعارضه مع أحكام المنطق والعقل من ناحية وإلى فساد رجال الدين من ناحية أخرى[٥]، مما جعل المفكرين يرون أن السير بمقتضى قوانين العقل تؤدي بالمجتمع إلى العيش في سلام ووئام وتسامح وتقدم[٦].

إن أوروبا لم تعرف دين الله المنزل على حقيقته التي أنزل بها من عند الله،

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١١٩.

(٢) انظر: ما هي الفلسفة، د. حسين علي، ص١٩.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) مدخل جديد إلى الفلسفة،عبد الرحمن بدوي، ص٥٠.

(٥) انظر: الإلحاد في الغرب، د. رمسيس عوض، ص١١٥.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص١٢٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

إنما الدين الذي عرفته هو دين وضعته المجامع الكنسية الأوربية وفرضته فرضاً على الناس[1].

مشكلة الفكر الغربي عموماً مع الدين، أو مع النص الديني هو أن هذا الأخير لا يمدهم بالمعرفة الحقيقية، أو المعرفة الصحيحة في أكثر الأحوال، بسبب التحريف الذي لحق المسيحية، والذي لحق اليهودية قبل ذلك، وهو ما جعل مفكروا الغرب وفلاسفته يبتعدون عن النصوص الدينية التوراتية والإنجيلية، ولا يتواصلون معها في بحوثهم ودراستهم، ولا ينطلقون منها، ولا يعودون إليها، بل هم يجعلون الفلسفة نداً لهذه النصوص، بل عوضاً عنها، فيحلونها محل النصوص، فتأخذ هذه الفلسفة دور هذه النصوص الدينية، وتؤدي وظيفتها في قيادة الحياة العامة في المجتمع...[2]

لقد قام النظام الغربي على أسس معادية للدين، ورفض الاعتراف بأهمية القيم الروحية، فثار على الدين وعلى الكنيسة، وجعل السلطة للعقل، ونادى بعزل الدين عن شئون الحياة والمجتمع، وقصره على علاقة الإنسان بربه، وبعض الطقوس والشعائر داخل الكنيسة، ونقد تصوراته وعقائده، وانتهى إلى التصريح بأنه لا حاجة إلى الدين في عصر العلم، الذي أصبح قادراً على تفسير كل شيء تفسيراً علمياً صحيحاً، ويعبد الطبيعة ويقدس المادة، وقد يبدوا هذا وكأنه كرد فعل عنيف لما اقترفته الكنيسة في العصور الوسطى، وبداية عصر النهضة، فقد حاربت العلم واضطهدت العلماء...[3]

ثم جاء عصر النهضة وكان ثورة على المسيحية التقليدية وإعلاناً للعودة إلى الوثنية وهذه وإن كانت في الواقع عملية سلبية إلا أنها خطوة لابد منها لكل حركة جديدة فمن الطبيعي أن تنصب أنظار رواد النهضة إلى هدم كيان الواقع الذي

---

(١) انظر: قضية التنوير في العالم الإسلامي، محمد قطب، ص٣٦.

(٢) انظر: من أجل نظرية إسلامية معاصرة، سالم القمودي، ص٥٨.

(٣) انظر: الإسلام في الفكر الغربي، د. لطيفة إبراهيم خضر، ص١٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد القاسمي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

خضعت له أوروبا ألف عام قبل أن يفكروا في ماهية الواقع الجديد[1].

إن أحرار الفكر في أوربا لما تناولوا النصوص الدينية عندهم، وفندوها، وأباحوا لأنفسهم نقدها، كانت ركيزتهم في ذلك أنها نصوص بشرية لا قداسة لها في واقع الأمر، وإنما رجال الدين هم الذين أحاطوها بالقداسة على زعم أنها من كلام الله، وكان تفنيد تلك النصوص البشرية أمراً محموداً ـ لكونها محرفة ومن كلام رجال الكنيسة ـ ، ولو أنهم فعلوه من مبدأ الأمر، وكان لديهم منهج كمنهج المحدثين – وهو من أبرع وأدق ما أنتج الفكر الإسلامي – لأراحهم من طغيان الكنيسة، وحجرها على العقول، ولوفروا على أنفسهم قروناً من الظلام، ولكن أحرار الفكر هؤلاء تمادوا في تحررهم فلم يقنعوا بتزييف الزائف من أقوال الكنيسة وإزالة القداسة المزعومة عنه، بل أمعنوا في حملتهم – مدفوعين بالغل الذي كان في قلوبهم تجاه الكنيسة ورجالها – فهاجموا الدين في ذاته، والنص الديني على إطلاقه ولو كان صحيحاً، ونفوا عالم الغيب كله، ونفوا الوحي والنبوة، ولا يرتكزون على شيء من الحق، وأصبح موقفهم لا يقل سوءا عن الموقف الذي تمردوا عليه أول مرة، وإن كانوا يقفون في الطرف المقابل، فإذا كانت جريمة الكنيسة أنها جعلت الدين عدواً للعقل، فقد كانت جريمة هؤلاء أنهم جعلوا العقل عدواً للدين، وكلا الموقفين انحراف لا يؤدي إلى خير، وتشطير للإنسان إلى شطرين متعاديين، بدلاً من حقيقته المتكاملة المتوازنة التي خلقه الله عليها، والتي يؤدي بها مهمة الخلافة الراشدة في الأرض، وكانت النهاية التي انتهت إليها حرية الفكر الانسلاخ من الدين، وإزالة قداسته من النفوس، وما ترتب على ذلك من انصراف الناس عن اليوم الآخر، وانكبابهم على متاع الأرض، والانغماس في الشهوات، وما تلا ذلك من شيوع القلق والجنون والانتحار والأمراض النفسية والعصبية والخمر والمخدرات والجريمة[2].

---

(١) انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص٤٦١.

(٢) انظر: قضية التنوير في العالم الإسلامي، محمد قطب، ص٧٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المبحث الثالث
تقديـــس العقـــل

فلاسفة التنوير أمثال جون لوك يرون أن الفيلسوف الحقيقي هو ذلك الشخص الذي يفكك التراث التقليدي بكل أحكامه الطائفية المسبقة غير عابئ بما تقول أغلبية الناس في عصره، فهو الشخص الذي يتجرأ على أن يستخدم عقله ويفكر بنفسه من دون وصاية الكاهن عليه، فكل شيء عنده معرض للنقد على ضوء العقل، فما ورد عن الأسبقين أو الأقدمين ليس مقدساً ولا معصوماً، وإنما ينبغي وضعه على محك العقل والنقد، فإذا ثبت صحته أخذ به وإذا لم تثبت صحته رفض حتى ولو كان صادراً عن البابا أو النصوص اللاهوتية الأكثر قداسة[1]،وهذا نتيجة الانحراف الديني والظلم والعقائد الخرافية المضادة للعقل الذي وصلت إليه الكنيسة .

التسامح الديني في الغرب لم يكن أن يحل في أوربا إلا بعد أن وثق الناس بعقل الفرد[2]، كما أن هذا التسامح قائم على أساس عملي، وهي الفكرة القائلة بأنه يجب أن يسمح حتى للخطأ بالوجود من غير أن يتعرض لهجوم سوى الهجوم الذي يشنه العقل[3].

تجد فلاسفة التنوير يعبرون برأيهم في العقل بقولهم: "لقد تابعنا العقل الإنساني، وهو ينمو نمواً بطيئاً بفعل التقدم الطبيعي للحضارة، وراقبنا الخرافة وهي تتحكم في العقل فتفسده، وكذلك الطغيان وهو يضعف العقل فيميته بفعل البؤس والخوف، وقد رأينا العقل وهو ينزع عنه القيود، فيتحرر من جزء من كل، ثم يمضي وقته في استعادة قوته مهيئاً نفسه للحظة التحرر، وعلينا دراسة المرحلة التي يتحرر فيها العقل

---

(١) انظر: معارك التنويريين والأصوليين في أوربا، هاشم صالح، ص٢٣.

(٢) انظر: تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ص٢٧٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٥٥٨.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

تماماً من قيوده"[1].

فكل ما ليس عقلانياً فهو غير معقول، وكل ما هو غير معقول ينبغي حذفه، وكل اعتقاد مهما بلغ قيمة ما ينطوي عليه من تراث هو في عداد الخرافة إذ أخذ بمقياس العقل الصريح[2].

فتقديس العقل إنما يكون باعتباره جامع إنساني مشترك، والاعتراف المتبادل بالحرية باعتبارها استحقاقاً وجودياً وعقلياً لكل إنسان وليست مجرد هبة أو منّة، ومن ثم ينشأ التسامح بما هو تصريف واقعي واجتماعي لمبدأ التساوي بين كل البشر في الحرية[3].

إن العقل لا شك أداة زود الله ﷻ بها الإنسان للوصول إلى المعرفة، ولكن العقل بحاجة إلى هاد ومرشد، بحاجة إلى قائد ينير له الطريق، ويعصمه من الانحراف والضلال، وهذا القائد والمرشد والهادي هو الوحي[4].

إن التحريف والتزوير والتغيير والتبديل الذي حدث في المسيحية، بعد المسيح عليه السلام، كان السبب الأساسي في طغيان العقل البشري، وتدخله من ثم في الدين المسيحي، كأداة نقد لما لحق المسيحية من تحريف، ولما أدخل عليها من روايات وقصص وأحداث ووقائع غير صحيحة، لا تصمد أمام هذا النقد الذي يقوم به العقل للدين، في المسيحية على نحو خاص، مما جعل العقل يطغى على الدين، ومما جعل الدين في الغرب خاضعاً لنقد العقل، خاصة فيما يتعلق بقصص الكتاب المقدس..[5]

---

(١) ملاك الحقيقة، د. مراد وهبة، ص١٨.

(٢) انظر: ملاك الحقيقة، ص٢٠.

(٣) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، د. أحمد الطعان، ص٢٢٠.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص٢٢٠.

(٥) انظر: من أجل نظرية إسلامية معاصرة، سالم القمودي، ص٥٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. المصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

حينما أطلق العقل كان المقصد منه معارضة تسلط الكنيسة على الفكر والدين والسياسة، وتحديد القيم والأخلاق، أو لمعارضة الحكم المطلق الذي عرفته أغلب بلدان أوروبا، ولكن تحرير العقل من سلطان الكنيسة أو الحكم المطلق وضعه في التجربة الأوربية والأمريكية المعاصرة، من جهة أخرى، ضمن حدود لا تقل تقييداً للعقل عن ذلك التقييد السابق، فقد أصبح العقل هنا أسيراً للفردية الرأسمالية المطلقة العنان، ورهناً بالمصالح القومية والاستعمارية للبلد المعني، وأسيراً لعملية توسيع استعباد الشعوب الأخرى ونهبها وحتى إبادتها، ويساق اليوم ليصبح عبد السوق الحرة والاستهلاك، فهذا العقل الذي زُعم أنه تحرر من قيوده سوغ ذبح الهنود الحمر وتجارة العبيد، وسوغ شن الحروب على الشعوب الأخرى بقصد استعمارها والهيمنة عليها ونهب ثرواتها، وسوغ في الداخل على مستوى الطبقات الحاكمة كل ألوان البراجماتية والفساد والخداع والتفاوت الطبقي والتمييز في الاقتصاد والسياسة وامتلاك النفوذ والثروة في المجتمع وأسقط من حسابه العدل الاجتماعي والعدل العالمي الإنساني...[1]

كان تحرير العقل من أسار الكنيسة والحكم المطلق من بعض الأوجه عظيم الأهمية، ولكنه كان في الوقت ذاته عوداً بالإنسان إلى الغابة وقانون الغابة - قوانين المنافسة الرأسمالية في الداخل والاستعمار في الخارج - حيث يصبح الحكم الفيصل على كل شيء هو العقل ! والعقل هنا محكوم بالقوة والنفوذ والصراع والمصالح، ومن ثم لم يكن تحرير العقل من الخرافات أو القيود أو التحكم الكنسي أو الملكي عملية تهدف إلى خدمة الإنسان من حيث هو إنسان وعلى مستوى البشرية جمعاء، أو تنطلق بالعقل إلى عالم الموضوعية والبحث العلمي النزيه، ووضع نتائج ما يتوصل إليه العقل تحت معيار إنساني عام وشامل أو تحت معيار التجربة والخطأ من أجل الوصول لما هو أفضل لصيانة حقوق الإنسان وكرامته وطيب عيشه في هذه الدنيا، أو لما هو أفضل

---

(١) انظر: الديمقراطية والعلمانية في التجربة الغربية، منير شفيق، ص٩٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

لعلاقات الإنسان بأخيه الإنسان ولعلاقات الدول والشعوب والقوميات والأديان والمذاهب فيما بينها[1].

---

(١) انظر: الديمقراطية والعلمانية في التجربة الغربية، منير شفيق، ص٩٨.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المبحث الرابع
إحياء النزعة الإنسانية

ظهرت هذه النزعة في البروتستانتية عندما نقلت السلطة الفكرية إلى تجربة الفرد، ورأت أن من حق الفرد إصدار حكم مستقل في قضايا الدين، ومن حقه التأويل الشخصي للكتاب المقدس(١).

ولذلك يمكن اعتبار البروتستانتية هي بداية الأنسنة في العصور الحديثة باعتبارها ركزت على الإنسان وآمنت بقدرته على الفهم، وشكلت ردة فعل قوية ضد الدين المسيحي الذي يميل بأهله إلى الزهد، وإنكار الذات دون مراعاة لحاجات الإنسان ورغباته الأساسية، واتجهت الأنظار لجعل الإنسان بدلاً من الله ﷻ وتمثل ذلك في:

- الاهتمام بالحياة الدنيوية والعمل والنشاط بدلاً من حياة التأمل والتفكير المجرد.

- تبني معيار جديد للقيم، علماني الطابع بحيث ينظر إلى العالم عن أنه نتاج لفعاليات الإنسان ومحاولاته وتجاربه.

- التأكيد على ضرورة التعليم ومركزيته، والتعليم المقصود هو التعليم الدنيوي الذي يخدم الإنسان في هذه الحياة بعكس ما يسعى لتكريسه اللاهوت المسيحي.

- التأكيد على قدرة الإنسان في مواجهة القدر، وحريته في تشكيل حياته الشخصية، وقدرته على تحقيق طموحاته وفق مواهبه دون اعتداد بالفاعلية الإلهية، ثم تفاقمت الأنسنة في عصر التنوير بسبب الاكتشافات العلمية وبروز جيل واسع من المثقفين تجمعهم الرغبة في التخلص من التدخل الكنسي في شؤون الحياة الفردية

---

(١) انظر: الفلسفة الحديثة، د. أمل مبروك، ص٤٦.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

والاجتماعية واتفق أغلب الإنسانيين على استبعاد التفسيرات التي تقدمها أديان الوحي واعتبارها ضرباً من الأوهام، وإذا كانت هناك ضرورة لقراءة الكتاب المقدس فيمكن قراءته قراءة رمزية بحيث يصبح من الممكن أن يكون الإله إنساناً"[1].

إن ما قامت به المدارس الفلسفية والعلمية قديماً وحديثاً، من دراسات حول الإنسان باءت كلها بالفشل ولم تحقق نجاحاً في معرفة طبيعته ووظيفته، ومن ثم إسعاده في هذه الحياة وكل ما قدمته لا يعدوا وأن يكون تخمينات ونظريات جزئية، مبتسرة فيما يتعلق بالخلق والمعرفة، إذ بعضها قدس العقل تقدسياً عظيماً حتى جعله أساس الخلق وأساس العلم، ورفض باقي استعدادات الإنسان وكينونته الإنسانية الربانية الخلق والمعرفة، والبعض الآخر قدس فيه جوانب المادة والحس ورفض التسليم بطبيعته الروحية بل جعل فكره انعكاساً للواقع المادي الذي لا يعدو أن يكون الوجود الإنساني منه متجانساً معه، وهناك النظريات العلمية الميكانيكية والطبيعية والكيميائية التي تريد أن تضع الإنسان في معامل العلم، ولكن أنى لهذه النظريات البشرية كلها أن تقدم شيئاً صحيحاً عن هذا الإنسان، بل إن هذا الإنسان لا يعرف معرفة سليمة إلا من مصدر خلقه من الله سبحانه، ولعل ما يدل على جهل البشرية بعيداً عن منهج الله أن يكتب عالم وطبيب من أكبر علماء هذا العصر كتاباً عن الإنسان يجعل عنوانه "الإنسان ذلك المجهول" ومما يقوله في ثنايا بحثه: وواقع الأمر أن جهلنا مطبق، فمعظم الأسئلة التي يوجهها أولئك الذين يدرسون الجنس البشري، إلى أنفسهم تظل بلا جواب، لأن هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية غير معروفة... إننا ما زلنا بعيدين جداً عن معرفة ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل العظمي والعضلات والأعضاء...[2].

إن التاريخ كثيراً ما يعيد نفسه، وكذلك فغالباً ما يقوم الإنسان في صيغ جديدة،

---

(١) نقلاً عن: العلمانيون والقرآن الكريم، د. أحمد الطعان، ص٦٠٢، ٦٠٣.

(٢) انظر: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، د. راجح الكردي، ص٤٥٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

بإنتاج ترهات قديمة، لقد تحدث سقراط وأفلاطون بما فيه الكفاية عن أن مقولة براتاغورس "الإنسان مقياس كل شيء" لا تؤدي إلا إلى نتيجة واحدة هي ضياع أي مقياس، لكن براتاغورس اليوناني تواضع قليلاً فجعل فاصلاً ما بين عالم الإنسان وعالم الآلهة، فعالم الآلهة هو ذلك الذي لا يستطيع براتاغورس اليوناني أن يدركه فقرر تنحيته جانباً، أما براتاغورس الحديث فهو لا يقبل بأقل من تنصيب نفسه إلهاً ومبدأ أولاً مطلقاً! إن الإنسانية قد تحولت إلى نظريات عالمية مفادها أن تأكيد الإنسان يتطلب نفي الله، وكذلك فإن نفي الله لا يتم إلا بتأكيد الإنسان(١).

لقد قادت النزعة الإنسانية الغرب إلى الإلحاد، وإنكار الأديان والنبوات، وافتراض أن كل الأديان ضد الإنسان ومعادية له(٢).

---

(١) انظر: الأسس البنيوية لفكر الحداثة الغربية، د. محمد عادل شريح، ص٣٨.

(٢) انظر: الاستشراق عند ادوارد سعيد، د. تركي خالد الظفيري، ص٢١٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المبحث الخامس
مواجهـــة الأصوليـــة

الأصـولية مـصطلح يرمـز بـه الكاثوليـك خاصـة الـذي يتمـسكون بالمـاضي ويرفضون كـل جديـد، ويتـسم مـوقفهم بـالجمود والتـصلب والمعارضـة ورفـض كـل تطور، كما أنه يطلق على طائفة مـن البروتـستانت تـؤمن بالعـصمة الحرفيـة لكـل كلمـة وردت في الكتـاب المقـدس، لأن أفرادهـا يـدّعون أن الآبـاء يتلقـون مبـاشرة عـن الله، ويرفضون العقل ويردون أحكامه وأحكام العلماء، ويرفضون التفكير العلمي ويرونـه احتقاراً للكنيسة التي تختص بكلمة الرب ويميلون إلى العنف واستخدام القـوة لبـسط آرائهم ومعتقداتهم على الجميـع، إذاً تتميـز هـذه الطـائفتين بـبعض الحقـائق وتـتلخص فيما يلي:

- من لوازم الأصولية رفض التطور ومحاربة العلـم وعـدم التكيـف مـع ظـروف الحياة المعاصرة.
- التشبث بالماضي التراثي، والمطالبـة بـالعودة إليـه كمرجـع أسـاسي في مواجهـة الحداثة المعاصرة.
- عدم التسامح ورفض الآخر.
- العنف واستعمال القوة وبسط الرأي والمعتقد الذي يدينون به.

فهـي جمـود في مواجهـة التطـور، وجنـوح إلى المـاضي في مواجهـة التكيـف مـع الواقع، ومواجهة العلم والعلماء بآراء الكنيسة وفكـر الآبـاء، وانغـلاق عـلى الـذات في مواجهة الانفتاح على الغير[1].

---

(١) انظر: من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهـة التغريـب واسـتلاب الهويـة، محمـد الجلنيـد، ص١٣١، ومـا بعدها.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩ Ali Fattani

لقد تجردت أوروبا من الكنيسة وسلطانها، وارتدت بذلك رومانية كاملة، لا يقف شيء في سبيل نزعتها الرومانية المادية التي لا تعرف غير الجسد ونزواته، ولا تؤمن إلا بالواقع المادي الذي تثبته الحواس، ونشأ على أنقاض الكنيسة والدين فلسفة مادية بحتة، تستمد وحيها من الأرض، من واقع الحواس، ولا ترتفع ببصرها لحظة إلى السماء[1]. هذه المادية كانت وليدة الظروف التي فرضتها المسيحية على العقول، والعجيب أن الثورة المادية لم تقف عند حد الدين المتمثل في الكنيسة ورجالها، بل امتدت إلى محاربة الدين بجملته، والأديان بعمومها حقة كانت أو باطلة[2].

۞ التسامح الديني المعاصر:

كان للنهضة الفكرية الأوربية التي انطلقت في القرون الوسطى الدور الأساسي في نشوء معظم الدساتير الغربية التي أبرزت حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، كما كان لآراء الفلاسفة مثل جون لوك وجان جاك روسو وغيرهم الأثر الكبير الذي أدى إلى اكتساب الشعوب الحرية في أوروبا[3]. فمثلاً الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والذي عقد في عام ١٩٤٨م يقوم على مرتكزات أساسية وهي: الحرية والمساواة وعدم التمييز والإخاء، وقد ذكر - عدة مواد - والتي منها:

- يولد جميع الناس أحراراً ومتساويين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

- ان لكل الناس حق التمتع بكافة الحقوق والحريات دون تمييز من أي نوع، ولا سيما التمييز بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أوالدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر.

---

(١) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ص١٦.

(٢) انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوربي، د. أحمد عجيبة، ص١٢٠.

(٣) انظر: حقوق الإنسان، د. سهيل حسين الفتلاوي، ص٣٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

- حرية المعتقد، فلكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا حرية تغيير الفرد لديانته وعقيدته، كما يشمل حرية الإعراب عنهما بالتعليم وممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها، سواء أكان ذلك سراً أم مع الجماعة.

- حرية الرأي والتعبير، فلكل شخص حرية الرأي والتعبير بما في ذلك الحرية في اعتناق الآراء دون مضايقة أو تدخل وفي التماس الأنباء والأفكار وتلقيها ونقلها إلى الآخرين بأي وسيلة ودون اعتبار للحدود(١).

التسامح الديني شهد تطوراً تحت تأثير حركة الإصلاح الديني الأوربي بزعامة مارتن لوثر، وبدأ يتبلور مع بروز ملامح الحداثة الأوربية ووجود المجتمع المدني وظهور دولة القانون، ومع تطور الفلسفات النقدية، حيث بدأت فلسفة الأنوار مع القرن الثامن عشر بما حملته معها من قيم ومفاهيم وأفكار جديدة حول العقل والحرية والمساواة وحقوق الإنسان، وقد تأسست فكرة التسامح الديني على أساس ألا وجود للحقيقة المطلقة، مما أدى بهم إلى الدعوة إلى الحرية والإيمان بمبدأ الاختلاف وفي ذلك يقول فولتير(٢): "إنني لا أوافق على ما تقول، ولكني سأدافع حتى الموت عن حقك في أن تقوله"، فالمفهوم المعاصر للتسامح يقوم على مبادئ حقوق الإنسان العالمية، حيث ربطت وثيقة إعلان المبادئ العالمي الصادر في عام ١٩٩٥م بين التسامح وحقوق الإنسان والديمقراطية والسلم، وأخذ صورة قانونية يتطلب حماية من قبل المجتمع الدولي، حيث ورد في البند الأول من هذه الوثيقة إعلان المبادئ حول التسامح الصادرة عن اليونسكو بصدد معنى التسامح، وبذلك يكون مفهوم التسامح متضمناً العناصر الآتية:

أولاً: قبول تنوع واختلافات ثقافات عالمنا واحترام هذا التنوع.

---

(١) انظر: حقوق الإنسان وحرياته، د. علي محمد الدباس، ص٥٦، ٥٨.

(٢) سبق تعريفه.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

ثانيـاً: التسامح موقف يقوم على الاعتراف بالحقوق العالمية للشخص الإنساني، والحريات الأساسية للآخر.

ثالثـاً: التـسامح هـو مفتـاح حقـوق الإنـسان والتعدديـة الـسياسية والثقافيـة والديمقراطية.

رابعاً: إن تطبيق التسامح يعني ضرورة الاعتراف لكل واحد بحقه في حرية اختيار معتقداته، والقبول بأن يتمتع الآخر بالحق نفسه، كما يعني بأن لا أحد يفرض آراءه على الآخرين[1].

التسامح الديني في الغرب إنما هو حكاية لمفهوم حقوق الإنسان وللديمقراطية، والتي من خلالهما يستطيع الإنسان أن يتحرر من كافة أشكال العبودية والقهر والتسلط التي عاشها أسلافه في العصور الوسطى، وبذلك يتقبل الآخرين ويكون التفاضل بين أفراد المجتمع المتعدد إنما هو بالعمل والإبداع، فالمجتمع المتطور هو الذي يعمل على خلق جيل قادر على التمازج وقبول الرأي الآخر، فالمفهوم الغربي لحقوق الإنسان وللتسامح الديني إنما استمد أصوله من المذاهب الفلسفية التي ظهرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر حول الفرد المستقل وعن حقوقه الطبيعية، إنه وحتى في اللحظات التي يقر فيها الغربي للإنسان بحقوقه ويهب للدفاع عنها، ويعقد المجالس والهيئات القضائية والإدارية والإعلامية والاقتصادية لصيانتها، ويثور لانتهاكها، فهو يكذب، فما يدعوه بالإنسان ليس هو غير المواطن، تكذب دساتير الغرب وتنافق إذ تدبج تواطئاتها بما تسميه وهماً أو خداعاً حقوق الإنسان أو المـواطن، إن كلمة إنسان هنا محشورة حشراً في غير موقعها، حشر السليم في الأجرب، إلا أن يضاف إليها الفرنسي أو الإنكليزي أو الغربي عامة[2].

الحرية وحقوق الإنسان في الأنظمة الديمقراطية ما هي إلا شعارات ترفع

---

(١) انظر: حقوق الإنسان، د. سهيل الفتلاوي، ص١٦٨، ١٦٩.

(٢) انظر: الحريات العامة في الدولة الإسلامية، راشد الغنوشي، ص٣٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

وتطبق لتحقيق مصالح الرأسمالية العالمية، فإذا ما اصطدمت بما يخالف هوى الحاكمين الفعليين ومصالحهم الذاتية والمادية لسبب أو لآخر، فإن هذه الشعارات تصبح أثراً بعد عين[1].

إن الحقوق الإنسانية لا تكتسب قيمتها الحقيقة، ما لم تنبثق من نواة عقدية، وإلا صارت نسبية من الممكن المفاصلة عليها إذا ما لوَّح ببديل عنها، قد يكون ملائماً لفئة دون فئة، وزمان دون آخر، وهو ما يجسَّد حالة من الظلم، قد يمثل الإفصاح عن الشعور به والتنفيس عنه: خروجاً عن الشريعة، وخرقاً لمبادئ القوانين التي يسمونها دولية، والخارج غالباً ما يكون إرهابياً مسلماً![2].

وهو ما يدعو، حقاً إلى اعتبار أن حقوق الإنسان كما جاءت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، إنما هي حقوق خاصة بقوم دون غيرهم، وبيئة دون غيرها، وبثقافة دون أخرى، ولا تتسع لتشمل الإنسان كافة، أينما كان، وفي أي بيئة اجتماعية وفي أي ثقافة، وهو ما يجعل منها حقوقاً إنسانية ناقصة، لأنها تقتصر على بيئتها، وعلى ثقافتها، ولا تتسع لغيرها من البيئات والثقافات الأخرى، وهو ما يعني أن حقوق الإنسان في المرجعية الثقافية الأوربية، أو كما جاءت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وملحقاته الصادرة عن الأمم المتحدة ومنظماتها المتعددة ذات العلاقة بحقوق الإنسان لا تستغرق غير حقوق الإنسان في المجتمعات التي ولدت فيها هذه الحقوق، أي هي لا تستغرق غير حقوق الإنسان في الثقافة التي أنتجت هذه الحقوق، أو هي لا تستغرق غير حقوق الإنسان في البيئة التاريخية الاجتماعية التي ترعرعت فيها هذه الحقوق، ولذلك فإن هذه المرجعية الثقافية لا تعترف للآخرين بحقوق أخرى غير تلك الحقوق التي نصت عليها هذه المرجعية الثقافية الغربية، أو التي أنتجتها هذه

---

(١) انظر: الديمقراطية في ميزان العقل والشرع، د. نايف معروف، ص٢٨٧.

(٢) انظر: حوارات الحضارات، عطية فتحي الويشي، ص٢٢٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

البيئة الاجتماعية الغربية...[1].

(١) انظر: من أجل نظرية إسلامية معاصرة، ص١٣٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩ Ali Fattani

الفصل الخامس

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الفصل الخامس

انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي (الأسباب - المظاهر - المآلات)

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: أسباب انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي.
- المبحث الثاني: مظاهر انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي.
- المبحث الثالث: مآلات انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

التمهيـــــد

أدى الصراع بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي في العالم الإسلامي لظهور بعض المفاهيم، ومن تلك المفاهيم الشائعة في هذا العصر التسامح الديني بمفهومه الغربي.

فبات مصطلح التسامح الديني شعارا مطروحا على الساحة الفكرية، وأدى لنمو طائفة حاملة لأفكاره، وسعى طبقة من المفكرين ـ كما سيأتي ـ في تاريخنا الحديث على استنساخ التجربة الغربية في نظرتها للعقل والدين باسم التسامح الديني.

لذلك انتقلت فكرة التسامح الديني بمفهومها الغربي إلى العالم الإسلامي، وكان لانتقال هذه الفكرة أسباب ومظاهر ومآلات سأقوم بإيضاحها في المباحث التالية.

في هذا الفصل قمت بتقسيمه إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي.

المبحث الثاني: مظاهر انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي.

المبحث الثالث: مآلات انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المبحث الأول: أسباب انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي

انتقلت فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي لعدة أسباب اهمها :

١- الضعف والانحطاط في الأمة الإسلامية وتأخرهم عن تقديم الإسلام :

الحديث عن تأخر الأمة الإسلامية وانحطاطها في القرون الأخيرة طويل ومتشعب ولكن السمة البارزة في ذلك التأخر تلك التي تجعله يتدنى عن مستوى فترات الانحطاط السابقة هي الانحراف عن فهم الإسلام نفسه وانحسار مفهوماته التصورية في معانٍ ضيقة ومدلولات محدودة، وهذا الانحراف نتيجة وسبب في آن واحد، لذلك عوقبت الأمة الإسلامية على انحرافها العملي والسلوكي بانحراف أشد منه في العقيدة والتصور، وهو سبب لما تراه من أحداث جسام ومخاطر جمة اجتاحت الرقعة الإسلامية من أقصاها إلى أدناها منها على سبيل التمثيل: الركود العلمي العام الذي هيمن على الحياة الإسلامية في عصر كانت أوروبا فيه قد نفضت غبار الماضي وحثت الخطى على طريق العلم والاكتشاف، والضعف المادي والمعنوي الذي جعل البلاد الإسلامية لقمة سائغة للكفار، ولقد كانت هزيمة العثمانيين وتقهقر المماليك السريع أمام نابليون مؤشراً واضحاً على هذين أي "الركود العلمي والضعف المادي والمعنوي" وبداية خطره لنهاية الزعامة الإسلامية ليس على العالم بل على أرض الإسلام ! وحين تعرف أن هذا الانحراف هو سبب التدهور والانحطاط فإننا لا ننسى العوامل الخارجية المتمثلة في تفوق الكفار عملياً وعسكرياً والحقد الصليبي الأعمى الذي بث سراياه الفكرية المضللة جنباً إلى جانب مع السرايا الاستعمارية، لكن المنطق الإسلامي الثابت يؤكد أنه مهما بلغت القوة الخارجية ومهما كان التخطيط المضاد فإن المسلمين لن يؤتوا إلا من قبل أنفسهم، حسب القاعدة المطردة التي سنها

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾ [الأنفال:٣٥]. وأوضحها الرسول ﷺ بقوله "ودعوت ربي ألا يهلك أمتي بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم حتى يقاتل بعضهم بعضاً"(١)(٢).

ولعل الظاهرتين الخطيرتين الآتيتين اللتين ما تزالان تسيطران على العالم الإسلامي إلى أيامنا هذه توضحان لنا حجم هذا الضعف العلمي، ومدى الانحطاط الذي تعيشه الأمة، وهاتان الظاهرتان هما:

الأولى: أن العالم الإسلامي أصبح عالة على الغرب، متطفلاً على مائدته حتى في اللغة العربية وآداب اللغة وعلومها، وحتى في علوم الدين كالتفسير والحديث والفقه، وأصبح المستشرقون هم المرشدين الموجهين في البحث والتحقيق، والدراسة والتأليف، وهم المنتهى والمرجع والحجة في الأحكام والآراء الإسلامية والنظريات العلمية والتاريخية وهم الأسوة في النقض والإبرام، وخضع العالم الإسلامي للنظام التعليمي الأوربي بطبيعة الحال إذ كان مصاباً بالانحطاط العلمي والشلل الفكري من زمان، وكان لا يجد المدد والغوث إلا في أوروبا، فقبل هذا النظام التعليمي على علاته، فهو النظام السائد اليوم في أنحاء العالم الإسلامي.

الثانية: ما تمثل في هجرة العقول المسلمة، كان طبيعياً لما وقع من ضعف علمي أن يهاجر العقل الواعي المسلم من بيئته الجاهلية التي لا يوجد بها أدنى احتفال حقيقي بالعلوم إلى الغرب الذي فتح أبوابه لكل قادم، ويعاني العالم الإسلامي في هذا العصر من نزيف يكاد ينخره، وهو نزيف العقول الإسلامية المهاجرة التي تضم كفاءات

---

(١) رواه مسلم (٧٤٤٠) عن ثوبان رضي الله عنه.

(٢) انظر: العلمانية نشأتها وتطورها، د. سفر الحوالي، ص٥٠٧، ٥٠٨.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

علمية وأكاديمية أصبح العالم الغربي يعتمد عليها في بناء حضارته[1].

كما أن من أسباب الضعف والانحطاط الهزيمة النفسية والتي مرت بعدة مراحل وأطوار:

الأولى: هي الشعور بالضعف والذلة والهوان.

والثانية: هي الانبهار والإعجاب والتعلق.

والثالثة: هي التقليد والمتابعة والمحاكاة.

وهذه المراحل الثلاثة تنشأ عنها شخصية ضعيفة مهزوزة، تتمرد على كل قديم، وتهزأ بالتراث وتنتقص بلادها وقومها، وقد وقع كل ذلك في حياة المسلمين تقريباً، فقد ساد الشعوب بالضعف والذلة والهوان بعد الاحتكاك العسكري وغلبة العدو لهم، ثم أعقب ذلك شعور بالانبهار والإعجاب بعد أن خفت وطأت الهزيمة في نفوسهم وبارحت آثارها جوانحهم، ثم جاء دور التقليد والمتابعة والمحاكاة، ووقع ما أخبر المصطفى ﷺ: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟"[2][3].

لذلك تجد التسامح الديني بمفهومه الغربي هو من جملة تلك الأفكار الغربية التي انعكست انبهارا وإعجابا لدى كثير من المسلمين، وأوجدت استعدادا ذاتيا للتلقي عنه، وما كان ذلك إلا نتيجة لشعورهم بالانحطاط والنقص تجاهها، ومن باب انبهار المغلوب بالغالب وما رافقتها من تصورات خاطئة مفادها أن التقدم الحضاري المادي هو مظهر التقدم الصحيح.

---

(١) انظر: الانحرافات العقدية والعلمية، علي بخيت الزهراني، ٢/ ١٧١،١٧٢.

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٦) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) انظر: الانحرافات العقدية، ٢/ ٢١٧، ٢١٨.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

٢- الجهل بالكتاب والسنة وفقدان الفهم الصحيح للإسلام :

عاش العالم الإسلامي بضعة قرون يتقهقر حضارياً واجتماعياً ويسوده الركود في جانبه الفكري، حتى بداية ما يسمى بالعصور الحديثة، وقد اكتفى عامة العلماء فيما يتعلق بعلم العقيدة بتراث المتأخرين ممن كتبوا في ذلك يشرحونه إن كان وجيزاً، ويختصرونه إن كان موسعاً، وينظمونه إن كان منثوراً ونحو ذلك[١].

ولا شك أن ذلك ساعد على مزيد من الانحطاط الذي وقعت فيه الأمة وزاد الانحطاط بجدل المتكلمين الذين بلبلوا الأفكار وضيعوا العامة في متاهات العمى والجهل بشؤون دنياهم، وأبدلوا العمل الإسلامي - الهادف إلى الكسب والسعي نحو تجسيد الفضيلة الخلقية في المجتمع - بالجدل العقيم الذي لا نهاية له[٢].

فتحولت العقيدة إلى قضايا جدلية ومشكلات ذهنية كان انحرافاً أوقعه المتكلمون في الأمة، فأقصى ما فعله هؤلاء أن أحالوا العقيدة إلى مجرد معرفة باردة لا تتعدى الأذهان، أما مهمة العقيدة الحقيقة فلا تقف عند المعرفة، وإنما تهدف إلى الحركة من وراء ذلك، وأن تكون قوة دافعة لتحقيق مدلولها في عالم الواقع[٣].

لذلك تجد أكثر من يتبنى الأفكار الغربية عموما وفكرة التسامح الديني بشكل خاص، ليس لديه تصور صحيح عن العقيدة الصحيحة، وأنها اعتقاد وقول وعمل، وميزان من خلالها تعرف صحيح الأفكار وسقيمها، وما تأخذ منها وما تترك، فكان الجهل بها واعتقاد من ظن أن علم الكلام هو العقيدة الصحيحة أنه لم يجد ضالته فيه، فكان الفكر الغربي هو البديل، والمشروع الذي من خلاله يسعى للتغيير،

---

(١) انظر: مناهج البحث في العقيدة الإسلامية، د. عبد الرحمن الزنيدي، ص٤٧.

(٢) انظر: الانحرافات العقيدة والعلمية، ١/ ٢٦٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ١/ ٢٦٨.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

متساهلا في مسلمات الدين كقضية التوحيد والولاء والبراء والحاكمية لله ورسوله باسم التسامح الديني.

كما إنك تجد من المسلمين من لا يتبنى علم الكلام ولم يتعلمه أصلا، لكن عنده اضطراب ولبس في كيفية تلقي المعرفة، بسبب شبهة، أو جهل بمصدرية المعرفة.

لذلك فحياة الإنسان ومستقبله قائمة على المعرفة التي يحملها متلقياً لها، أو منشئاً، ثم يسّير بها هذه الحياة ويتجه بها نحو المستقبل، وأهم قضية في مسألة المعرفة هي مصدرها، الذي افترقت الأمم والفلسفات بسبب الاختلاف فيها، في الإسلام يمثل الوحي بصفته إعلاماً من الله لنبيه بشرعه ودينه حاملاً درجة اليقين، بأن مصدره هو الله -يمثل- مصدرية المعرفة الأوثق والأول، ويأتي بعده المصدر الآخر وهو العقل البشري مستعيناً بملكاته وبحواس الإنسان المتعددة، ويمثل العقل وسيلة الإنسان لمعرفة ما جاء به الوحي من تعاليم عقدية وتشريعية، في انسجام تكاملي بينهما - الوحي والعقل - وحينما دخلت الفلسفة اليونانية إلى الحياة الإسلامية، وكان العقل مصدرها الأوثق والأول في المعرفة، برزت لدى المتأثرين بها مشكلة الأولية بين المصدرين للمعرفة، وعانى الفكر الإسلامي من هذه المشكلة وتبددت جهود كبيرة بسببها، واضطربت عقول كثيرة نتيجة الخطأ في حلها[1].

لقد برزت قضية مصدرية المعرفة بصورة حادة، ومصادمة للمنهج الإسلامي، وهي نتيجة للصراع بين الدين الكنسي المتسلط في العصور الوسطى الأوروبية على الغربيين باسم الوحي والتعاليم المقدسة، وبين المتحررين المتمردين على ما يسميها مارتن لوثر (بتعاليم الشيطان)، حينما نما شعور العقل - في ما يسمونه عصر التنوير - بأن لديه القدرة على أن يرسم مصير الإنسانية بجهده المستقل، وانتهت مع الفيلسوف الألماني نيتشه إلى:

---

(١) انظر: مناهج البحث في العقيدة الإسلامية، ص٤٧٦، ٤٧٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

- استقلال العقل في الوجود، وسيادته على نفسه، وعلى العالم الخارجي حتى الوحي والدين.
- وإلى تبعية عالم الأشياء للعقل.

ولم يكن هذا الاندفاع وراء العقل نزوات فردية لبضعة من الفلاسفة، لقد كان توجهاً عاماً عبر عن نفسه في مشاركة حسية " دفعت سكان باريس إبان الثورة الفرنسية إلى عبادة آلهة العقل المجسمة على شكل امرأة حسناء من نساء باريس " ولكن الاندفاع بعيداً عن الوحي لم يقف عند هذا الحد المغالي في العقل، لأن العقل بمبادئه الأولية ربما يقود الإنسان نحو الدين إذا سلم له المنهج، لذا اتجه الفكر الأوروبي منذ بداية القرن التاسع عشر، إلى حصر حركة العقل في مجال معين وهو مجال الطبيعة، أي جعل مصدر المعرفة هو الخبرة الحسية تجربة أو ملاحظة يقوم بها العقل على أشياء عالم المادة منتهياً إلى قوانينها وتطبيقاتها العلمية(١).

تمثل المعرفة المحور الأول والأهم في الوجود الإنساني: سواء بالنسبة للإنسان ذاته، الذي تمثل المعرفة منطلقة لتحقيق وجوده، تعرفاً على الموجودات، وعلى منهج التعامل معها، ونظراً لأولية المعرفة على قضايا الوجود، صار الاضطراب فيها سبباً لاضطراب الإنسان في قضايا الوجود، في تصوراته، وسلوكه، وحضارته، واختلفت البشرية على مستوى الفكر، كما في الفلسفة ما بين عقليين وحدسيين وحسيين وعلى مستوى السلوك والتشكل الحضاري والثقافي روحية ومادية... بسبب اختلافها في المعرفة، في مصادرها، أو مناهجها(٢).

فكان لطغيان هذه الثقافة المزيحة للوحي الإلهي عن عرشه، وإقامة العقل الحسي مقامه، أثر كبير على المسلمين في نظرتهم في منهج المعرفة ومصادرها، وفي نظرتهم إلى ما

---

(١) انظر: مناهج البحث في العقيدة الإسلامي، ص٤٧٧، ٤٧٨.

(٢) انظر: السلفية وقضايا العصر د. عبد الرحمن الزنيدي، ص١٥٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

أثبته الوحي، مما يعجز العقل الحسي عن إثباته[١].

إن فكرة التسامح الديني سبب ظهورها في الغرب هو اعتمادهم وجعلهم العقل مصدر المعرفة، سواء في الأمور الدينية أو الدنيوية، وهذه النظرة انتقلت إلى العالم الاسلامي بجعل العقل هو مصدر المعرفة وأن كل فرد له الحق أن يبحث وينتقد بلا قيد، وأن ينظر لجميع الأفكار بلا تعصب، وأن كل فكرة تحتمل الصواب والخطأ، فالمعرفة هنا مردها إلى العقل، وهذا العقل لا بد أن يكون متحررا من كل مؤثرات مسبقة دينية كانت أو غير دينية، وإلا متى وجدت هذه المؤثرات كان ذلك تعصبا مسبقا ومخالفا لمفهوم التسامح الديني، وهذا كله إنما كان بسبب الخلل في مصدرية المعرفة.

٣- الاستشـــــراق:

الاستشراق هو دراسة الغرب للشرق، وتحويل حضارات الشرق إلى موضوعات للدراسة، وخلق فروع جديدة لمعرفة الحضارات اللاغربية، مثل الصينيات والهنديات والإسلاميات والإيرانيات والمصريات[٢].

فهو أسلوب فكري غربي - أي منهج غربي في رؤية الأشياء والتعامل معها - يقوم على أن هناك اختلافاً جذرياً في الوجود والمعرفة بين الغرب والشرق، وأن الأول يتميز بالتفوق العنصري، والثقافي على الثاني[٣].

خصائص الاستشراق - منها:

(١) كثير من المستشرقين نصارى تخصصوا في الدراسات اللاهوتية للكتاب

---

(١) انظر: مناهج البحث في العقيدة الإسلامي، ص٤٧٨.

(٢) انظر: المعرفي واللايديولوجي في الفكر العربي المعاصر، مجموعة باحثين، ص٤٤٦.

(٣) انظر: الاستشراق رؤية إسلامية، أحمد غراب، ص٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

المقدس – أي العهدين القديم والجديد ـ، وأعدوا إعداداً خاصاً للقيام (بالتعاون مع المستشرقين اليهود) بمهمة دراسة الإسلام والمسلمين لأهداف عديدة منها: التعرف على الثغرات التي يمكن استغلالها لتشويه الإسلام، وبث الفرقة والفتنة بين المسلمين، وإثارة الشبهات لتشكيكهم في دينهم، ومحاولة ردتهم عنه[١].

(٢) أنها تجنح دائماً إلى الحط من قدر الإسلام، وتشويه صورته، وإصدار أحكام وتعميمات تحقيرية عنه، بهدف تنفير المسلمين منه، ومحاولة ردتهم عنه ردة شاملة، وأولى خطوات هذه الردة هي محاولة تحقيق الردة الثقافية أولاً، أي تحويل المسلمين من ثقافة الإسلام إلى ثقافة الغرب، وذلك بوسائل عديدة منها: الدعوة إلى تطوير الإسلام، وإلى التغريب والحداثة، وإلى العلمانية والقومية، وإلى الحوار بين الحضارات، والتقارب بين الأديان[٢].

يقول المستشرق الهولندي سنوك هرجدونيه: "إن الشريعة الإسلامية موضوع مهم للدراسات الاستشراقية، ليس فقط لأسباب تجريدية نظرية متعلقة بتاريخ القانون والحضارة والدين، ولكن كذلك لأهداف عملية: وذلك أنه كلما توثقت العلاقات بين أوروبا والشرق الإسلامي، وكلما زاد عدد البلاد الإسلامية التي تقع تحت السيادة الأوروبية، كلما زادت الأهمية بالنسبة لنا نحن الأوروبيين لنتعرف على الحياة الفكرية، وعلى الشريعة، وعلى خلفية المفاهيم الإسلامية[٣].

ومن جهودهم من ذلك على سبيل المثال: وضع منهج لا ديني للبحث العلمي: لو لم يكن من ثمرة جهودهم إلا ذلك لكفى، فإن جامعات العالم الإسلامي المعاصرة تدرس التراث الإسلامي وفق ذلك المنهج الذي يتمسح بالموضوعية والحياد العلمي

---

(١) انظر: الاستشراق رؤية إسلامية، ص٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٩.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٤٢.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٢٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

وهو أبعد ما يكون عنهما...[1]

كذلك الدعوة إلى إصلاح الإسلام: يزعم المستشرقون أن الإسلام دين جامد، وأنه لم يعد مسايراً لروح العصر، ولذلك فهو في حاجة إلى إصلاح جذري، وفي ذلك يقول أحد المستشرقين: "إن على الإسلام إما أن يعتمد تغييراً جذرياً فيه، وإما أن يتخلى عن مسايرة الحياة"[2].

تكمن خطورة الاستشراق في تلقف جمهرة من المنتسبين إلى الإسلام لأفكاره وآرائه، واعتناقهم لها، وتثقفهم بها، ونشرها بين المسلمين، لذلك فإن ترجمة الكتب الاستشراقية، وتعمد نشرها في أوساط البيئة الإسلامية تعد خيانة للفكر الإسلامي، قام بها مجموعة من المنهزمين نفسياً، وروجوا لما يقومون به من خدمة للمستشرقين ومؤلفاتهم[3].

يقول عبد الله العروي[4] " مصلحة المسلمين أن يتخذوا من نقد أعمال المستشرقين منطلقاً للتفكير في شؤونهم،...[5] "ويقول المستشرق: ت. كو. بل. بيج وهو ينعي على المسلمين عدم الاهتمام بدراسة التفكير المسيحي والفلسفي والكلاسيكي: " لن يتم إصلاح ديني إسلامي ذي بال إلا على يد فريق من المؤمنين المثقفين، ولن تتم تنشئة هذا الفريق إلا عندما يهيئ التعليم العالي في البلاد العربية فرصة البحث عن أصول التفكير الإسلامي والمسيحي والفلسفي الكلاسيكي، هذا النوع من البحث الذي ظلت الجامعات الأوروبية تعتني به منذ ألف ومائتين من

---

(١) انظر: العلمانية نشأتها وتطورها، ص٥٥٠.

(٢) نقلا من: الإسلام والغرب، د. محمود حمدي زقزوق، ص٢٩.

(٣) انظر: الانحرافات العقدية والعلمية، ٢/ ٢٩٦.

(٤) عبدالله العروي : مفكر مغربي ولد سنة ١٩٣٣م درس في الرباط ثم في جامعة السربون بباريس له انتاجات فكرية في النقد الإيد يولوجي وفي تاريخ الأفكار والأنظمة .

(٥) نقلا من: أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، د. نديم نجدي، ص٤٥٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

السنين"[1].

لقد فتح المستشرقون الأوربيون باب النقد لتراثنا بوضع المناهج النقدية، وبدراسة نماذج منه على نحو يوحي للقارئ بتفاهته وضآلته وكونه العقبة الكؤود التي تحول دوننا، ودون تمثل النظم الحضارية الحديثة، وكان القصد النهائي من وراء ذلك كسر شوكة الاعتزاز بذلك التراث تمهيداً لاحتلال وعينا، وتهيئتنا للغزو الثقافي الضخم الذي جاء في أعقاب ذلك، وورث مناهج المستشرقين ورؤاهم ونتائج بحوثهم أعداد ضخمة من الباحثين من بني جلدتنا، وصارت مهمتهم إكمال ما بدأه أساتذتهم، وزاد في عدائهم للتراث الإخفاقات المتتالية التي واجهتها النظريات والمناهج والحكومات التي حذت حذو الغرب في التنمية والتحديث، حيث وجدوا في التراث (الشماعة) التي يمكن أن يُعلق بها كل انكسار وإخفاق يحدث لهذه الأمة في عصورنا الحديثة[2].

لذلك فكرة التسامح الديني بمفهومها الغربي، وما تحمله من نقد وتبني للمذهب العقلي، دعا لها المستشرقين من خلال الدعوة لظهور إسلام عقلي، متأثرين بالفكر الغربي، الذي يسعى للتغيير والتطور، آخذاً بتلك الأسباب التي حدثت في الغرب، والتي من خلالها ستؤدي إلى نتائج مشابهة في العالم الإسلامي.

---

(١) نقلا من: المستشرقون، د. عابد السفياني، ص٢.

(٢) انظر: من أجل انطلاقة حضارية شاملة، د. عبد الكريم بكار، ٢/ ٣٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩ Ali Fattani

المبحث الثاني: مظاهر انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي

١- إشاعة النزعة الإنسانية:

مصطلحات النزعة الإنسانية، والأنسنة، والإنسانوية تأتي في اللغة العربية كترجمات للمصطلح الفرنسي والذي يشتق من اللغة اللاتينية والتي تعني في اللاتينية: "تعهد الإنسان لنفسه بالعلوم الليبرالية التي بها يكون جلاء حقيقته كإنسان متميز عن سائر الحيوانات"(١).

ولم يعرف في الثقافة العربية الحديثة إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين، وارتبط هذا المفهوم بالدرجة الأولى بمحمد أركون(٢)(٣).

يجيب أركون عن هذه النزعة الإنسانية بأنها: الموقف الذي يحترم الإنسان بحد ذاته، فالإنسان مركز الكون ومحور القيم، وهي نزعة أو بذرة زرعت وأينعت في التراث الإسلامي ولكنها: بذرة ماتت بعد فترة قصيرة، وهي نزعة تتسم بقبول التعددية ووجود الآخر، تقبل الاختلاف ووجود الآراء المتناقضة، حتى اللاهوتية منها، إنها نزعة تتسم بالعقلانية والحرية الشخصية لهذا فإنها تقف مقابل النزعة اللاهوتية التي لا تقبل بهذه الأشياء(٤).

كما أنها تقر بمبدأ الديمقراطية وحقوق الإنسان والمواطن، وفصل الدين عن

---

(١) نقلا من: الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، كحيل مصطفى، ص٥٥.

(٢) محمد أركون: جزائري ولد عام ١٩٢٨م درس بباريس وحصل على الدكتوراة من السربون بباريس حول الأنسنة العربية في القرن الرابع الهجري .يدعو إلى التعامل مع الإسلام بالمقاييس الغربية وبالاستفادة من المعطيات التي خلفها ماركس ونيتشه وغيرهما .

(٣) انظر: محمد أركون مفكر، مجموعة من الباحثين، ص١٦٨.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص١٦٨.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الدولة، واعتبار الأول شأناً شخصياً لا يحق للدولة أو المجتمع أن يتدخل فيه[1].

يقول محمد أركون: "هكذا نجد مثلاً أن الموقف الإنساني الفلسفي يحترم الأديان في الوقت الذي يدافع فيه عن مواقعه بخصوص مسألة المعرفة، لكن المتدينين التقليديين لا يحترمون الفكر الفلسفي ولا ينفتحون عليه، نضرب على ذلك المثال التالي: ابن سيناء وابن رشد يقبلان بالتفكير حول الاعتقاد الديني ويخوضان في الشؤون الدينية، لكن المتكلمين اللاهوتيين والفقهاء يقفون سداً منيعاً ضد ما يدعونه بالعلوم "الدخيلة " أي الفلسفة اليونانية. لماذا؟ لأن هذه العلوم الدخيلة بحسب قولهم آتية من جهة خارجية على التراثات التوحيدية الثلاثة: اليهودية، فالمسيحية، فالإسلامية، ينبغي الاعتراف بأنه طيلة أربعة قرون، أي من القرن الثامن حتى القرن الثاني عشر، كان بعض الفقهاء واللاهوتيين المسلمين يقبلون بمجاورة الفلاسفة من دون أن يتنازلوا قيد شعرة عما يمس عقائدهم الدينية الأرثوذكسية. لكن هذه الصراعات والاختلافات التي جرت بين الطرفين أدت في نهاية المطاف إلى تصفية الفلسفة الإغريقية داخل السياقات الإسلامية، وذلك بدءاً من القرن الثالث عشر الميلادي هذا من جهة، وأما من جهة أخرى، فقد حصل العكس تماماً في أوروبا المسيحية حيث ما انفكت الفلسفة منذ القرن السادس عشر تتطور وتتصاعد وتُغني العقل في استكشافاته لكل ميادين المعرفة"[2].

الأخذ بالتسامح الديني بمفهومه الغربي شرط أساسي لتحقيق الأنسنة التي يدعو إليها محمد أركون من كونها تقبل التعددية والآراء المتناقضة والاختلاف حتى في القضايا الدينية من باب الحرية الشخصية التي تحميها الدولة لجميع الأفراد ، وفي حالة عدم الأخذ بمفهوم التسامح الديني بفهومه الغربي تنتفي الأنسنة، لذلك نجد أركون يحلل مفهوم التسامح ويتابع تطور المفهوم في التراث العربي الإسلامي، وفي الفكر

---

(١) انظر: قراءة النص الديني عند محمد أركون، عبد المجيد خليقي، ص١٦٩.

(٢) نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، محمد أركون، ص٤١٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الغربي، لكي يحدد مضامينه وطبيعة العقل الذي أنتجه[١]، فهو يضع شرطين أساسيين لممارسة التسامح بشكل فعال، أما الشرط الأول يتمثل في وجود دولة تضمن الحصانة المتساوية لحرية التعبير لكل المواقع الفكرية والعقائدية دون استثناء، أي لكل الأديان والفلسفات والمذاهب، كما وتضمن لكل الأعمال الأدبية والفنية حرية النشر حتى لو مست موضوعات مقدسة سواء لدين ما أو لطائفة ما أو جماعة معينة، فالشرط الأول للتسامح هو ضرورة قيام الدولة وإقرارها ومحافظتها على حرية التفكير، وحرية التعبير، وحرية التدين، وحرية النشر، فبدون الحريات لا يمكن الحديث عن التسامح، أما الشرط الثاني فهو ضرورة وجود مجتمع مدني يقاوم انحرافات الدولة، لأنه يمثل شريكاً حراً للدولة، فبدون مجتمع مدني لا يمكن للتسامح أن يستمر في المجتمع[٢].

مفهوم الأنسنة عند أركون هو السبيل الأمثل لتعزيز قيمة الإنسان في البلدان الإسلامية واحترام حقوقه، وصيانة كرامته، وتدعيم حريته اخذاً بقاعدة بروتاغورس " الإنسان مقياس لكل شيء" بذلك يتحرر الإنسان من كل مؤثر خارجي ، فمفهوم الإنسنة تدعو للعمل بالفلسفة والتي تشجّع ـ بزعمه ـ الإنسان فيما يقرره ويختاره وفي ذلك يقول: "لقد اقترحت مصطلح الأنسنة لكي أدعو بإلحاح إلى ضرورة إحياء الموقف الفلسفي في الفكر العربي خاصة والفكر الإسلامي عامة، وكنت أعتقد ولا أزال، بأنه لا سبيل إلى الاعتناء بمصير الإنسان اعتناء شاملاً نقدياً، منيراً، محرراً، بدون التساؤل الفلسفي عن آفاق المعنى الذي يقترحها العقل ويدافع عنها "، وينبغي التأكيد على أن "الاعتراف بالتعددية المذهبية والثقافية واللغوية هو صفة من الصفات الأساسية والتأسيسية للموقف الإنساني"[٣].

وبالتالي فإن الموقف الإنساني هو موقف عقلاني نقدي، يسعى من خلاله إلى أن

---

(١) انظر: الأنسنة والتأويل، ص٧٧.

(٢) انظر: الأنسنة والتأويل، ص٧٩.

(٣) نقلاً: الحداثة في فكر محمد أركون، فارح مسرحي، ص١٣٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

يقرر كل إنسان مصيره بنفسه، فهو المرجع، وهو المنتج للحقيقة، حيث إن الأنسنة تقوم على تحرير الذات الإنسانية من كل تبعية في علاقتها بذاتها، وفي علاقتها بأبناء جنسها، وفي علاقتها بالعالم بشكل عام(١).

من خصائص النزعة الإنسانية الإشادة بالعقل ورد المعرفة إليه ، وإحلاله محل الوحي والإله ﷻ، ومما ساعد على سرعة انتشار هذه النزعة الإنسانية وتفاقمها اكتشافات الإنسان المتلاحقة للكون، وبروز قدرات خارقة أنجزها العقل الإنساني كانت أقرب إلى الخيال في العصور السالفة، وهو ما أصاب الإنسان بغرور شديد وصلافة وغطرسة، وأبرز ما تجلى ذلك في تعامله مع المقدسات والمطلقات، وخصوصاً النصوص الدينية(٢).

إن أهم ملمح تؤكد عليه النزعة الإنسانية هو إنكار أي معرفة خارج الإنسان كالوحي أو الدين ـ والاكتفاء بما يمليه عليه عقله ـ فتحقيق الإنسان لقواه وقدراته واعتبار السعادة الإنسانية غاية في ذاتها لا تتطلب أي تبريرات خارج الإنسان(٣).

وحقيقة الأمر أن القرآن هو العلاج الوحيد الذي يعطي هذا الإنسان المعرفة اللازمة له فيما يتعلق بالإنسان، ضمن منهج رباني يعد هذا الإنسان ليكون خليفة في الأرض، وليكون قائداً لطريق التحرير فيها، تحرير الإنسانية كلها من العبودية لغير الله إلى العبودية لله وحده لا شريك له، ومن ثم فإن القرآن وهو يتحدث عن خلق الإنسان إنما يعطي المعرفة اللازمة وبقدر ما تهيئ هذا الإنسان لمهمته في الحياة، ولا يهمه أن يعطي نظرية في الخلق ولا في تحليل المعرفة، وما يجري في الكينونة الإنسانية من حركات وارتباطات سواء في مجال الخلق أو في مجال المعرفة أو غير ذلك..، ومن ثم فالمعرفة الحقيقية للإنسان من خالقه ومعلمه هي الضمان الوحيد للمنهجية الصحيحة

---

(١) انظر: الأنسنة والتأويل، ص١٥٥.

(٢) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، د. أحمد الطعان،ص ٦٢٢.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٦٢٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

في البحث، إذ إن فيها ضماناً من التجرؤ الإنساني على هذا الإنسان المخلوق، وفيها الضمان المتكامل للكينونة الإنسانية، وفيها الضمان للتناسق في البحث والمعرفة على أساس قويم من معرفة الإنسان بحقيقته من جهة خالقه بل بما يلزمه من هذه الحقيقة بتقدير خالقه، فهي معرفة صادقة ويقينية عن الإنسان لأن الله الذي خلق وهو أعلم به كما قال ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]. والمعرفة التي أفسح الله بها المجال بالنسبة لهذا الإنسان هي ميزته على سائر المخلوقات(١).

لم تتأسس في الوجود أمة عربية إلا عندما بعث الله فيها رسولاً إلى العالمين، وأرسل معه كتاباً هو القرآن، كان هو النص الذي تأسست على هديه وقيمه وأحكامه أمة وحضارة امتنعت منذ البداية أن تسمى نفسها بالعربية، فاتسعت وتجاوزت بكثير حدود الجزيرة العربية، وظلت ثلاثة عشر قرناً ونيفاً لا تعرف لها غير النص المقدس (كتاباً وسنة) مصدر اعتقاد ومعرفة للغيب ومرجعية قيم وأخلاق وتشريع وحكم، فكانت مرجعية النص أكبر ثوابت هذه الأمة، يجمع على ذلك أهل الفكر الحديث، سواء منهم من ظل مستمسكاً بهذه المرجعية، أو من رغب عن الالتزام الكامل بهذه المرجعية، أو من أعرض كلياً عن هذه المرجعية وظل يلح في جل كتاباته النقدية على أن ما يزعمه من هيمنة الإتباع والسلفية والجمود على مسار الثقافة العربية مرجعه سلطة الدين، أو بتعبير آخر، مرجعة النص(٢).

إن قيام الأمة الإسلامية وحضارتها على النص يتأسس على فكرة التوحيد، الذي يتضمن الإيمان بالله خالقاً وعالماً، ومدبراً للكون بالحكمة، وحاكماً أمر السماوات والأرض بالحق، ومكلفاً للإنسان بالخلافة والعمارة في الأرض، وباعثاً للرسل والميزان لهداية البشر إلى الحق، وإقامة العدل والسلام والخير والحق، نص على ذلك كتاب الله الذي أنزله على خاتم أنبيائه محمد ﷺ مثالاً كاملاً على انبثاق أمة من النص، حيث

---

(١) انظر: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، د. راجح الكردي، ص٤٥١.

(٢) انظر: جدل الثابت والمتغير، د. عبد الملك بو منجل، ١/ ٢٣، ٢٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

التصور والاعتقاد، والشعور والخلق والسلوك، وآداب التعامل وأنظمة الاجتماع وأحكام السياسية، كلها انبثقت من النص ووجدت تنفيذها الكامل في سنة النبي ﷺ ثم في سيرة من واصل نهجه من الخلفاء، كانت مسألة العرب وهم يستقبلون النص مسألة تصديق أو تكذيب لرسول أرسل وكتاب أنزل، ولم تكن مسألة خلاف حول النص، أللفرد هو أم للجماعة؟ أيفهم ظاهراً أم يؤول لينسجم مع العقل؟ أهو الذي يعتمد مرجعاً أعلى أم العقل؟ فلما تم التصديق وأكمل الدين وعم الإسلام الجزيرة كان الكتاب هو المصدر الأول والأكمل للمعرفة، أي للاعتقاد والقيم والموازين والتصورات والأنظمة والشرائع...[1]

ظل واضحاً في أذهان المسلمين أن كلام الله هو الحق والحق أحق أن يتبع، وأن الحكمة ضالة المؤمن فأينما وجدها فهو أحق بها، فاقتبسوا من الأمم الأخرى بعض ما ينفعهم من شؤون الإدارة ووسائل المعيشة وفنون الحكمة، ولكنهم ما فكروا قط في أن يستبدلوا عقائد الأمم وقيمها وشرائعها بعقيدة الإسلام وقيم الإيمان وشريعة القرآن، فظلت مرجعية النص هي الثابت الأكبر والمبدأ الأقدس في حياة المجتمع الإسلامي[2].

٢- انتشار الفكر الفلسفي الغربي:

لقد قام في الغرب الحديث، فيما يسمى بعصر النهضة في أوروبا جمٌ غفير من الفلسفات، والنظريات التي تفسر الوجود، أو تحلل التاريخ، والأديان، والإنسان، أو تصنع تشريعات، تقوم عليها الحياة البشرية، وقد كان علماء الفلسفة المعاصرة للكنيسة، وما تمثله من دين نتيجة الطغيان الذي مارسه رجالها بمن حاول الخروج على تعاليمها قبيل هذا العصر من أكبر موجهات هذه الفلسفة، والنزعات المختلفة، مما

---

(١) انظر: جدل الثابت والمتغير، د. عبد الملك بو منجل، ص١/ ٢٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١/ ٢٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

جعلها تقصي التعاليم الدينية، التي نادت بها الكنيسة، وتجنح في إفراط مقيت إلى تبني كل ما يخالف تلك التعاليم، والقضايا العقدية من نظريات، وأفكار بشرية، لا تزال مفتقرة إلى البرهان المثبت لها، وقد غزت هذه الأفكار الغربية بمختلف فلسفاتها ثقافة المسلمين(١).

محمد عابد الجابري - نموذجاً - يدعو إلى نشر الفكر الفلسفي وتعميمه وفي ذلك يقول: "هنا نأتي إلى قضية تدريس الفلسفة لا في المدرسة فقط، بل تعميمها، تعميم الفكر الفلسفي، إن هذا التعميم، في نظري، يجب أن يبدأ بداية ديكارتية، يعني من قاعدة البداهة والوضوح والتبسيط، هذه هي الفلسفة"(٢). ويقول أيضاً: "وإننا ما لم نؤسس ماضينا تأسيساً عقلانياً فلن نستطيع أن نؤسس حاضراً ولا مستقبلاً بصورة معقولة. هكذا كانت بداية النهضة الأوروبية، حيث تم الرجوع إلى الآثار اليونانية القديمة، لا رجوعاً تراثياً، وإنما رجوعاً انتقادياً، بشكل استيعاب نقدي. وتاريخ أوروبا الفكري هو تاريخ الاستيعاب النقدي لتراثها الروماني اليوناني"(٣).

ولا يمكن القيام بمشروع فلسفي عربي أو عقلانية عربية بدون أن تكون مؤسسة في قسم منها على هذا التعامل العقلاني النقدي مع التراث(٤).

يقول محمد أركون: "نحن نريد للتراث الإسلامي أن يخضع للتفحص النقدي مثلما خضع له التراث المسيحي في أوروبا على مدار ثلاثة قرون"(٥).

منهج التفكير الفلسفي نقدي، على حين أن منهج التفكير الديني إيماني،

---

(١) انظر: مصادر المعرفة، د. عبدالرحمن الزنيدي، ص١٥، " المقدمة ".

(٢) انظر: التراث والحداثة، د. محمد عابد الجابري، ص٢٥٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٢٥٧.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص٢٥٧.

(٥) قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ص٢٥٢.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

فالفلسفة تناقش كافة المسلمات، لأنها قائمة على مبدأ الشك، بخلاف المبدأ الديني فهو قائم على مبدأ التسليم والقبول والتصديق[١].

يقول محمد أركون: "ولذلك فقد دعوت منذ أكثر من ثلاثين سنة إلى القيام بنقد جذري للعقل الإسلامي، وإذا لم يحصل ذلك فإننا لن نستطيع التوصل إلى ما أدعوه بالتسامح الإيجابي الفعال، أي التسامح الذي لا يتفضل به أحد على أحد، أو فئة اجتماعية على فئة أخرى، وإنما هو حق لجميع المواطنين دون استثناء وبغض النظر عن أديانهم ومذاهبهم وأصولهم"[٢].

فالفلسفة تعتمد وتقوم على التسامح مع الآراء الأخرى ذلك للبحث عن الحقيقة من خلال الشك المنهجي، حتى إذا ترك هذا الشك وتحول إلى يقين مذهبي انقلبت الفلسفة إلى إيديولوجيا[٣].

لكن من معلوم أنه ليس في شعب المعرفة الإنسانية واحدة اختلف فيها أصحابها اختلاف الفلاسفة في شعبتهم، فما أن يدعي أحدهم دعوى حتى يقوم إليه من يعترض عليها، وما أن يسلك في فكرة طريقاً حتى يبرز من يعارضه بطريق غيرها، وما أن يقيم بناء نظريته على قواعد معينة، حتى يأتي من بعده من يتولى هدم هذا البناء من أساسه، وما زالت الدعاوى المتعارضة والمسالك المتضاربة والنظريات المتنازعة تستبد بالممارسة الفلسفية كلها، حتى عَّد بعضهم هذا الاختلاف بين المشتغلين بالفلسفة مثلبة في باب المعرفة لا تعدلها مثلبة، استهزأ منها البعض واستنكرها البعض الآخر[٤].

علينا مناقشة إحدى هذه الأفكار السطحية وهي الفكرة التي كثيراً ما روجها

---

(١) انظر: الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، فؤاد زكريا، ص١٤١، " بتصرف ".

(٢) قضايا في نقد العقل الديني، ص٢٥١.

(٣) انظر: قضايا في الفكر، محمد عابد الجابري، ص٢١.

(٤) انظر: الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، طه عبد الرحمن، ص٢٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

مؤرخو الفلسفة عندما ذهبوا إلى القول بأن تاريخ الفلسفة زاخر بالمذاهب والأفكار والنظريات المتعددة، حتى إن المرء ليصاب بالدوار إن هو أراد أن يختار بينهما! أو هو على أقل تقدير، يصاب بالحيرة والارتباك عندما يحاول أن يفضل رأياً على رأي آخر، أو ينتقي لنفسه مذهباً من بين تلك المذاهب المتراكمة، إذاً لابد له أن يتساءل في اضطراب: أي المذاهب ينبغي عليّ أن أقبل وأيها أرفض؟ أي النظريات ينبغي أن أترك وينبغي أن أعتنق؟! ماذا عساي أن أفعل وتاريخ الفلسفة زاخر بكل ألوان النظريات والمذاهب والآراء المتضاربة التي يُفند بعضها بعضاً..؟ بل كثيراً ما يقال إنه بالغاً ما بلغ من سخف الفكرة التي قد تطرأ على ذهنك، فإنك لابد أن تجد من الفلاسفة من يدافع عنها! ويستمر أصحاب هذه الفكرة فيقولون: صحيح أن هناك عقولاً عظيمة كثيرة ظهرت في تاريخ الفلسفة لكنها ضلت الطريق، وتاهت عن السبل المؤدية إلى الحقيقة، والدليل على ذلك أنها ما تفتأ تضرب بعضها بعضاً، ويريد كل منهما أن يُجهز على غيره ! وهي في أضعف الحالات يتناقض كل مذهب مع غيره من المذاهب الأخرى، وإذا كان يحدث لعقول بالغة القوة والعمق والنضج والمفكرين على مثل هذا القدر من العبقرية والذكاء أن تختلف على هذا النحو بحيث تصبح المسافة بينهما واسعة وبعيدة بعد ما بين القطبين، فكيف يمكن لقارئ متواضع أن يفضل بينهما، أو يحكم عليهما؟ كيف يمكن القول بأنه أصاب أفلاطون وأخطأ أرسطو، أو العكس، في الوقت الذي يُلّقب فيه أولهما " بالمفكر الإلهي "، وثانيهما " بالمعلم الأول "؟ أيمكن لأي قارئ أن يكون قاضياً وحكماً فيما اشتجر بين أفلاطون وأرسطو من خلاف؟! والنتيجة التي ينتهي إليها هذا الفريق هي أن المعرفة الفلسفية التي نحصلها من تاريخ الفلاسفة عقيمة غير مجدية ولا قيمة لها على الإطلاق ! ولابد أن نتخذ من هذا العقم مبرراً لإهمال الفلسفة، بل وللبرهنة على عجزها عن بلوغ المعرفة الحقيقة... فالإنسان في رأيهم لم يصل عن طريقها إلى معرفة يقينية[1].

---

(١) انظر: مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، د. إمام عبد الفتاح إمام، ص١٨٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الفلسفة في كل صورها عمل إنساني يتحكم فيه كل ما في طبيعة الإنسان من قيود وحدود، وتدرج بطئ في الوصول إلى المجهول، وقابلية للتغير والتحول، وتقلب بين الهدى والضلال، واقتراب أو ابتعاد عن درجة الكمال، أما الأديان السماوية فإنها صناعة إلهية، لها كل ما للإلهيات من ثبات الحق الذي لا تبديل لكلماته، وصرامة الصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه(١).

لذلك فلا بد من ذكر بعض التقريرات حينما ننظر إلى الفلسفة وما علاقتها بالدين:

- الاعتراف بأولوية النص الديني (القرآن) على أي نص آخر، وأنه نص خاتم، ومهيمن، وبأنه من عند الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

- الاعتراف بأنه نص مجاوز لكل فلسفة، ولكل علم، بما يقدم من حقائق يقينية مطلقة، وبما يقدمه من إجابات عن أسئلة الإنسان التي تقلقه، ولم تستطيع الفلسفة جميعاً الإجابة عنها، أو الركون إلى غيرها من إجابات.

- الاعتراف بأن الفكر الفلسفي، هو نص عقلي، أو نص بشري لا يجوز أن يرقى إلى مستوى النص الديني (الوحي)، أو أن يقارن به، إذ ليس هناك تكافؤ أو ندية، بل أولوية وأفضلية النص الديني على أي نص آخر.

- الاعتراف بأن الفلسفة مهما كان شأنها، ومهما علت صروحها وكبرت مذاهبها، وتعددت واختلفت مدارسها ليست كافية وحدها لتجيب عن كل ما يطرحه الإنسان من أسئلة تشتغل باله وتقلقه عن كل ما يود معرفته عن حقيقة الكون والحياة، وعن حقيقة الأشياء من حوله، وعن كل ما يود معرفته، عن معنى وجوده، عن مآله ومصيره، عن الحرية والمسئولية، عن الثواب والعقاب، عن الجنة والنار، على نحو يطمئن إليه قلبه، لأن الفلسفة مجرد محاولة بشرية لاستكشاف الحقيقة، ليس إلا مجرد محاولة للتفسير أو للتأمل، أو للاستدلال أو للاستنباط، مجرد محاولة قد تنجح في مجال

---

(١) انظر: منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، د. نصر الدين القاضي، ص٧٣.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

ولا تنجح في غيره وقد تهتدي إن استندت إلى الدين أو انطلقت منه، وقد لا تهتدي أبداً، وليدرك من خلال ذلك أن للعقل حدوداً لا يستطيع أن يتجاوزها، ووظيفة لا يتخطاها، وقدرة لا تبلغ به ذلك الشأن من المعرفة، قدرة لا تبلغ به إدراك الحقيقة كاملة أو على نحو كلي، أو على نحو تام كما يظهرها الدين، أو كما يكشف عنها الدين(١).

لقد انطلقت الفلسفة، بمعزل عن المعارف الدينية، لتصل بالإنسان إلى إجابات عن تساؤلاته المعرفية لم ترِ ظمأه، بل أورثته الحيرة والاغتراب(٢).

٣- نسبية الحقيقة:

القائلون بالنسبية كثيرون، سواء في الزمان الماضي أو الحاضر، وهو إدعاء من يفتقد للميزان في العلم، فكل شيء عندهم تابع لوجهة نظر كل شخص، أو إدراكاته وجهازه العصبي والحسي، وهذا عين السفسطة(٣).

وسبب تصور النسبية في الإسلام، هو قياسهم الإسلام على المذهبيات التي ورثتها الأمم الأخرى عن سابقيها، حيث يتجاهل هؤلاء مصدرية الإسلام وهي الوحي الإلهي، المختلفة عن مصادر تلك المذهبيات التي هي العقل البشري المحدود بالزمان والظروف(٤).

ولعل الهدف الرئيسي للقائلين بالنسبية هو استهداف العقائد الدينية، ليسهل عليهم وضعها بعد ذلك في سلة تعدد القراءات، فيجعلون الاعتقاد المطلق جهل،

---

(١) انظر: من أجل نظرية إسلامية، سالم القمودي، ص٩٠.

(٢) انظر: رحلة عقل، د. عمرو شريف، ص٢٨.

(٣) انظر: أصول المعرفة والمنهج العقلي، د. أيمن المصري، ص٤٦.

(٤) انظر: السلفية وقضايا العصر، للزيندي، ص٧٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

وضرب من الانغلاق على الذات والتعصب[١].

يقول هاشم صالح: "أما الاعتقاد بامتلاك الحقيقة المطلقة دون بقية البشر فيؤدي مباشرة إلى الاستبداد، والتعصب الأعمى، وإلغاء كل فكر آخر.."[٢].

ويقول محمد أركون: "ينبغي أن نقبل شيئاً أساسياً يعبر عن منجزات الحداثة العقلية ألا وهو نسبية الحقيقة، ونسبية الحقيقة يتعارض جذرياً مع مطلق الحقيقة أو الاعتقاد بوجود الحقيقة كما ساد سابقاً في كل الأوساط الدينية"[٣].

الإنسان الحديث لا يؤمن بالحقيقة المطلقة، فهو ينطلق من فهم جديد يرى للحقيقة وجوهاً عديدة، وكيفما قلبتها ظهر لك منها وجه قد يكون عنك مخفياً، أما الحقيقة الدينية فلا تختلف عن مجمل الحقائق الأخرى، النصوص بدورها تعبير عن حقيقة لكنها حقيقة غير مطلقة، وهي حقيقة تفرضها القراءة ضمن إحداثيات الزمان والمكان[٤].

يقول محمد أركون: "ينبغي أن نعلم أن مفهوم التسامح هو عبارة عن مكسب حديث ولا يمكن فصله عن النقد الفلسفي للحقيقية، فالمسلمون، كالمسيحيين، قد شرعوا وسنوا القوانين باسم مزعم امتلاك حقيقة الوحي الفريدة والمطلقة والثابتة التي تعلو على كل تاريخية، والمفهومة والمنقولة بشكل صحيح من قبل، فقط، أولئك الذين يعلنون إيمانهم بالعقائد المشكلة لتلك الحقيقة"[٥].

التسامح الحديث ـ بمفهومه الغربي ـ يعطي الفرد الفرصة في أن يعبر عن آرائه

---

(١) انظر: أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص٤٧.

(٢) مدخل إلى التنوير الأوروبي، هاشم صالح، ص٢٥٢.

(٣) الحداثة في فكر محمد أركون، فارح مسرحي، ص٨١.

(٤) انظر: إسلام المجددين، محمد حمزه، ص٦٠، ٦١، " بتصرف ".

(٥) الفكر الإسلامي، محمد أركون، ص١١٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الفكرية والفلسفية والسياسية، ولا أحد يستطيع أن يُعاقبه على التعبير عن آرائه[١]. وبذلك يمكن تأسيس عقلية قائمة على حرية الاجتهاد، ونسبية الحقائق، وتنوع الآراء وتعدد الأفكار، وبهذه العقلية يتحقق الحوار والتواصل مع الآخر ويتغلب على التعصب والتحجر، ونكون أمام فضاء واسع من الحرية والاجتهاد والإبداع والتطور[٢].

إن نسبية الحقيقة إحدى الركائز التي تقوم عليها الثقافة الغربية منذ نهضة أوروبا الحديثة ويربط المفكرون الغربيون بين تلك الركيزة وتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المحيطة بالمجتمع، ويعتقدون أن تغير الحقائق الحياتية يقتضي نسبية الحقيقة، ولكن تكّون تلك الركيزة في الثقافة الغربية يعود إلى فترة أبعد من العصور الحديثة ويرتبط بالعصور الوسطى، فمن المعروف أن الكنيسة كانت تنطلق آنذاك في حكمها لأوروبا من نص " الإنجيل المقدس " والذي كانت تحتكر تفسيره، وعندما قامت حقائق علمية وكونية متعددة تناقض النص المقدس الثابت، وتناقض تفسير رجال الكنيسة له وقع التصادم المريع بين الدين والعلم، وكانت النتيجة اضطهاد رجال العلم بحجة مخالفة النص المقدس الثابت، ولكن الكنيسة انهزمت أمام الثورة عليها وأمام حقائق العلم، واعتبرت الثورة رجال الدين عقبة في طريق العلم والتقدم، وصار الربط حينئذ بين النص المقدس وثبات الحقيقة، والعلم ونسبية الحقيقة، ولا شك في أن هذا الربط غير مطرد ولا صحيح، فهو وإن صح فيما يتعلق بدعوى امتلاك رجال الكنيسة (المحرفة) الحقيقة، فلا يندرج على بقية الحقائق والثوابت الدينية والأخلاقية، لما يترتب على القول بهذا القول من فوضى دينية وفكرية وعلمية لا تقف عند حد ولا تنتهي عند نهاية[٣].

---

(١) انظر: قضايا في نقد العقل، ص٢٤٣.

(٢) انظر: النخبة والحرية، ص٢٧٢.

(٣) انظر: موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، د. صالح الدميجي، ص١٠٨، ١٠٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

وذلك لأن النسبية تساوي بين كل الأمور وتسويها فهي تؤدي إلى سقوط المعيارية، أي غياب المعايير، وقد أدى هذا إلى ظهور القوة لتكون آلية وحيدة لحسم الخلافات[1].

في بساطة نتساءل ما المقصود بأن الحقيقة نسبية؟

إذا كان المقصود أن معرفة الإنسان قاصرة وعلمه قليل، وأنى له بالعقل الذي يدرك الأشياء إدراكاً شاملاً، فهذا ليس موضوع اختلاف، والبشرية بما فيها من عجز وقصور مؤهل لإدراك قدر من المعارف تكفيها لأداء مهامها في هذه الفترة القصيرة من عمرها على الأرض، وإذا كان المقصود أن الإنسان لا يصل إلى حقيقة، وكل ما عنده من حقائق لا يمكن القطع والجزم بها، ولا يمكن الاتفاق حولها، فأول ما يواجه هذا القول من نقد أن يُسأل ما الدليل على أن هذا القول صادق؟ فإذا قدمت الأدلة على صدقه وأثبتت أنه حقيقة فهو اعتراف بأن لدينا على الأقل حقيقة نطمئن إليها، وهو اعتراف ينقض ما قدمت الأدلة لإثباته، وإذا كان القول بأن الحقيقة نسبية أمر نسبي أيضاً ولا يمكن القطع والجزم به فكيف يؤخذ به؟ ثم كيف يفسر من يقول أن الحقيقة نسبية ذلك القدر المشترك من الحقائق بين أفراد النوع البشري على اختلاف بيئاتهم وظروفهم وعصورهم؟ والأهم من ذلك أن يُسأل هل هناك منهج صحيح للوصول إلى حقائق الدين، أم أن الدين كما هي النظرة الغربية له، لا معايير ولا مقاييس لتحديد حقائقه، بل هو مثل مسائل الآداب والفن مسألة " ذوق " لا تقوم على منهج علمي محدد، أو معايير منضبطة؟ إن مصادر حقائق الدين ثلاثة أشياء: النصوص الموحاة، ومعاني هذه النصوص، والاستنباط منها، ولكل واحد من هذه الأقسام منهج علمي محدد مضبوط فهناك منهج علمي لتوثيق النصوص، ومنهج لطريقة فهمها، ومنهج للاستنباط منها، ما يتوصل إليه عن طريق هذه المناهج حقائق لا شك في ذلك، قد يحدث تغيير أو تبديل للنصوص، أو قد يحدث خطأ في الفهم، أو

---

(١) انظر: العلمانية والحداثة والعولمة، د. عبد الوهاب المسيري، ص٥٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧..
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

يحدث خطأ في الاستنباط، ولكن هذه مسألة أخرى ومعالجتها تكون بإثبات ما حدث من تحريف بالدليل والبرهان، أما إطلاق العموميات والقول بأن حقائق الدين مسألة نسبية يدركها كل عصر بحسب المعرفة المتاحة، ويراد من وراء ذلك رفض فكر العصور الماضية فقول لا تسنده حجة ولا يمكن قبوله[1].

الحق هو العدل، والثبات الذي لا يجوز إنكاره، وهو الحكم المطابق للواقع، ويطلق على الأقوال والعقائد والمذاهب، ويقابله الباطل[2]. وذلك لأن الحقيقة واحدة لا تتعدد، وما يقال عن تعدد الحقيقة، أو عن أوجه متعددة للحقيقة ما هو إلا تعدداً في درجات القرب أو البعد عنها، بحسب تعدد الأفهام للشيء الواحد، أو للمعنى الواحد أو للفكرة الواحدة أو للقضية الواحدة، إذ أن كل فهم يدعي أنه الفهم الأقرب للحقيقة من غيره، أو أنه يأخذ بناصية الحقيقة دون غيره، بينما هو في الحقيقة يقترب منها، أو يبتعد عنها، بقدر ما يعمل من أجل ذلك، بقدر ما يجد ويجتهد من أجل القرب أو البعد عنها، وبقدر ما يصيب من ذلك فهماً وعلماً، قولاً وفعلاً، مسلكاً وتصرفاً، ممارسة وتطبيقاً لأحكام الحقيقة ولمقاصدها ومراميها، القريبة والبعيدة[3].

إن الناظر إلى هذه النظرية – نسبية الحقيقة – يمكن أن يرد عليها بأربعة أمور:

أ – أن فيها معارضة صريحة لما جاء به الأنبياء والرسل، فجميع المرسلين قد اتفقوا في قضية التوحيد، ولم يختلفوا فيها ﷺ. ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]. وهذه النظرية قائمة على أنه ليس هناك حقيقة مطلقة فالكل يملك قدراً منها.

ب– لا يمكن لأي مجتمع أن يعيش دون حقائق مطلقة مشتركة بين أفراد

---

(١) انظر: مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، ص٢١٤، ٢١٥.

(٢) انظر: حوار الحضارات، د. موسى إبراهيم الإبراهيم، ص٤٥.

(٣) انظر: من أجل نظرية إسلامية، ص٢٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

مجتمعه، فبدون الحقيقة المطلقة لن يكون هناك تماسك ديني، أو اجتماعي، وسينشأ الصراع والنزاع، وستصدم الآراء، ويحدث الانشراخ الاجتماعي والتمزق الثقافي، فالكل يزعم أنه صاحب الحق، ومن ثم يؤدي إلى ضعف المجتمع بأسره وسقوطه.

ج- الواقع يكذب هذه النظرية، فالحقائق المطلقة كثيرة جداً لا يستطيع العقل أن يردها، وهي تشهد على زيف النسبية، فمن ذلك أن الإنسان لا يوجد نفسه من العدم فهذه حقيقة مطلقة، وأن النار محرقة وأن الواحد نصف الاثنين.. الخ.

د - النسبية تحمل التناقض الذاتي، فالكل لديه الحقيقة، فلا ينبغي أن يكون هناك إقناع للآخرين بما تحمله من أفكار ومعتقدات، فما تراه أنت حقيقة، فلا يحق لك أن تحاول إقناعهم به، لأنه ليس بالضرورة أن يكون حقيقة لديهم ! إلا أن الممارسة الواقعية للنسبية من قبل أدعيائها فيها ازدواجية، حيث يزعم بعضهم ملكية الحق، ومن يخالفهم فهو رجعي ونصوصي[1].

٤- القطيعة مع الماضي:

ما يطفو على الساحة الفكرية ويتم تسويقه في العالم هو القول إن الماضي قد تم تجاوزه والعالم يعيش عصر الحداثة، فالعلم الحديث قد قطع مع العالم القديم، أي أن القطيعة قد تمت بين عالم قام على الأساطير والخرافات والإيمان بالغيب وما له علاقة بالدين، وبين عالم ينهض ويقوم على العقل والعلم والحرية وحقوق الإنسان ودوره الفعال في المجتمع، وأن هذا العالم الجديد قد تمت صياغة تصوره في عصر النهضة، وتم نحت مفهوم الحداثة للتعبير عنه، هو الذي أدى إلى اعتبار كل ما يتوصل إليه من إنتاج فكري وفلسفي، وعلمي وصناعي وتقني هو الأمثل والأصلح للبناء والاقتداء به والعمل وفقه، والرافضون لها والمعارضون لن يكونوا حتماً إلا من أنصار وحاملين

---

(١) انظر: تجديد الدين، د. أحمد محمد اللهيب، ص٢٧٧، ٢٧٨.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

فكر القرون الوسطى[1].

موقف الرفض للتراث والرجوع إلى الماضي، يتمثل بالاتجاه المندفع للأخذ بالحداثة الغربية، وحصر الجهد بهذا الاندفاع الموحد الاتجاه، لأن النتيجة - كما يتصورها هؤلاء - ستكون تعميم العقلانية والموضوعية، والفكر العلمي واستبعاد الغيبيات، ورفض السلفية والتراث باعتبارها سبب التخلف، وهؤلاء ينظرون إلى التراث وغالباً هم ممن لم يدرسوا التراث أبداً، على أنه ثقافة متخلفة أو عقلانية أو لا علمية، أو جامدة، أو فقيرة، ولا حل إلا بمكافحتها كما تكافح العاهة أو ببترها كما يبتر العضو المريض[2].

وقد ذكر بعضهم ان عامة المدارس الفكرية - باستثناء السلفية - تسعى إلى توظيف التراث، ليخدم بناءاتها الفكرية، أي أن هذه البناءات المشكلة - عصرياً - هي الأصل والتراث تابع، بمعنى أن نجعل التراث خاضعاً لنا، ونفرض عليه سلطتنا بدل أن يفرض هو علينا سلطته، ويتم هذا الإخضاع بدرجتين:

الأولى: أن نسلك مع تراثنا مسلك الغربيين مع تراثهم منذ القرن السابع عشر الميلادي، حيث قاموا بمراجعات لتراثهم ومن ثم كتابته كتابة جديدة.

الثانية: هي الانتقائية، والتي تأخذ جزئيات من التراث، لأنها تخدم نمطاً فكرياً معاصراً يراد إبرازه، ومن ثم يقام بعملية تحويل - أي تحريف تأويلي - لهذه الجزئيات التراثية من أجل خدمة هذا النمط الفكري، ولو كان معاكساً لهدفها الصحيح - في سياقها التراثي - تماماً[3].

وبصورة أوضح هناك أكثر من رؤية ومنهجية وطريقة في تصور وقراءة التراث

---

(١) انظر: الإسلام والغرب نحو عالم أفضل، مجموعة باحثين، ص١٠٥.

(٢) انظر: مناهج البحث، للزنيدي، ص٣٩٠.

(٣) انظر: مناهج البحث، ص٣٩٢، ٣٩٣، " بتصرف ".

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

بنظرة عصرية أو حداثية، ومن هذه القراءات والمنهجيات:

أولاً: هناك من يرى أن القراءة العصرية للتراث تتحقق بواسطة تطبيق المنهجيات الحديثة، مثل البنيوية والتفكيكية [1] وغيرها، ويذهب إلى هذا الاختيار محمد أركون، يقول تلميذه هاشم صالح: "فالمقارنة هي أساس الفهم والنظر، وهي التي تؤدي إلى توسيع الأفق والخروج من المنظور الدوغمائي الضيق الذي ورثناه بالضرورة عن بيئتنا أو مذهبنا وطوائفنا ".

ثانياً: هناك من يرى بأن القراءة العصرية للتراث تتحقق عن طريق الفهم الحداثي للتراث وتجاوز الفهم التراثي للتراث، وهذا ما يذهب إليه محمد الجابري الذي يرى أن متطلبات الحداثة، تجاوز الفهم التراثي للتراث إلى فهم حداثي إلى رؤية عصرية له، فالحداثة لا تعني رفض التراث ولا القطيعة مع الماضي، بقدر ما تعني التعامل مع التراث بطريقة عصرية، تواكب التقدم الحاصل على الصعيد العالمي، يقول محمد عابد الجابري: "الحداثة رسالة ونزوع من أجل التحديث، تحديث الذهنية، تحديث المعايير العقلية والوجدانية، وعندما تكون الثقافة السائدة ثقافة تراثية فإن خطاب الحداثة فيها يجب أن يتجه، أولاً وقبل كل شيء إلى التراث بهدف إعادة قراءة وتقديم رؤية عصرية عنه"، ويقول كذلك: "يجب التحرر من الفهم الذي تؤسسه المسبقات التراثية أو الرغبات الحاضرة... الخ".

ثالثاً: هذا الاتجاه يرى بأن معيارية المعاصرة هو أن تكون حاجاتنا الراهنة هي التي على ضوئها نحدد ماذا نأخذ من التراث وماذا نرفض، ويطلق فهمي جدعان على

---

(١) البنيوية :منهج فكري وأداة للتحليل،تقوم على فكرة الكلية أو المجموع المنتظم .اشتهرت في مجال اللغة والنقد الأدبي ، ويمكن تصنيفها ضمن منهج النقد المادي الملحدة . والتفكيكية :مذهب أدبي يعتبر كل قراءة للنص تفسيرا جديدا له ، ويقول باستحالة التوصل إلى معنى نهائي وكامل لأي نص . انظر : الموسوعة الميسرة تحت اشراف د . مانع الجهني ٢/ ٨٩٧ ، وانظر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، د. أحمد مختار ٣/ ١٧٣٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

هذا الموقف باستلهام التراث، وذلك بأن نستلهم من التراث مواقف أو أفكاراً أو قيماً، ندمجها في أحوالنا الراهنة فننتقي من التراث مفاهيم ورؤى تسهم في تدبير حياتنا وأمورنا، وهذه الرؤية في تصور حسن حنفي التي يطلق عليها إعادة الاختيار بين البدائل طبقاً لحاجات العصر، فلم يعد الدفاع عن التوحيد، حسب نظره بالطريقة القديمة مفيداً ولا مطلوباً، فكلنا موحدون منزهون، ولكن الدفاع عن التوحيد يأتي عن طريق ربطه بالأرض، وهي أزمتنا المعاصرة، فلا بد من إعادة كل الاحتمالات القديمة ووضع احتمالات جديدة، واختيار أنسبها لحاجات العصر، إذ لا يوجد مقياس صواب وخطأ نظري للحكم عليها بل لا يوجد إلا مقياس علمي، فالاختيار المنتج الفعال المجيب لمطالب العصر هو الاختيار المطلوب[1].

إن أكثر دعاة الحداثة يتعاملون مع التراث الإسلامي بمقياس ما نقلوه عن الغرب، فهم يحاكمون تراثاً يجهلونه ويشكون في صحته بتراث أجنبي يحرصون على فهمه ويتخذونه حكماً ومقياساً على ما سواه، يقول سيد قطب في كتابه مجتمع إسلامي: "فمقومات المجتمع الإسلامي هي المجهولة لدى الكثرة الضخمة فمن يسمحون لأنفسهم أن يجهلوها، ثم يدعوا أنهم مثقفون، بل يسمحون لأنفسهم – دون معرفة – أن يحكموا بين شيء يعرفونه وشيء يجهلونه وهم يدعون البحث العلمي"[2].

إذا كان الحكم على الشيء فرعاً عن تصوره، فإن تصور الحداثيين للتراث الإسلامي، وحياً وفكراً، مشوب بكثير من الجهل والتشويش والاضطراب نتيجة القصور في الأخذ بكلمة العلم، والنقص الكبير في الإلمام بعلوم مشروطة في فهم النص وفهم التراث الفكري، والدخول بمعايير جاهزة ومرجعيات مستعارة في معالجة التراث، والأدهى من ذلك القصور في علوم اللغة ذاتها، الأداة الأولى في فهم

---

(١) انظر: من التراث إلى الاجتهاد، زكي الميلاد، ص٢٥٣، ٢٥٤ (ملخصاً). والتراث والحداثة، محمد الجابري، ص١٧، ومخاضات الحداثة والتنوير، هاشم صالح، ص٢٦٤.

(٢) نقلاً من: جدل الثابت والمتغير، ص١/ ٢٤٦.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الخطاب، أي خطاب، وفي فهم النص الشرعي والتراث الفكري، حتى إنك لتجد أخطاء في استعمالها، وركاكة في التعبير بها، واغتراباً عن روحها وخصائصها، وكل هذا حمل طه عبد الرحمن على القول: "لقد أنزل كثير من هؤلاء أنفسهم من التراث المنزلة التي لا يستحقون، فتكلموا فيه بما لا يعرفون وتطاولوا على البت فيما لا يفقهون، مع إيجابهم على الناس قبول كلامهم فيه وترك ما يؤثر من خلافه، والحق أن قلة اطلاعهم على معارفه وضعف استئناسهم بمقاصده، لا ينازع فيهما إلا من هو أقل علماً وأضعف أنسا، ولا أدل على ذلك من أمرين: قلق عبارتهم ونقص عملهم، أما قلق عبارتهم، فينطق به ما أنشأوا من أقوال لا تستقيم على أصول التبليغ العربي السليم، فكيف يصح إذن لمن لا يجيد لغة التراث أن يدعي القدرة على تقويمه ! وأما نقص عملهم، فينبئ عنه إتباعهم الشاذ والغريب من الأقوال، فلا يطلب الشاذ إلا من يريد الزيغ عن الحق والمروق، ولا يطلب الغريب إلا من يريد المخالفة والظهور، ولا أشذ ولا أغرب مما ينقلون عن غير أهل هذا التراث، متوسلين به عند النظر في معارف التراث، ومحتكمين إليه في الحسم في قضاياه.."[1].

لقد عاملوا التراث العربي الإسلامي بقدر هائل من الشك غير العلمي وغير المنهجي، ووجدوا من أنفسهم الجرأة على إبطاله مهما بلغ من الظهور، وعلى تحقيره وتقزيمه مهما بلغ من العظمة والجلال، وهو موقف يحمد لأنه يرفض أن يعرف الحق بأحجام المظاهر وأقدار الرجال، ولكنه سيصير أبعد ما يكون عن المحمدة حينما يصدر عن موقف كله تسليم وإذعان وتنزيه وتقديس لتراث آخر يؤخذ على أنه هو الحكم والمثال، وحينما يعبر عن انحياز فاضح إلى حجة القوة المادية والحضارية لا قوة الحجة العلمية والمنطقية[2].

إذا كان بعض دعاة المادية يرى أن التراث الإسلامي تحديداً يزخر بمسلمات

---

(١) انظر: جدل الثابت والمتغير، ص١/ ٢٤٦، ٢٤٧.

(٢) انظر: جدل الثابت والمتغير، ص١/ ٢٤٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الغامدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

تقف حجر عثرة في طريق التقدم، وأن الحضارة العربية لن ترى النور ما لم تتم إزاحة تلك المسلمات، وأنه من غير المعقول أن يحكمنا فقهاء القرون الغابرة من قبورهم، وأن يتدبر شؤوننا موتى تحولوا إلى تراب، فإنه من حق كل امرئ أن يتساءل كيف قامت حركة التنوير العقلي الأوروبية؟ أليس من خلال إحياء وتجديد فكر وفلسفة موتى كانوا هم الآخرين قد استحالوا تراباً منذ قرون طويلة في اليونان القديمة؟ إن الموتى الذين يشير إليهم هؤلاء الماديون يعّدون من أعظم عباقرة الفكر الإنساني والثقافة العالمية، إذ أن ما أنجزوه منذ بدايات عصر التدوين والتبويب والتأليف، لم يكن تسجيلاً وتفريغاً وتظهيراً للثقافة العربية الإسلامية بل عملية إنتاج وبناء وتنظيم[1].

لقد تعامل هؤلاء المستغربون مع الوحي على الطريقة الغربية، بوصفه فكرة من الأفكار، ويدرسون كيفية انتشاره، والنزعات التي أثرت في وجوده وتطوره، مستبعدين قضية عصمة الوحي وعصمة المبلغ، ووحدانية الموحي والآمر به، ثم يصدرون بناءً على دراسة الظروف والملابسات والأوضاع التي مرت بها نصوص الوحي - وفق معلوماتهم وحسب أغراضهم ومقاصدهم - الأحكام على النصوص، وخاصة القرآن عند المستغربين من أبناء الشرق ويطبقون سائر مقتضيات هذا المنهج التاريخي على نصوص الوحي، بصورة تدل على اعتقادهم العميق بعصمة هذا المنهج وصحته[2].

إن الجمهور الأعظم من علماء المسلمين فرقوا في تعاملهم مع الشريعة الإسلامية بين قسمين:

القسم الأول/ ما هو نصوص سماوية أو وحي رباني بالمفهوم العام للوحي الذي يشتمل على القرآن والسنة النبوية الصحيحة الداخلة في حدود قوله تعالى: ﴿وَمَا

---

(١) انظر: لا ديمقراطية في الشورى، د. فريال مهنا، ص٤٨.

(٢) انظر: تجديد الدين، ص٢٨٣.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٣-٤]، وهذا لا شك في أنه دين مقدس يجب الالتزام به واعتقاد بثبوته، ولا يصح بمحال التلاعب به لا زيادة ولا نقصاً ولا تبديلاً، فضلاً عن إخضاعه لعملية النقد البشري.

القسم الثاني/ ما هو اجتهادات بشرية في فهم هذه النصوص وتطبيقها على الواقع، وهذا بلا شك موروث تاريخي شرعي له قيم كبيرة، يمكن الانتفاع به، والانطلاق منه، والبناء عليه، ولا يصح تجاوزه أو تجاهله، ولكنه مع ذلك لا يحمل صفة الدين والقداسة، لذا فهو قابل للنقد أو حتى النقض والأخذ والرد والتطوير، وفق الآليات الشرعية التي يحسنها أهل الاختصاص، وبهذا المفهوم يمكن للشريعة الإسلامية أن تجمع بين ما هو دين مقدس، وما هو تاريخ في الوقت ذاته، أما الدين فهو النصوص القطعية - القرآن والسنة الثابتة - وهذه تمثل الأصول والكليات والأهداف والقواعد العامة، والمتغير هو النصوص الظنية أي المحتملة لثبوت النقل وعدمه، وهي ما سوى القرآن والأحاديث النبوية الثابتة، أو النصوص المحتملة لأكثر من معنى، وهذه تمثل الفروع والجزئيات والوسائل وأساليب التطبيق، وبهذا تجمع الشريعة الإسلامية بين الثبات والمرونة، وهذا يجعلها قادرة على استيعاب كل المستجدات في كل العصور، مع محافظتها على المبادئ العامة والقواعد الكلية، وهذه المبادئ وحي من الله ولا يصح لبشر أن يتدخل فيها البتة، هذا إن سلمنا جدلاً بأن أحداً من البشر قادر على التدخل فيها ونقدها وتعديلها، والصحيح أن ذلك فرض جدلي محال ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم:٣٠]، ثم إن أحق وأقدر من يضع هذه المبادئ الكلية التي تُصّرف أمور الخلق هو الخالق لا الخلق، والخالق صاحب الكمال والعلم المطلق، الأعلم بطبيعة الخلق وما يصلح لهم، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة:٥٠]. وعن ابن عباس رضي عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: ".. إني قد تركت فيكم ما

ماجستير_ عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه"[1][2].

واقع المسلمين اليوم سيء لا بسبب تمسكهم بالدين، بل بسبب بعدهم عن الدين، ولهذا فهم غير متحضرين، ويوم كانوا يعرفون دينهم المعرفة الحقة، ويتمسكون به على بصيرة كانوا هم الأمة المتحضرة في الأرض، وسبيلهم إلى الحضارة اليوم أن يعودوا إلى دينهم، فيجدوا فيه كل مقومات الحضارة، وأولها معرفة الله وعبادته، وإتباع ما أنزل الله، إن التخلف العلمي والمادي والحربي والسياسي والاقتصادي والأخلاقي، الذي يشكل في مجموعة " التخلف الحضاري ليس هو الداء الأصيل في هذه الأمة، كما يتصورها الذين يفهمون أن نقل حضارة الغرب إلى الشرق هو الذي سيخلص الأمة من تخلفها وينشئها نشأة جديدة ! إن هذا التخلف بكل فروعه وإشكالاته إنما هو نتيجة لتخلف العقيدة في نفوس المسلمين، لأن هذه العقيدة هي التي منحت المسلمين التقدم العلمي والمادي والحربي والسياسي والاقتصادي والأخلاقي يوم كانوا مؤمنين حقاً بهذا الدين[3].

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب العلم، برقم (٢٨٧).

(٢) انظر: تجديد الدين، ص٢٩٢، ٢٩٣.

(٣) انظر: حول تطبيق الشريعة، محمد قطب، ص٩٣.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩ Ali Fattani

المبحث الثالث: مآلات انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي

التسامح الديني ـ بمفهومه الغربي ـ قائم على الأخذ بما يمليه عليه العقل البشري من غير أي تدخل خارجي من وحي أو غيره ، وعلى أن الحقيقة نسبية فلا تقتصر على فرد أو جماعة أو ديانة ، فهم يدعون إلى الانفتاح على الأمم الأخرى بلا ضابط ، والقطيعة مع ماضي الأمة وتراثها والجهر بذلك بحجة حرية الرأي وأن التمسك بالتراث وبماضي الأمة يعتبر تعصب وغير مواكب للعصر وأن أي تدخل من الدولة لحماية الدين والدعوة إليه تعصب، وذلك لقياسهم نظام الحكم في الإسلام بنظام الحكم في الغرب فلكل فرد في النظام الغربي أن يدين بما شاء ويسمح له بذلك لأنه صاحب السيادة. لذلك كانت مآلات إنتقال فكرة التسامح الديني ـ بمفهومه الغربي ـ إلى العالم الإسلامي تتمثل فيما يلي :

١- إبراز الاتجاه العقلاني والتخلي عن مذهب السلف

الاتجاه العقلاني المقصود به هو: اعتداده بالعقل، والوثوق بأحكامه، والدعوة المستمرة إلى توظيفه واحترام نتائجه، ثم تقديمه على النقل عند التعارض، وتأويل النصوص الشرعية كي تتوافق معه[1].

أصحاب هذا الاتجاه يدرسون الإسلام من خلال توجهاتهم العقلية، ومناهجهم الغربية، وبالاستفادة من الفكر الاعتزالي الذي يتوافق معهم في تقديس العقل وتقديمه على النقل، وباستغنائه بالعقل في معرفة الحقائق، وفي تأويل النص بما يوافق آرائهم وعقولهم، والتشنيع على منهج السلف ووصفه بالتعصب وعدم

---

(١) انظر: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة في العصر الحديث، د. أحمد قوشتي، ص١١٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

التسامح، والجمود على النص وإهمال العقل، فأصحاب الاتجاه العقلاني المعاصر غرضهم من الدعوة للتسامح الديني إنما هو لنشر فكرهم وآرائهم، وأن سبب تخلف الأمة هو تمسكها بتراثها وتعصبها لآراء سلفها، وأن تقدمها بجعل المناهج الغربية بخلفياتها الفلسفية طريقا لنهضتها.

سمات الاتجاه العقلاني:

أ/ الإعلاء الشديد من قيمة العقل ومكانته، والذي يتجاوز الحد الشرعي، ومن ذلك توسيع دائرة الوثوق به كمصدر للمعرفة، وخاصة في مجال العقيدة، وتقديمه على النص الشرعي عند التعارض.

ب/ ظهور كثير من التأويلات والآراء الخطيرة غير المنضبطة بالمنهج الصحيح، بسبب النزعة الدفاعية عن الإسلام وما نسب إليه من شبهات حول العقيدة وأحكام الدين.

ج/ النزعة التوفيقية بين العقل والنص الشرعي، أو بين الحضارة الغربية والإسلام، أو بين حقوق الإنسان بمفهومها الغربي وبين حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية، أو بين الديمقراطية والشريعة الإسلامية أو بين العلمانية والإسلام.

د/ الموقف السلبي من مذهب السلف وأتباعه، ويتجلى ذلك فيما أطلق بعض أصحاب هذا الاتجاه من أوصاف على مذهب السلف وأتباعه، من مثل: المذهب النصوصي، مذهب الجمود، الفقه البدوي، الحرفيون، عبدة النصوص، أهل الجمود والتقليد ونحو ذلك من أوصاف[1].

---

(١) انظر: موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، سعد بن بجاد العتيبي، ص٥٧ وما بعدها.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

أما مصادر التلقي عند أصحاب الاتجاه العقلاني:

أولا/ تحكيم العقل والاعتماد عليه، أصحاب الاتجاه العقلاني إذا تكلموا في العقل فإنما يقصدون به غالبا الفهم الفلسفي وما تفرع عن مناهج العلوم الإنسانية المعاصرة الناشئة في الغرب، وإفرازات الحداثة والتنوير، فما وافق المذهب العقلاني بخلفياته الفلسفية الوافدة كان جدير بالإتباع وربطوه بالنهضة والتقدم الحضاري.(١)

يحرص أصحاب هذا الاتجاه على تحكيم العقل وتقديمه على النص الشرعي في الاعتبار والاستدلال والاحتكام إلى العلم الظني، وتحكيم العواطف والأهواء، في أصول العقيدة ونصوصها، ومقررات الدين الثابتة، كالحلال القطعي، والحرام القطعي، دون اعتبار للوحي ولا تسليم للنص المعصوم، ولا احترام لما جاء عن الله صريحا، أو ثبت عن رسول الله ﷺ صحيحا، أي أن الاتجاهات العقلانية على العموم تعتبر دلالة الاستنتاج والحكم القطعي والرأي البشري، مقدمة على دلالة النص، الذي هو وحي من الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا هو الأصل في كتاباتهم وبحوثهم وهو الأساس والقاعدة الأولى عندهم(٢).

وإن كان هناك تفاوت بينهم في أمرين:

الأمر الأول: أنهم ليسوا سواء في معارضة النص بالعقل، فبعضهم تكون معارضته للنص أكثر من غيره، وهذا أثر من آثار تقديم العقل، لأن العقول متفاوتة، ومن ثم لا يوجد ضابط موضوعي يتفق عليه الجميع، فما يبدو مقبولا عند بعضهم يكون مرفوضا عند آخرين.

الأمر الثاني: بعضهم يصرح بتقديم العقل بلا تردد، وبعضهم يقول بأن النص الشرعي هو الأعلى وهو المؤسس، ولكنه عند التطبيق يقدم العقل في بعض المسائل بل

---

(١) انظر: القراءات المعاصرة، عبدالولي الشلفي، ص٣٩٣.

(٢) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر العقل، ص٣٦١.

ماجستير_ عبدالرحمن أحمد الغامدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

ربما يقرر ذلك في صورة قاعدة كلية خاصة في مسائل صفات الله تعالى...[1]

النظر العقلي السليم يقتضي أن التعامل مع قضية العقل والنقل وفق منهج الكتاب والسنة هو من أقوى عوامل نهضة الأمة وتقدمها الحضاري، إذ ليس لدى أصحاب هذا المنهج ما يشغل عقولهم، ويضيع تفكيرهم في قضايا وفلسفات لا طائل من البحث فيها، كما يعتقدون اعتقادا جازما أنه ليس في نصوص شريعتهم ما يناقض العقول السليمة، والعلوم التطبيقية الصحيحة، ومن ثم لا يجدون ما يحجزهم ويمنعهم من هذه العلوم والمعارف بخلاف ما كان في أوروبا في عصور الظلام، حين اعتقد علماء أوروبا وجود تعارض بين نصوص الإنجيل ومعطيات العقل والعلم، مما جعلهم بين أمرين: إما التسليم للكنيسة بمعتقداتها الباطلة، أو الإنعتاق من سلطانها وسطوتها، وكان أن اختاروا السير في الطريق الثاني والذي أدى إلى ظهور العلمانية فيما بعد، وهذه مشكلة لا وجود لها في دين الإسلام...[2]

إن أهل السنة والجماعة في نظرتهم للاستدلال بالعقل وسط بين طرفين:

الطرف الأول/ من جعل العقل أصلا كليا أوليا، يستغني بنفسه عن الشرع.

الطرف الثاني / من أعرض عن العقل، وذمه وعابه، وخالف صريحه، وقدح في الدلائل العقلية مطلقا، وأهل السنة وسط بين هذين الطرفين، فهم يرون أن العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، لذلك فإن الأقوال المخالفة للعقل باطلة، وقد أمر الله باستماع القرآن وتدبره بالعقول فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون:٦٨]، فالعقل هو المدرك لحجة الله على خلقه[3].

ولذلك يوصف العقل بأنه مخلوق محدود الإمكانات، يضل وينسى، يصيب

---

(١) انظر: موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، سعد بن بجاد العتيبي، ص١٠٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٤٢.

(٣) انظر: موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، سعد بن بجاد العتيبي، ص٢٦، ٢٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

ويخطئ، تنعكس عليه مؤثرات الزمان والمكان تغيره الحوادث، يكل أمام المعضلات، وتتداخل عليه المشكلات، وهو بعد ذلك عقول تتفاوت في التقدير وتتباين في التفكير، فكيف تقدم على نصوص أنزلها الله بعلمه فجعلها محيطة بالحاضر منبئة بغيب المستقبل متجاورة بحكمها وأسرارها العقل قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤]، فإذا تقرر ذلك عرفنا أن من لوازم محدودية العقل في المعرفة أمور منها:

١- لا حكم للعقل في مورد النص الصريح، فإذا ورد النص الصحيح بحكم صريح فيما يدل عليه لا يحتمل تأويلا سائغا لم يبق للعقل مقال، لأن النصوص وحي من عند الله، وليس للعقل إلا إبداع مسالك فهم النصوص والغوص في أعماق دلالاتها بما لا يتجاوز صريح منطوقها.

٢ - إذا وردت احتمالات العقل على المعاني المستنبطة يقدم ظاهر النص.

٣- صحة التأويل العقلي مشروطة بموافقة أصول الشريعة وقواعدها، فالتأويل مقيد بقواعد الشريعة وأصولها ودلالات نصوصها، فلا وزن لتأويل يهدر نصا أو يلغي أصلا من الأصول المتفق عليها.

٤- العقل يؤيد الشرع ولا يعارضه، فالحديث عن ضوابط العلاقة بين العقل والنقل في الفكر الإسلامي مؤسس على أن النص الصحيح لا يمكن أن يعارض عقلاً صحيحا، فهو نص يدعو إلى العلم والنظر والتأمل، ويقدم المعرفة ويجلها، ويشنع على الجهل، ويذم الجاهلية، ويحارب الخرافة، وما دام هذا شأنه فلا يمكن أن يعارض العقل السليم البتة...[1]

وبناء على ذلك فإن أهل السنة يستدلون بالعقل لكن هذا الاستدلال ليس مطلقا، وإنما هو مبني على أسس منهجية تضبط مساره، وهذه الأسس هي:

---

(١) انظر: القراءات المعاصرة، عبدالولي الشلفي، ص٣٨٩ "ملخصا".

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

١- لابد أن يكون الدليل العقلي دليلا شرعيا، والدليل الشرعي هو: ما أمر به الشرع، أو دل عليه، أو أذن فيه.

٢- نصوص الكتاب والسنة لا تتعارض مع العقل الصريح.

٣- السمع أصل لجميع الأدلة، فالواجب على المؤمن في الأمور الإلهية والمعارف الدينية، أن يجعل ما قاله الله ورسوله ﷺ هو الأصل، لأن المأخذ فيها عن الرسول ﷺ، والرسول ﷺ أعلم الخلق بها، وأرغبهم في تعريف الخلق بها، وأقدرهم على بيانها وتعريفها، فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والإرادة، وهذه الثلاثة بها يتم المقصود، ومن سوى الرسول إما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد، وإما أن لا يكون له إرادة فيما علمه من ذلك فلم يبينه إما لرغبة، وإما لرهبة، وإما لغرض آخر، وإما أن يكون بيانه ناقصا(١).

ثانيا/ النصوص الشرعية، وطريقة استشهادهم بها:

أ - قائم على اعتمادهم على القرآن وحده في فهم الإسلام، مستدلين بمثل قوله تعالى: ﴿مَّافَرَّطْنَافِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وترتب على هذا المنهج المنحرف الإعراض عن كثير من أمور الشرع التي لم يأت تفصيلها إلا عن طريق السنة، بالإضافة إلى الوقوع في تناقض، حيث لم يأخذوا بكل ما جاء في القرآن، فقد جاء فيه بطاعة الرسول ﷺ والانتهاء إلى حكمه، ومن هذا يظهر عدم تعظيمهم لنصوص الوحي، حيث أخذوا ما شاؤوا وردوا ما شاؤوا، كما ترتب عليه تأويل النصوص الشرعية تأويلا يصرفها عن معناها وما دلت عليه، إلى معان فاسدة توافق ما ذهبوا إليه، كذلك الانتقائية في التعامل مع النصوص، فيأخذون منها ما يوافق آراءهم، ويردون أو يؤولون ما يتعارض معها(٢).

---

(١) انظر: موقف الاتجاه العقلاني الاسلامي المعاصر من النص الشرعي، ص٢٧ وما بعدها.

(٢) انظر: تجديد الدين، د. أحمد محمد اللهيب، ص٢٤٥ وما بعدها.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

القرآن عند كثير منهم مقدم على ما سواه من المصادر الشرعية الأخرى، كالسنة والإجماع، سواء أكان ذلك في مجال الأحكام العلمية العقدية، أو الأحكام العملية الفقهية، فالقرآن عندهم هو المصدر الأول والأهم والمقدم على غيره، وليس المراد بالتقديم هنا مجرد التقديم بالرتبة أي: تفضيل القرآن في المكانة والمنزلة، لأنه كلام الله ووحيه الخاتم، بينما السنة كلام الرسول ﷺ، والإجماع اتفاق العلماء المجتهدين، وإنما المقصود هو التقديم الحقيقي الذي يعني البدء بالقرآن أولاً في أي عملية استدلالية للتوصل إلى حكم عقدي أو فقهي، ثم يعني أيضا وهو المعنى الأهم أن كل دليل يخالف القرآن، فهو مردود وغير صحيح، ومن الملاحظ أن هذا التقديم لم يقتصر على مجرد الطرح النظري، وإنما امتد أيضا إلى جانب التطبيق، مما أدى إلى ظهور أفكار في غاية الخطورة، كتأصيل البعض لقاعدة عامة في التعامل مع سائر الأحاديث والمرويات تنص على ضرورة عرض مضمون كل حديث أيا كانت درجته من الصحة، أو وثاقة رواته على القرآن، فإن وافقه قبل وحكم بصحته، ولو كان في إسناده ما فيه، وأما إذا خالفه فيرد ويحكم عليه بالضعف والبطلان، ولو رواه البخاري ومسلم[1].

لقد استباحت المدرسة العقلانية حرمة الوحي وأثارت حولها الشبهات والشكوك، وأكثر ذلك إنما هو انهزامية تجاه المادية الجاهلية الحديثة التي لا تؤمن إلا بما تقع عليه الحواس المحدودة، أو ما يخضع للتجارب العلمية المادية، أو ما يكون فيه لها منفعة اقتصادية عاجلة[2].

كما أنها استخدمت جميع المناهج والنظريات النقدية والفلسفية المستحدثة، في علوم الأديان، وعلوم الإنسان والمجتمع، في الفكر الغربي، وتطبيقها على القرآن الكريم، تحت ذريعة مماثلته لبقية الكتب السماوية - التوارة والإنجيل -، أو لكون النص الشرعي المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية لا يمتاز عن غيره من

---

(١) انظر: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة في العصر الحديث، ص١٤٨.

(٢) انظر: الاتجاهات العقلية الحديثة، د. ناصر العقل، ص١٥٨.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

النصوص التراثية، فليس هو بمنأى عن تلك المناهج، وليس له خصوصية تمنع من تطبيقها عليه انطلاقا من حرية النقد المتحررة من أي قيد منهجي أو علمي فضلا عن ضابط الشرع والدين، غير مكترث بمآلات هذه المناهج والنظريات ولا يتجاوز بعضها من قبل الفكر الذي نشأت في ضفافه ولا بأفول بعضها والحكم عليها بالسقوط في بيئتها المنتجة لها(١).

النص القرآني له خصائص تمنع قراءته بنفس مناهج القراءة المعاصرة بمختلف نظرياتها، ومن تلك الخصائص: مصدر النص، فالقرآن كلام الله، له من أسرار التقديس ما يفرق بينه وبين سائر النصوص، وتضم نصوصه ما انفرد الله بعلمه، كما يتضمن تحدياً للعقل تجده في حروف مقطعة بدأت بها بعض السور إشارة إلى اختلاف نصوص القرآن عن غيرها، كما يضم من غيب الماضي والمستقبل ما يقطع العقل بعظمته وقدسيته، وتجده في نظمه الذي لا يشبه الخطب المنثورة ولا الأشعار الموزونة، وهذا ما اعترف به كفار قريش وهم أهل البيان العربي والأكثر حرصا على اتهامه بالقصور، وزد على ذلك إعجازه العلمي الذي أذهل العقل البشري المعاصر،...(٢)

وصفوة القول: أن نزع صفة التقديس عن نصوص الوحي من أهم ركائز القراءات المعاصرة، وسلفهم فيها تجربة الفكر الغربي مع نصوصه التي نزع عنها سربال التقديس، فكان ذلك لبنة بل قاعدة من قواعد النهوض والتقدم، وقد آمنت القراءات المعاصرة أن ما جلبته أو جلب لها من أوروبا من مناهج التحليل والتفكيك لا يمكن أن يؤدي دوره في بناء الإسلام الجديد إلا إذا تم التعامل مع النص على أنه كغيره من النصوص، يحلل ويفكك وينتقد ويؤول(٣).

---

(١) انظر: موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، د. صالح الدميجي، ص٤٤٤، ٤٤٥.

(٢) انظر: القراءات المعاصرة، ص٢٨١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٣٢٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

ب - الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، الاتجاه العقلاني ينظر إلى السنة نظرة أقلها الشك والتوقف في حجية السنة النبوية أو بعضها، فتفاوت مواقف العقلانيين من السنة ما بين رافض لها ولحجيتها البتة، وما بين من يرد بعضها، أو لا يقبل إلا المتواتر، والسمة الغالبة على العقلانيين تجاه السنة أن ليس لهم قاعدة في منهجهم تجاه السنة، لكن يجمعهم أنهم يحكمون عقولهم القاصرة في ذلك فتجد أحدهم يرد ما شاء من الأحاديث الصحيحة بهواه وحسب مزاجه أو منهجه الذي ارتضاه لنفسه، ولهم في هذا شبهات كثيرة ومتنوعة كذلك، وأغلبهم يلجأون إلى لمز رواة السند من الصحابة ومن دونهم، ومنهم من يرى أن كتب الحديث الصحيحة اشتملت على كثير من الأحاديث غير الصحيحة مما يبطل أو يضعف من قوة الاحتجاج بالسنة عموما، وبين هذه الآراء شبهات تتفاوت،...[1]

من الأسباب التي أدت إلى اشتغال القراء المعاصرين بالمنازعة في حجية السنة ما يلي:

١- كون السنة مصدرا لأغلب الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات وأحكام الأسرة وأصول السياسية ونظم الحكم والعلاقات الدولية، وأقرب الطرق للتخلص من سلطة الوحي إثارة الشبه حول صحته، لذلك شككوا في مصدريتها، واستخدموا مناهج العلوم الإنسانية المتاحة حديثا في الغرب لغرسها في بيئتها زمن الوحي، وطعنوا في الصحابة وحقروا علوم الحديث ورجاله وتوسعوا في ضرب بعض النصوص ببعض، وأوغلوا في المتشابهات ونصروا الدعوة للاكتفاء بالقرآن، وحاكموا النصوص الصحيحة إلى الأساطير والروايات التاريخية الموضوعة، ولم يتركوا وسيلة لنقض السنة إلا أخذوا بها.

٢- وجود ما يساعدهم من الشبه التي أثارتها بعض الفرق قديما حول رواة السنة وحفاظها من الصحابة، لا سيما وقد كفاهم البحث الإستشراقي مؤونة الجمع.

---

(١) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص٢٣٦، ٢٣٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

٣- القراءات المبتورة الانتقائية لعلوم الحديث، لا سيما ما تعلق بنقد متون الحديث[١].

لقد تعرضت السنة عبر تاريخها الطويل - ولا تزال حتى يومنا هذا - لهجمات متوالية، قام بها أناس مختلفو التوجهات والمقاصد، وكما تعددت جهات الهجوم وأطرافه، فقد تعددت أهدافه ومجالات عمله، وتركزت على جوانب أربعة، وهي:

أ/ التشكيك في حجية السنة أصلا، وادعاء الاكتفاء بالقرآن وحده، وعدم الحاجة إلى غيره.

ب/ الطعن في طريقة ثبوتها ونقلها، ورد جميع أحاديثها أو الشطر الأكبر منها، بإثارة الشكوك حول الرواة الذين نقلوها إلينا، سواء أكانوا من الصحابة أم ممن جاء بعدهم.

ج/ وضع شروط وقواعد تجعل القول بحجية السنة أمرا شكليا، لا تترتب عليه حقائق عملية، كالزعم بأنها لا تدل على الوجوب، وأقصى ما تفيده هو الإرشاد، وتخيير المسلم بين الامتثال لها أو عدمه، وكذلك القول بأنها لا تصلح لإثبات مسائل العقيدة، ومجال عملها هو الأحكام العملية التعبدية وحدها.

د/ إدخال ما ليس منها ضمن أحاديثها، موضوعا كان أو ضعيفا، لإحداث حالة من البلبلة والتلبيس وانعدام التمييز، مما يفقد الثقة فيها بالجملة، وقد شاء الله تعالى أن يهيء من علماء الإسلام وجهابذته نقادا وأساطين عنوا بالسنة، ووهبوا كل جهدهم ووقتهم وحياتهم للدفاع عنها والذود عن حياضها[٢].

تعد السنة أصلا ثانيا من أصول الإسلام، ومصدرا أساسيا من مصادر الشريعة، وهي وحي من الله سبحانه، وحجة من حججه على عباده، تستنبط من نصوصها العقائد والأحكام، وتستخرج منها البراهين والدلائل، ولا يمكن الاستغناء

---

(١) انظر: القراءات المعاصرة، ص٣٤٩.

(٢) انظر: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة في العصر الحديث، ص١٥٩، ١٦٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

عنها، كما لا يسع مكلفا أن يخالفها، وبدون الأخذ بكل ما ورد فيها لا يكتمل بنيان الدين، ولا تتم أركان الشريعة، ويجب على الكافة طاعتها وإتباع ما فيها، والعمل بجميع ما صح من أحاديثها، كما أن السنة تبين معاني القرآن، وتزيدها جلاء ووضوحا بطرائق متعددة، منها: تفصيل المجمل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتوضيح المشكل، وبسط المختصر، وقد استفاضت آيات القرآن في التأكيد على وجوب طاعة الرسول ﷺ، وإتباع أوامره، والتحذير من مخالفته فيما لا يحصى من المواضع(١).

إذا كان مبدأ الاحتجاج بالكتاب والسنة غير مختلف في الأخذ به بين غالبية المذاهب العقائدية والفقهية والاجتهادية، فما الذي يميز الفهم الصحيح من غيره بين هذه المذاهب؟ وما الذي يميز الاجتهاد أو التجديد السليم من الاجتهادات والتجديدات المنحرفة؟ إنه منهج السلف وفهمهم الأصيل للكتاب والسنة ومقاصد الشريعة، وهو ما سار عليه أهل السنة والجماعة من بعدهم، الذين اتبعوهم بإحسان، فتميزوا بذلك عن غيرهم من أصحاب الفرق الضالة والمبتدعة(٢).

إن من القواعد المهمة لمنهج السلف تقديم الشرع على العقل، واتخاذ الأوائل قدوة في النظر والعمل، فالقرآن والحديث أولا ثم الاقتداء بالصحابة، وتقديم الرواية على الدراية والنظر العقلي، لأن العقل في منهج السلف متفق مع الشرع، وكل من خالف صحيح المنقول، فقد خالف صريح المعقول، وذلك على العكس من الخطأ الذي وقع فيه أصحاب المناهج الفلسفية والكلامية الذين اتخذوا العقل مقدما على الشرع، وأولوا النصوص تبعا له(٣).

مفهوم السلفية في نظر الغرب مرتبط بمراحل تاريخية وعلل وأزمات نفسية مر بها الغرب، فأصبح الغربي حيث ينظر إلى تاريخه، يفزعه مدلوله التاريخي والحضاري

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٥٤.

(٢) انظر: الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، د. راشد شهوان، ص٣٩٤، ٣٩٥.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٤٢٢.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

ويلقي في قلبه الرعب، ويعيد إلى ذهنه الصور المظلمة المقترنة بالظلم الاجتماعي والسيطرة السياسية في عصور طغيان الملوك والأمراء ورجال الإقطاع، لأن السلفية في نظره مضادة للفكر الفلسفي الذي أراد التحرر من علم اللاهوت الذي حاول حل مشكلة التعارض بين الإيمان والعقل في الدين النصراني، وجريا على هذا المعنى، فقد أخذ المستشرقون ومن سار على نهجهم يقلبون صفحات تاريخنا لاستخراج كل ما يسيء إلى الإسلام ويعكر على مفهوم السلفية فيه، فأعلوا من شأن الفرق المنشقة عن الجماعة الإسلامية، وأثاروا الأفكار والمذاهب المخالفة للاتجاه السلفي، وعظموا أصحابها وآراءها، وجددوا المدارس الفلسفية قديمها وحديثها غربيها وشرقيها، وشجعوا على دراستها بكافة أفكارها ومذاهبها[1].

تجد الموقف السلبي لأصحاب الاتجاه العقلاني لمذهب السلف وأتباع مذهب السلف يعود لعدة أسباب، منها:

١- عدم تصور كثير منهم لحقيقة مذهب السلف بشكل صحيح.

٢- محاكمة مذهب السلف إلى أقوال وآراء وتصرفات خاطئة لأفراد ممن ينتسبون لمذهب السلف، أو قد تكون فهمت خطأ، أو أن الخلاف يسعها، ثم يعمم الحكم على مذهب السلف من خلال ذلك، وهذا تجن ظاهر.

٣- أن أصول مذهب السلف تصادم بعض أقوالهم واجتهاداتهم الشاذة، فيلجأ بعضهم إلى انتقاص المذهب من أجل تبرير موقفه[2].

إن القديم في تاريخ أوروبا يطلق على العصور المظلمة، ومن ثم فرفض أوروبا لقديمها موقف مبرر لأنه سبب تخلفها، أما عند المسلمين فالعكس تماما فتاريخنا القديم يعبر عن تقدم حضاري، والمطالبة بالترقي إلى مستويات السلف يراد منها اتخاذ

---

(١) انظر: الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، ص٤١٦.

(٢) انظر: موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي، ص٦٣.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

العقيدة الإسلامية بمفهومها الشامل من توحيد الله، وتحكيم الله، وتحكيم شرعه في الحياة الإنسانية كلها، التي تمثل الجانب العلمي والتقني أحد ألوان أنشطتها، وقد حقق المسلمون ألوانا زاهية من الحضارة عندما اتخذوا الإسلام شرعة ومنهاجا، لأنه يحض على العلم والعمل، والإنتاج المفيد وعمارة الأرض، ومن المستبعد أن يظن عاقل منصف أنه يراد بهذه الدعوة الرجوع لوسائل العصور الوسطى[1].

ليس هناك مبالغة إذا قيل بأن المدرسة العقلية الحديثة إنما هي امتداد للقديمة (المعتزلة) حيث تلتقي وتتفق في كثير من أصولها وآرائها مع الاتجاهات العقلية، مع بعض الفروق الشكلية القليلة، والمتأمل لهذه الاتجاهات، قديمها وحديثها، يجزم بأنها تشكل مجموعة واحدة، متشابهة ومتشابكة، وأن الحديثة امتداد طبيعي للقديمة.... **أما وحدة الأصول والأهداف فتتمثل جلية فيما يلي:**

١- اتفاق المدرستين على إكبار العقل، وتقديمه على النص، وإخضاع الثاني للأول، وجعل العقل مصدرا للتلقي مقدما في الاستدلال على الكتاب والسنة، وما يتبع ذلك من تأويل النصوص وتحريفها أو ردها، وعدم التسليم لها، والمبالغة في رفع شعار الحرية الفكرية، وإن كان على حساب العقيدة.

٢- اتفاقهما على عداء السنة وأهلها، وإتباع المذاهب والفلسفات الأجنبية.

٣- الجرأة على إثارة الشبهات والآراء الشاذة في الدين عموما والعقيدة بخاصة، وما يخالف إجماع المسلمين، والترويج للملل والنحل الضالة والتمجيد لها، والدعاية باسم التسامح الديني، وحرية الفكر والاعتقاد، مع جميع الفرق والديانات، لغرض التوازن في بناء الفكر الجديد.

٤- الدعوة إلى تفسير القرآن والسنة بالأهواء، وتأويلها تأويلا عقلانيا جديدا، حسب كل عصر دون اعتبار للمنهج الشرعي للاستدلال، كما أنها تنزع إلى التجديد

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٤٢.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة..الصورة النهائية) ٠٧-١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

والتغيير في أصول العقيدة، وأصول التشريع الثابتة ومناهج التلقي ومناهج الاستدلال دون اعتبار للنصوص الواردة عن الله ورسوله ودون اعتبار لمناهج السلف في ذلك كله..[1]

وهكذا نرى أوجه الشبه الكبيرة بين المدرسة العقلية الحديثة وبين المعتزلة، أو كما يسميهم بعض الباحثين: المدرسة العقلية القديمة أو الأولى.

ويمكن تلخيص أبرز أوجه الشبه بينهما فيما يلي:

أولا/ في التأثير بالغير، فالمدرسة العقلية الأولى تأثرت بالفلسفة اليونانية والهندية، والحديثة تأثرت بالفكر الغربي التجديدي العصراني.

ثانيا/ في إعلاء شأن العقل، وتقديمه على النص.

ثالثا/ التشابه في كثير من النتائج، كإنكار الغيبيات أو تأويلها، ورد أحاديث الآحاد، والطعن في الصحابة وغير ذلك[2].

رابعا/ المعتزلة مارسوا الاستعلاء الفكري مع أهل السنة ووصموهم بالجهل والحشوية والمجسمة، والمعاصرون يصفونهم بعوام الفكر الإسلامي، والنصوصيين الحرفيين الجامدين[3].

خامسا/ التشابه في دعوى الدفاع عن الدين، فكما تصدت المعتزلة للفلاسفة وغيرهم ذودا عن الدين، أراد أصحاب المدرسة العقلية الحديثة للإسلام العزة

---

(١) انظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص٥٥.

(٢) انظر: الإسلام الذي يريد الغرب، صالح بن عبدالله الغامدي، ص١٨٥.

(٣) انظر: نهج الاعتزال في الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ظافر سعيد شرقة، ص٢٩٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الغامدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

والتطور ومواكبة العصر...[1]

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن المدرسة العقلية الحديثة تقوم على ثلاثة ركائز أساسية هي:

الركيزة الأولى: أن هذه المدرسة أعطت العقل أكثر من حقه، وكلفته ما لا يطيق، ورفعت من قيمته حتى ساوته بالوحي، بل قدمته في بعض الأحيان على الوحي، ولهذا سعت إلى تضييق حيز الغيبيات في مسائل العقيدة الإسلامية.

الركيزة الثانية:أنها قامت بتأويل حقائق العقائد الإسلامية بما يتمشى مع الأحكام العقلية من جهة، ومكتشفات الحضارة الغربية العلمية من جهة أخرى، وفي سبيل هذا قامت بتأويل المعجزات والخوارق، وإنكار بعضها إذا لم يمكن تأويله بما يتماشى مع هذا البعد الفكري.

الركيزة الثالثة: تبرير تناول الحضارة الغربية ومجاراتها وإعطاء السند الفكري والزعم الديني لهذا التوجه، وتقريب الهوة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين، تقريبا كان على حساب كثيرا من الجوانب التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية[2].

تميز عنها السلف بمصادره، فقد امتاز بخصائص نادرة قلما تجدها في فرق أخرى وهي:

- وحدة المصدر: فهم لا يتلقون أمور دينهم إلا من مشكاة النبوة.

- منهج توقيفي: يقوم على التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة، لا يردون منها شيئا، ولا يعارضونها بشيء، ملتزمين بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ

---

(١) انظر: الإسلام الذي يريد الغرب، ص١٨٥.

(٢) انظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي، ٢/ ٨٠٩، ٨١٠ نقلا من: الاسلام الذي يريد الغرب، صالح بن عبدالله الغامدي، ص١٩٩.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الغامدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

﴿ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات:١].

- تجنب الجدال والخصومات في الدين، وفي أدلة القرآن والسنة والإجماع.

- اتفاق السلف في مسائل العقيدة مع اختلاف الأعصار وتباعد الأمصار.

- الوسطية في المنهج، وقد اكتسبوها من اعتمادهم على الكتاب والسنة من غير غلو ولا تقصير[1] ؛ **لذلك كان فائدة الالتزام بفهم السلف:**

١- وحدة الأمة وصيانتها من التشرذم والافتراق بسبب تضارب الأهواء والعقول، ولقد فطن إلى هذا المعنى كل الذين دعوا للتمسك بمنهج السلف والاعتصام به.

٢- كشف إبهام بعض الأدلة المجملة، أو تقييد مطلقاتها، أو تخصيص عموماتها، أو دفع وهم التعارض بينهما بفضل النظر في عمل السلف وفهمهم للأدلة.

٣- حسم مادة الابتداع والضلال، وذلك لأن كثيرا من فرق الضلال يتعلق ببعض ظواهر النصوص فيوجهها بهواه لنصرة مذهبه، وتأييد بدعته، فيقال لهم: هل فهم السلف من هذه النصوص ما فهمتوه؟

فإن قالوا: لا، دل ذلك على بطلان ما ذهبوا إليه لأن فهم السلف لهذه النصوص هو الفيصل وهو الحق، وليس بعد الحق إلا الضلال، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة:١٣٧][2].

في واقع الفكر الإسلامي عموما ما يرفض استيراد النسخة الغربية لمنهجية التعامل مع نصوص الكتاب والسنة على صورة الإطلاق التي تنفذها القراءات المعاصرة، ومعلوم أن نقل مناهج الغرب لتطبيقها على النص الشرعي الإسلامي

---

(١) انظر: تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة، د. عفاف حسن محمد، ص٥٩.

(٢) انظر: التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أسامة، ص٢٦٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

يفترض أمرين:

الأول: عدم وجود أي منهج إسلامي يضبط التعامل مع نصوص الوحي.

الثاني: وجود منهج لكنه قاصر.

أما الأول، فلا يمكن حتى مجرد تصوره لمن يعرف الإسلام ومنزلة العقل في نصوصه وأمجاده العلمية الزاخرة، وحضارته التي يستحيل أنها تسير بغير منهج، وإلا فكيف أمسكت واثقة بزمام المعرفة قرونا أفادت منها كل الثقافات.

وأما الثاني، فهذا ما يدعيه من يعترف بوجود منهج إسلامي للتعامل مع النص، لكنهم يسعون لنقده وحشد التهم والظنون لتأييد ذلك، من خلال بحوث ومقالات تسعى لهدمه، مما يدل على موقفهم الرافض للتعامل معه وبه[1].

يقوم الفكر الإسلامي على أساس التوازن والوسطية، والذي يتمثل في آفاق متعددة:

أولها: التوازن بين مصادر المعرفة سواء فيما وراء الغيب أو الكون المشهود، وبمعنى آخر بين الوحي من جهة والكون والحياة من جهة أخرى، فالمعرفة التي يتلقاها الإنسان بمداركه من هذا الكون قابلة للخطأ والصواب، أما ما يتلقاه من الوحي فهو الحق اليقين[2]. **لذلك فمن مصادر المعرفة الأصلية في الإسلام الوحي والعقل، ويختص كل واحد منهما بنوع خاص من الحقائق:**

أ/ الوحي أشرف مصادر المعرفة وأعلاها، ففي دائرة الفكر الإسلامي لا توجد نظرة إنسانية في المعرفة، وإنما نظرية المعرفة في هذه الدائرة نظرية إلهية تقوم على الوحي والنبوات، كما أن علم الله ﷻ مصدر كل علم وغايته، وهو الذي يسوق لنا الحقائق النهائية الشاملة لكل بداية ونهاية قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾

---

(١) انظر: القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي، ص٢٨٣، ٢٨٤.

(٢) انظر: الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، د. راشد شهوان، ص١٥١ وما بعدها بتصرف.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

[الملك:٢٦].

ب / العقل، ليس له أن يضع ما جاء به الوحي موضع الشك والتحقيق في صحته، لخروج ذلك عن طاقته واختصاصه، لأن الوحي مصدر مباشر للحقائق من مصدرها وهو الله ﷻ، ودرجة اليقين في الوحي أعلى من اليقين الحاصل عن طرق العقل في منهج الإسلام الصحيح(١).

ثانيها: التوزان بين الروحية والمادية، وبين الدنيا والدين، وبين الفردية والجماعية، في وقت تخبطت فيه الفلسفات والمذاهب من قديم الزمان(٢).

إن الانبهار بالغرب هو الذي أثر في تلك العقول فانحرف أصحابها يقلدون دعاة المادية والإلحاد في كل شيء حتى في معرفة ديننا، وبيان إسلامنا، إن خطر الغرب بيّن، وانحرافه واضح، وإن تعددت أساليبه التي يحارب بها الإسلام، فهو على كل حال عدو خارج عن نطاق الإسلام، ولكن يكمن الخطر ويزداد أمره إذا استعملت أسلحة الغرب بأيد تنتمي إلى الإسلام يظن كثير من أبنائه أن أصحابها ينصرون الإسلام ويذودون عنه(٣).

٢- الانفتاح الفكري المُطلق على الأمم الأخرى:

تجد من يستعمل الانفتاح الفكري ليصل إلى الإلحاد ويصف الدين بأنه انغلاق وتحجير على العقل(٤). لذلك الانفتاح الفكري بمفهومه العام يدل على الاطلاع والاستفادة مما عند الآخرين وترك الانكفاء على الذات والانغلاق عليها، وهذا يمكن تطبيقه بشكل صحيح إذا روعي في الضوابط التالية:

---

(١) انظر: الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، ص١٦٥، ١٦٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٥١ وما بعدها بتصرف.

(٣) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، ص٢٨٣.

(٤) انظر: الانفتاح الفكري، د. عبدالرحيم بن صمايل السلمي، ص١١.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الأول/ أن يكون الانفتاح بعد العلم الشرعي، فالعلم بالشريعة الإسلامية ضرورة لمعرفة دين الإسلام وتطبيقه والعمل به، فالانفتاح المفيد يكون بعد تصور عقيدة الإسلام وأحكامه تصورا صحيحا والثقة بها ورد كل ما يخالفها من عقيدة أو عمل.

الثاني / أن يكون الانفتاح مع الالتزام بالإسلام، فالإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة الإنسانية، وهو دين ثابت في قواعده وعقائده، ويتمثل ذلك بالتمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية، والرجوع فيما يشكل على الإنسان للراسخين في العلم كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:٧].

الثالث/ الانفتاح دون الانبهار بثقافة الغير، فالانبهار بثقافة غير المسلمين وآدابهم وأفكارهم ومناهجهم دليل على عدم العلم بالإسلام والاعتزاز به والثقة المطلقة بصدقه ودلالته على الفلاح والهداية في الدنيا والآخرة[1].

إن الجانب الفكري والاجتماعي يختلف من حضارة إلى أخرى لاختلاف عقائدها وفلسفتها وأوضاعها الاجتماعية، وهذا الجانب لا ينبغي للأمة المسلمة أن تفيد منه إلا بالقدر الذي لا يمس عقيدتها ولا يخالف منهجها الفكري وأسس حياتها الاجتماعية وذلك بعد تمحيص ونقد واختبار، أما أن تستسلم الأمة خاضعة مقلدة لهذه الحضارة برمتها وحذافيرها ومناهجها وفلسفاتها المادية ونظمها الاقتصادية والسياسية... التي هي مظاهر خارجية للعقيدة التي تقوم عليها تلك الحضارات، فإن هذا الموقف يحطم شخصية الأمة ويجردها من قيمتها وموروثاتها، ويقودها انقياد الدابة الذلول لمعتقدات وفلسفات ونظريات غربية عنها ولا تمت بصلة إلى بيئتها، ويجرها إلى الاستهلاك والدمار وتقبل الاستعمار، لأنه كما يكون الاستعمار بالقوة المادية والعسكرية والسياسية فإنه يكون كذلك بالقوة المعنوية والفكرية، بل تكون

---

(١) انظر: الانفتاح الفكري، ص٦١ وما بعدها. ملخصا.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

هذه الغلبة أشد وأنكى من تلك، لأنها هزيمة فكرية وعبودية معنوية، ولو كانت الأمة متمتعة بحريتها واستقلالها، وكثير أولئك الذين تخلصوا من الاحتلال الأجنبي ولكنهم ظلوا في ربقة العبودية الفكرية، ولا تزال أساليب حياتهم وأنماط مجتمعهم ومناهج تعليمهم، وأحوال بيوتهم وأسرهم، وقوانين بلادهم، شاهدة بأن الحضارة الغربية بما فيها من الغث والسمين قد استولت عليهم، وامتلكت نفوسهم بعلومها وآدابها وأفكارها، وكل هذا الافتتان والانخداع بمظاهر الحياة لا يأتي إلا من الجهل بشروط الاقتباس وضوابط الانفتاح على هذه الثقافات والحضارات وتمحيصها[1].

٣- الدعوة إلى التجديد بلا قيد ولا شرط:

تجد المنبهرين بالفكر الغربي عموما على اختلاف مرجعياتهم ومذاهبهم يرفعون شعار التجديد في الفكر الإسلامي مرجعيتهم التي يؤمنون بها، ويصدرون عنها في آرائهم ومواقفهم، ويدعون لها ويبشرون بها، هي الفلسفة الغربية، وتجاربها مع الكتب المقدسة، وذلك لإحلالها محل المرجعية الإسلامية، وبذلك فلا مناص من اعتمادها فهي تحمل في تطبيقها الحرية وحقوق الإنسان وتجاوز الماضي والانخراط في الحداثة ومواكبة العصر.

ومن الجدير بالذكر أن أهل التجديد العصري رغم ما يشيعونه في كلامهم عن قيم التسامح والحرية، والاعتراف بالآخر والتواصل معه، والبحث عن المشتركات الإنسانية، إلا إن موقفهم العملي مع من يخالفهم في توجهاتهم من المسلمين المحافظين على دينهم المقتفين لآثار الصحابة والتابعين وأئمة الدين مغاير لذلك أشد المغايرة، مما يجعلهم أصحاب نظرة أحاديه في هذا الجانب، فمن وافقهم فهو متحضر، عقلاني، متنور، متفتح، يتمتع بقيم الإسلام التنويري، يدرك متغيرات الزمان والمكان، يفهم البيئة المحيطة به، يتعامل مع الآخر بأفق متسع، ونحو ذلك من مثل هذه الألفاظ،

---

(١) انظر: الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، ص٢٤٩، ٢٥٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٢٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

ومن كان مخالفا فهو ظلامي، متحجر، متزمت، واقف مع حدود الألفاظ، ضيق العطن، لا يفهم روح الشريعة، تغيب عنه مقاصدها ويتستر خلف النصوص، ليس له القدرة على الغوص إلى أعماق المعاني، وهكذا[1].

لقد كان من جراء الانبهار بالحضارة الغربية الإصابة بمرض التقليد وبروز الدعوة إلى التجديد دون وعي ولا تبصر، ودون ضابط أو شرط، ونشأ الصراع بين القديم والجديد، أسوة بما حدث في الغرب بدون وجود وعي كاف بمفهوم القديم عند المسلمين، والفرق بينه وبين القديم في الغرب، وتحت وطأة هذا الصراع ظهرت طائفة من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، استطاعت أن تستغل هذه النزعة فأخذوا يرفعون شعارات التجديد ويطلقون أسماء تحمل معاني التطوير والمعاصرة على تحريفاتهم في دين الله بغية التمويه والتضليل، وذلك مثل: تجديد الخطاب الديني، القراءة المعاصرة، نقد الخطاب الديني، التراث والتجديد[2].

والسبب في ذلك ضعف الالتزام بالمنهج العلمي في دراسة المسائل الشرعية، ومرد ذلك إلى أحد أمرين:

أحدهما/ ضعف البناء العلمي في العلوم الشرعية، مما نتج عنه اجتهادات شاذة، وفهم سيء للنصوص والأحكام الشرعية وأقوال العلماء، وأحيانا الخطأ في نسبة تلك الأقوال، ونحو ذلك من الأخطاء الكبيرة.

وثانيهما/ عدم الالتزام بالمنهج العلمي -وإن كانت الأهلية متوفرة- نتيجة للرضوخ للواقع، أو تحكيما للعقل، أو غير ذلك من الأسباب[3].

ومن هنا فالتجديد في الإسلام له غاية واضحة ومنهج محدد، فغايته السعي

---

(١) انظر: تجديد الخطاب الديني، محمد شاكر الشريف، ص٥٧، ٥٨.

(٢) انظر: التيار العلماني الحديث، وموقفه من تفسير القرآن الكريم، منى الشافعي، ص١١٣، ١١٤.

(٣) انظر: موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر، ص٦٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧..
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

لإحياء ما أندرس من الدين، وإعادته إلى ما كان عليه في عهد السلف، وكذلك السعي لجعل أحكام هذا الدين نافذة ومهيمنة على أوجه الحياة المختلفة، وبذلك يظهر تميز هذا الدين عما سواه من الأديان والمذاهب والفلسفات المعاصرة، والمنهج الذي يجب إتباعه في ذلك هو منهج سلف الأمة الصالح، والذي يرتكز على الاعتصام بالكتاب والسنة،...[1]

أما إذا كان التجديد بمعنى التغيير والتطوير، فإنه ينطوي بذلك على أخطار عظيمة منها:

١/ إخضاع الدين الذي هو وضع إلهي إلى عقل الإنسان وتفكيره، مما يجعل الدين عرضة للتغيير والتبديل المستمر، وهذا بدوره يؤدي مع مرور الزمن إلى ضياع الدين بالكلية، كما حدث مع الذين من قبلنا اليهود والنصارى، حينما عمد الأحبار والرهبان إلى تغيير بعض الأحكام التي أنزلها الله في كتبهم بزعم المصلحة.

٢/ إفقاد الأمة الإسلامية أهم مصدر من مصادر عزها وقوتها، حتى تصير بعد ذلك أمة بلا هوية، بلا تاريخ، بلا ثقافة، وأخيرا بلا دين وتصير بعد ذلك مهباً لكل طامع في خيرات بلادها.

٣/ إيجاد قطيعة مع سلف هذه الأمة، حتى إنك لو نظرت في أقوال المجددين العصريين وقارنتها بسلف هذه الأمة خيل إليك أنهم يتحدثون عن شريعة غير الشريعة التي يتمسك بها السلف الصالح، ويتحدثون عنها[2].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١٤٣.

(٢) انظر: تجديد الخطاب الديني، ص٣٨.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

٤- المجاهرة بالآراء التي تخالف أصول الدين وقطعياته:

المجاهرة بالآراء التي تخالف أصول الدين وقطعياته، كإظهار القول بإنكار وجود الله أو إظهار القول بإنكار نبوة محمد ﷺ أو إظهار القول بأن القرآن محرف وناقص، توقع الألم وتحدث الأذى للمجتمع المسلم أو لأكثره على الأقل، وكل ما يؤذي المسلمين في دينهم أو دنياهم فإنه يستحق المنع، فتقييد الحرية في المنع من الرأي المخالف لقطعيات الشرعية إذا لم يقصد لمجرد حرمان الآخرين من حرياتهم ولا لمجرد الاعتداء عليهم، وإنما سعيا للمنع من اعتداء قد يقع على مجموع المسلمين ودفع لحدوث الضرر في أعز ما يملكونه وهو دينهم وعلاقتهم بربهم، وطبيعة الضرر في الإسلام وكونه شاملا للضرر الحسي والمعنوي الروحي هي إحدى أهم المحطات التي يفترق فيها التصور الإسلامي عن التصور الغربي، فالتصور الغربي يكاد يحصر الضرر في الجانب المادي فقط، وأما التصور الإسلامي فإن الضرر الذي يسعى إلى محاربته وإزالته يشمل الضرر المادي الجسدي، والمعنوي الروحي[1]. لذلك فوصف تصور الفقهاء والتيار الإسلامي المحافظ الذي يتبنى القول بالمنع من نشر ما يعارض أحكام الشريعة الإسلامية ويتناقض مع أصولها، بأنه اتجاه يحارب الفكر ولا يسمح بنشر ما يخالف آراءه، وأنه يعاني التخلف، لأنه لا يجعل حرية التعبير متاحة في كل القضايا ! فالجواب عن هذه التهمة بالأمور التالية:

الأمر الأول: أن الممنوع هو نشر الآراء والأفكار في المجتمع المسلم بالجملة، وأما الحوار حولها مع أهل الخبرة والمعرفة من العلماء والمفكرين، وإقامة المجالس النقاشية، فهو ليس ممنوعا، بل هو مطلوب ومأمور به في الإسلام، فمن لديه فكرة مخالفة لأصول الإسلام وقطعيات الشريعة، فعليه أن يناقش أهل الخبرة والعلم، ويجب عليهم أن يقبلوا بالحوار معه، وأن يتيحوا له كامل الحرية في إبداء كل ما لديه من اعتراضات وإشكالات، فالبحث إذن ليس في حرية الرأي ولا في حرية الحوار

---

(١) انظر: فضاءات الحرية، سلطان العميري، ص٤٦٦.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

والنقاش، وإنما في قدر زائد على ذلك، وهو القيام بنشر آراء يتعارض مع مسلمات الدين والقاعدة التي تقوم عليها أنظمة المجتمع المسلم.

الأمر الثاني: أنه كلما عظمت منزلة الشيء وعلا قدره ازداد اهتمام الناس به، واحتياطهم في الحفاظ عليه، وقوي دفاعهم عنه ومنعهم من الاعتداء عليه، وكل المجتمعات والشعوب لديها دوائر مقدسة لا تقبل الدعوة إلى القفز عليها ولا نشر الآراء التي تحث على انتهاكها، فحين كان الأمن شيئا معظما لدى كل الشعوب، فإنهم لا يتوانون في التصدي لكل الأفكار والآراء التي تدعو إلى اضطرابه أو تؤدي إلى إحداث الخلل فيه، وحين كانت الأموال شيئا مهما عند كل الشعوب، فإنها لا تقبل بنشر الآراء التي تدعو إلى السرقة وتحبب الناس فيها، وكل مجتمع لديه من الدوائر ما يناسب مرجعيته وثقافته وتاريخه وأهدافه وتصوره عن الحياة وعلاقته بربه وخالقه، ولا يقبل فيها أي معارضة أو نقد، ويحارب كل دعوة تسعى إلى مصادمة تلك الأمور المقدسة لديه، وقد جعلت بعض قوانين الدول الغربية الدعوة إلى المذهب الشيوعي مثلا بالخطابة أو الكتابة أو غيرها يعد أمرا محرما وممنوعا[1].

إننا حين نواجه الثقافات الأجنبية المختلفة، ونقف أمام الركام المتكاثف من الأفكار والفلسفات، وما أنتجته العقول في مختلف العصور والأماكن مما خلفته الحضارة الغابرة، وما يضيفه المفكرون المعاصرون في مختلف المجالات الفكرية والعلمية، دون أن نكّون المجالات الفكرية والعلمية، ودون أن نكُون مؤصلين تأصيلا إسلاميا صحيحا وعميقا، ولم ننل قسطا وافرا من ثقافة الكتاب والسنة، فإن هذا الركام المتكاثف يغمرنا وسط متاهاته ويلفنا في ضلالاته، وتمتلئ به عقولنا وتزدحم به أذهاننا، ويصعب علينا أن نميز بين السمين وبين الغث، وبين الحق وبين الباطل، وبين الخير وبين الشر، وقد نتبنى أفكارا باطلة، ونعتنق عقائد فاسدة وتنطمس شخصيتنا الإسلامية وينحرف فكرنا وسلوكنا عن مفهومات الإسلام الأصلية،

---

(١) انظر: فضاءات الحرية، ص٤٦٣ وما بعدها.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

فالكتاب والسنة هما الميزانان اللذان يمنحاننا المقاييس الصحيحة، وبهما تتحد نظراتنا إلى معرفة الخير والشر في تلك الثقافات، وبهما نحكم على الأفكار والنظريات والقوانين والفلسفات وكل ما ينتجه الفكر البشري في مراحل تطوره الطويل[1].

وإذا كانت الثقافات الغربية قد عزلت الدين عن حياتها وعن منهاج تفكيرها وتطوراتها بعد أن وجدته بصورته وتفسيراته التي عرفتها معوقا لها عن الحرية والنهضة والتقدم، فأصبحت بذلك لا تطمئن إلى دليل منه ولا تأنس منه بقرار مريح، فإن الأمر يختلف بالنسبة لديننا وعالمنا وأمتنا، وأن منهج التغيير والتجديد في الإسلام لا يقبل مفهوم التطور المطلق الذي لا يعرف للنصوص الدينية حرمة وإنما يقبل التغيير إلى الأصلح، كما أنه ينكر الثبات المطلق الذي يأبى أن يتحرك في النطاق المشروع للحركة ويركن إلى الجمود والتحجر، ولهذا فإن الإسلام يدعونا إلى التماس مفهوماته الأصلية، والتخلي عن المفهومات الوافدة الزائفة، التي حاولت أن تسيطر على مجتمعاتنا وكياننا وأفكارنا[2].

إن الطريق إلى أصالتنا لا تكون إلا بالتجرد من دائرة الفكر الغربي، والتطفل على موائده، وتحرير العقلية والمجتمع الإسلامي من استعباد الثقافات الأجنبية ووصلهم بمفهومات الإسلام ومناهجه التي قامت عليها حضارتنا منذ خمسة عشر قرنا متصلة ليس فيها انفصال[3].

---

(١) انظر: الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، ص٢٣٧.

(٢) انظر: الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، ص٤١٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٢٥٧.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

٥- نفي حاكمية الشريعة وسيادتها:

لقد جاء الإسلام بعقيدة عامة موجهة إلى البشر كافة، فكل إنسان يقبلها يصير مسلما، وجاء الإسلام بالحكم، ففي البداية كان القرآن ينزل بالعقيدة، فلما هاجر رسول الله ﷺ جاءت التشريعات والنظم ومنها نظام الحكم، فكانت الدولة تبعا للدين، والدين هو الذي رسم نظام الدولة، فظلت الشرعية للدولة ونظام الحكم ترتبط بالدين[١].

لذلك فمهمة الحكم في الإسلام حراسة الدين، والدعوة إليه، فالدولة وظيفتها الدفاع عن العقيدة، وأساس شرعية السلطة، ومحور وجودها نشر الدعوة، فالدين والسلطة يتفاعلان كحقيقة ديناميكية واحدة، وهكذا فإن شرعية السلطة هي الدين، وأداة الدين هي السلطة، وواجب الدولة هو أن تدعو إلى الحق، وأن تدعو من خلال الإقناع والإقتناع،...[٢]

كما أن نظام الحكم في الإسلام يقوم على مبادئ وقواعد، يختلف فيها اختلافا كليا عن نظرة الغربيين إلى الحكم الديني الذي ساد فترة طويلة في أوروبا، ولا يزال له سطوته ونفوذه، ولا تزال صورته ماثلة في أذهان الكثير من الغربيين عن نظرته للدين ورجاله، وطوائفه، وعند المقارنة نجد فروقا شديدة بينه وبين نظام الحكم في الإسلام، فمن أميز هذه الفروق:

١/ أن طبقة رجال الدين في النصرانية هي التي تحكم، ولها صفة القداسة، بينما في الإسلام لا يوجد رجال دين، وإنما علماء دين، وليس لهم صفة القداسة، بل هم يستوون مع الناس، فلا فضل لأحد منهم على الآخر إلا بالتقوى.

٢/ رجال الدين في النصرانية معصومون من الخطأ، لأنهم يتكلمون نيابة عن

---

(١) انظر: النظام السياسي في الإسلام، د. نعمان السامرائي، ص١٩، ٢٠ بتصرف.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٢.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الله، فلا يفهم مراد الله من كلامه إلا هم، والحقيقة الدينية عندهم وحدهم، فليس من حق أحد أن يتقدم للصلاة أو الوعظ من الكتب المقدسة ولا تفسيرها، ولا يحق لأحد أن يفهمها إلا رجال الدين، فامتلاك الحقائق الدينية وغيرها حكر عليهم وحدهم، أما علماء الدين في الإسلام فهم غير معصومين عن الخطأ، وهم يعبرون عن فهمهم للنص الديني، ولا عصمة لبشر في الإسلام إلا للأنبياء والرسل بل يصيبون ويخطئون...[1]

٣/ لا تجوز محاسبة رجال الدين في النصرانية، لأنهم يتكلمون ويتصرفون نيابة عن الله، ويحكمون ولا يعترض على قرارتهم، ولا يحق لأحد عزلهم، لأنهم يعينون من قبل الله، أما في الإسلام فمن حق الأمة أن تحاسب الحاكم على جميع تصرفاته، وتعترض على قرارته إذا أصدر قرارا يتعارض مع الشريعة.

٤/ الدولة الدينية تعادي العلم، وتقف خصما له، ودخلت في صدام طويل معه في العصور الوسطى الأوروبية، بينما الدولة الإسلامية احتضنت العلم ولم يكن الإسلام يوما خصما للعلم ولا للعلماء، هذه فوارق واضحة بين الحكم الديني، والحكم الإسلامي، والذي لا يلتقي مع الحكم الديني في شيء، بل هو منفصل عنه ومناقض له تماما، ومختلف عنه في الشكل والمضمون، وهو يوضح وقوف الإسلام ضد الحكم الديني، بل يشن عليه حربا لا هوادة فيها، فهما نقيضان لا يلتقيان[2].

وفي الفكر الديمقراطي مصدر التشريع ومنفذه كلهم بشر، أما في الإسلام فمصدر التشريع الكتاب والسنة، والحاكم منفذ للشريعة، والأمة رقيبة عليه في تنفيذها، ولذا لو بدلها أو حاد عنها وجب رده إليها، أو عزله عن إمامة المسلمين[3].

---

(١) انظر: الخوف من حكم الإسلاميين، عصام تليمة، ص١٩، ٢٠.

(٢) انظر: الخوف من حكم الإسلاميين، عصام تليمة، ص٢٧ ملخصا.

(٣) انظر: الاستدلال الخاطيء بالقرآن والسنة على قضايا الحرية، د.ابراهيم محمد الحقيل، ص٥٥٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

وبالنظر لمسألة الحقوق والحريات في الفكر الديمقراطي نجد ما يلي: ففي مجال الاعتقاد يحق لكل فرد في النظام الديمقراطي أن يدين بما شاء من العقائد والملل والنحل والأفكار ويدعو إليها بالطرق المسموح بها، ولا تثريب عليه في ذلك، ولا فرق في النظام الديمقراطي أن يدين المرء بدين أصله الوحي الإلهي، أو يدين بعقيدة أو فكرة من وضع البشر واختلافهم، كما يجوز في ظل هذا الحق أو هذه الحرية أن يغير المرء دينه أو عقيدته أو ملته أو نحلته كيفما شاء، وليست هناك أدنى قيود عليه في ذلك، بل لو شاء إن يكون له في كل يوم عقيدة تخالف عقيدته السابقة لكان له ذلك، وهذا الحق عندهم من الحقوق التي لا يجوز تقييدها أو تخصيصها بل هو حق مطلق، وفي هذا المجال لا تسل عن جريمة الردة أو عن حدها، فالردة حق من الحقوق التي يجب كفالتها وحرية متاحة للجميع(١).

المناداة بالحرية التي دعت إليها النظرية الديمقراطية إنما انطلقت من كون الإنسان هو صاحب السيادة في المجتمع، والتي بنيت بدورها على انعدام المرجعية العليا في الفكر الليبرالي الديمقراطي، فلقد أدى تبني العلمانية إلى عزل الدين عن واقع الحياة، ومن ثم إلغاء المرجعية الدينية عن التأثير في الواقع عن طريق عزل الأخلاق عن الظواهر الاجتماعية، مما دفع المفكرين إلى البحث عن مرجعية جديدة، ومن هنا أصبح الفرد هو المرجعية التي حلت محل القيم الدينية التي كانت تشكل مرجعية عليا في المجتمع، وقد أدى هذا إلى تبني الفكر الليبرالي الديمقراطي لسيادة الفرد وللحرية الفردية بوصفها قيمة اجتماعية أعلى، وغاية سياسية أمثل،...(٢)

أما في الإسلام لقد تقرر في محكمات الشريعة وبدهياتها الأولى أن الحجة القاطعة والحكم الأعلى هو الشرع لا غير، بل إن هذه الحقيقة هي الإسلام، فالقبول بها قبول بالإسلام، والكفر بها أو الإعراض عنها مروق من الدين وكفر به، والدليل على هذه

---

(١) انظر: المشاركة في البرلمان والوزارة، محمد شاكر الشريف، ص٢٤.

(٢) انظر: نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية، د. محمد أحمد مفتي، ص٩٠، ٩١.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الحقيقة هو الدليل على الإسلام نفسه، فمن صح عنده الرضا بالإسلام دينا فقد صح عنده الرضا بهذه الحقيقة، ومن أعرض عن الإسلام أو تشكك في صحته أو تردد في قبوله، ساغ له أن يعرض عن هذه الحقيقة أو أن يتشكك في صحتها ويتردد في قبولها، فما من دليل يشهد بصحة الإسلام إلا وهو دليل شاهد بصدق هذه الحقيقة(١).

لذلك فالحق عند المسلم هو أمر به الله تعالى ورسوله ﷺ أو دعا إليه، وإن خالف في ذلك أكثر من في الأرض، والباطل هو ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، وإن وافق عليه أكثر من في الأرض، فالعبرة في الشريعة في معرفة الحق من الباطل ليست في الكثرة أو القلة، بل العبرة بموافقة الشرع أو مخالفته، فالله تعالى هو الذي يشرع، وهو الذي يأمر وينهى، وهو الذي يلزم، وهو الذي يعاقب على المخالفة ويثيب على الطاعة، فالسيادة الكاملة إنما هي لله تعالى وحده لا يشركه فيها أحد من ملك مقرب أو نبي مرسل أو ولي صالح أو حاكم سواء سمي رئيسا أو ملكا أو أميرا أو غير ذلك من المسميات التي تواضع عليها الناس(٢).

وبناء عليه فإن الشريعة الإسلامية تتصف بما يلي:

- أنها المرجعية المطلقة للمسلم في كل تصرفاته وأحواله، فحقيقة الإقرار بالإسلام دينا تقوم على أن المقر به يسلم ابتداء بكل ما جاء به من أحكام وفرائض ويرضى به حكما ونظاما يسّير عليه حياته ويكيف به تصرفاته، ولأجل هذا لم يعرف في التاريخ الإسلامي التفريق بين الإقرار بتطبيق الشريعة على الفرد والمجتمع على المستوى الخاص وبين الإقرار بتطبيق الشريعة على المستوى النظامي العام، ولم يظهر هذا التفريق إلا في ظل الأجواء الديمقراطية الغربية التي تقتضي مبادئها التفريق.

- العصمة من الخطأ، ومعنى ذلك أن حكم الشريعة لا يمكن أن يقع فيه الخطأ

---

(١) انظر: نظرية السيادة، د. صلاح الصاوي، ص٣٩.

(٢) انظر: المشاركة في البرلمان والوزارة، ص٢٠.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

أو الزلل أو النقص أو القصور، لأنه يمثل إرادة الله وحكمه، وهو سبحانه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وبناء عليه فكل تطبيق مجمع عليه بين الأمة فهو معصوم كما أن الشريعة معصومة، لأنه يمثل ما أراده الله من عباده، ومن ثم فإن القضايا التي أجمع عليه العلماء، وهي كثيرة جدا، تأخذ نفس الحكم الثابت لهيمنة الشريعة وسيادتها، فلا تصح القفز عليها ولا تجاوزها ولا الزعم بأنها يمكن أن تكون مخالفة للشريعة.

- الإلزام المطلق، ومعنى ذلك أن حكم الشريعة ملزم لكل مسلم بغير تعليق ولا شرط ولا تقييد، وفي كل الأحوال سواء على المستوى الشخصي أو الجماعي أو القانوني أو غيرها...[1].

- **الموقف من التسامح الديني بمفهومه الغربي المعاصر:**

قبل ذلك يمكن القول بأن المصطلحات هي الوعاء التعبيري الذي تطرح من خلاله الفكرة التي تشكل مفهومات الناس وتصوراتهم، وذلك بما تحمله من مدلولات فكرية ومضمونات لغوية وحضارية وثقافية، فإذا اضطرب الوعاء أو اختلت مدلولاته التعبيرية اختل البناء الفكري ذاته واهتزت قيمته في الأذهان، وخفيت حقائقه وربما عظمت مضرته، وكلما تقدم العقد الإنساني في مجالات الفكر، كلما تكشفت له خطورة قضية المصطلحات وتأكد له أن الأمم الراقية في أفكارها هي التي لا تقبل مصطلحات ومسميات الآخرين وإنما تحافظ فيها دائما على الاستقلالية والامتياز[2].

إن منهج الأئمة الكبار من السلف رضوان الله عليهم هو المنع ابتداء من إطلاق المصطلحات المجملة المشتملة على الحق والباطل، وذلك لعلمهم أنها كانت سببا دائما

---

(١) انظر: فضاءات الحرية، ص٥١٩، ٥٢٠ "بتصرف".

(٢) انظر: الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، ص٦٠٥.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

في افتراق الأمة الإسلامية واختلافها وتشرذمها وتحزبها ضد بعضها وهذا مخالف لمقصد الإسلام من اجتماع الأمة الإسلامية ووحدتها، إضافة إلى تسببها في افتتان الناس في دينهم، وإراقة بعضهم لدماء بعض، واستحلال بعضهم لأموال بعض، لذلك كله منع السلف من إطلاق المصطلحات المجملة(١).

فإذا وقعت المصطلحات المجملة المشتملة على الحق والباطل وأصبحت واقعا لا مفر منه، كان منهج السلف الاستفصال عن معناها، وذلك لتمييز الحق من الباطل فيؤخذ الحق ويرد الباطل ويبتغى لما تبقى من المعنى الحق مصطلح يناسبه فإن كان له في الشرع اسم فلا يعدل عنه البتة، وإن لم يكن له اسم أحدث له اسم جديد يصلح له،..(٢)، فالأخذ بهذه المنهجية السلفية النبوية هو من العدل والإنصاف مع الخصوم حيث لا يحمل كلامهم على ما لا يريدونه من المعاني بل يطلب منهم تفسير ما أجملوه لكي يحق الحق ويبطل الباطل، فالسلف رضوان الله عليهم يهتمون بتحرير المعاني العقلية في المصطلح المحدث، فالمعول عندهم إنما هو على تلك المعاني، فإن صحت صح الأخذ بها وإن بطلت بطل الأخذ بها(٣).

وهذه القاعدة السلفية تنطبق على مفهوم التسامح الديني بمفهومه الغربي المعاصر، حيث إنه يحمل مفهوما فضفاضا يتضمن حقاً وباطلاً، يتحتم ضرورة الاستفصال عن المدلول المراد:

١- فإن أريد بالتسامح: العفو والصفح في المعاملة، بالتنازل عن بعض الحقوق الشخصية مالية أو معنوية، أو ما يحيله الشرع الإسلامي إلى اجتهاد ولاة المسلمين في معاملة الحربيين من المنّ أو الفداء، حسب ما تقتضيه السياسة الشرعية، أو منح

---

(١) انظر: ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة، د. سعود بن سعد العتيبي، ص٣٤٠.

(٢) انظر: ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة، ص٣٤١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٣٤١.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد القاسمي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الذميين والمعاهدين والمستأمنين في المجتمع الإسلامي حقوقا مدنية، وإذناً في البقاء على دينهم وعباداتهم، من غير إكراه لهم على اعتناق الإسلام، فهو حق جاء به الإسلام، وحفل به تاريخه، وفاق به جميع الأنظمة القديمة والحديثة، وقد شهد له بذلك الأعداء، فهو بهذا المدلول فضيلة خلقية، ومنهج نبيل في العلاقات الدولية، والتنظيم الاجتماعي، لا يثلم عقيدة، ولا يهدر كرامة، ولا يضيع حقا.

٢- وإن كان التسامح يعني المداهنة، وإعطاء الدنية في الدين، وتسوية المسلمين بالمجرمين، وإدانة سبيل السابقين الأولين من المؤمنين، وإباحة جناب المجتمع المسلم، باسم الحرية الدينية وما شابهها، بحجة تحسين صورة الإسلام والمسلمين في أذهان الغربيين، فما هذا بتسامح، بل خنوع واستجداء، ونزع للباس التقوى[١].

إن الأخذ من الثقافة الوافدة ووضعها موضع القبول والاعتبار والتنفيذ، دون التنبه إلى خطورة هذه المذاهب والفلسفات والمصطلحات الوافدة، وما تقوم عليه من أسس، وما تحمله من معان جديدة قد لا تكون معروفة في الشرع، ولا موافقة لمصطلحات الإسلام وأصوله ومناهجه، هذا الاتجاه المتساهل في النظر إلى الثقافة الوافدة والمفهومات الدخيلة، والنظر إليها من خلال التسامح الديني، هو مصدر ذلك الزيغ الذي داخل النفوس وهو الذي كدّر شفافية الفهم الصحيح للإسلام وعكر صفو المفهومات الإسلامية ومصطلحات الإسلام، فنشأت أنواع من النماذج العقلية تناولت الشريعة الإسلامية بالشرح والتفسير من خلال رؤيتها الخاصة، وفي ضوء مبلغها من العلم الذي ربما يكون غير أصيل ولا مؤصل، مما أدى إلى إثارة البلبلة الفكرية، والتناقضات والخلافات والتأويلات[٢].

ولذلك فالمرجعية العليا لمعرفة الحق هي القرآن الكريم والسنة النبوية

---

(١) انظر: دعوة التقريب بين الأديان، د. أحمد القاضي، ٤/ ١٥٢٥.

(٢) انظر: الأصالة والتجديد، ص٣٩٤.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الصحيحة، فلا مجال لقبول أي فكرة تصطدم مع نصوص الوحي، كما لا مجال للتخلي عن أي فكرة يثبتها الوحي بشكل قاطع أو صريح، فالأمة الإسلامية لها ثوابتها ومسلّماتها العقدية والفكرية والتي تمثل شخصيتها وتميز هويتها، فلا بد لها من الحفاظ على هذه الثوابت حتى لا تتعرض للاهتزاز أو الذوبان[1].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) انظر: حوار الحضارات، ص٢٤٦.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الخاتمة

الخاتمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وبعد:

ففي خاتمة هذا البحث يمكن إجمال أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وهي على النحو التالي:

١- أن التسامح من أهم القضايا التي اهتم بها الإسلام، لذلك وضع له أسسا راسخة، وعقد له مواثيق متينة، مبينا واجب المسلمين بعضهم مع بعض، وما يجب عليهم تجاه مخالفيهم من أهل الملل الأخرى.

٢- التسامح في الإسلام المقصود به: هو التعايش مع المخالف في المعتقد بدون اضرار بدين الإسلام أو المسلمين.

٣- التسامح الديني في الفكر الغربي يختلف عنه في الإسلام، إذ المقصود به: التساهل مع الرأي المخالف سواء ديني أو عقلي للوصول إلى الحقيقة الكاملة والتي لا يملكها دين أو فرد أو جماعة، من غير ممارسة للسُلطة وإنما عن طريق إقناع العقل بها.

٤- ينطلق التسامح الديني في الفكر الغربي من رؤى فلسفية، قائمة على الشك، وعدم الثبات على الرأي الواحد، إذ المرجعية في ذلك ما يمليه العقل.

٥- التسامح الديني في الغرب ظهر أصلا لحل مشكلة قائمة وهي مشكلة التعايش بين المذهب الكاثوليكي والمذهب البروتستانتي.

٦- أسباب نجاح التسامح الديني في العالم الغربي يرجع إلى عدة أسباب،

أ/ المذهب الإنساني: الذي يجعل معيار التقويم هو الإنسان، فالإنسان مقياس كل شيء وفيه تحرير للإنسان من كل مؤثر خارجي.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

ب/ المذهب الشكي: والذي يرى فيه ديكارت أن كل إنسان لا بد أن يشك ولو مرة واحدة في حياته في كل ما آمن به من حقائق، فشاعة الفوضى وانتشر الشك في أوروبا روحيا وعقليا ودينيا وسياسيا.

ج/ المذهب العقلي: وهو اتجاه تنويري يثق في الإنسان وبعقله الذي يمكنه من إدراك الحقيقة واكتساب المعرفة، وأنه المصدر الوحيد للمعرفة.

٧- يقوم التسامح الديني في العالم الغربي على ثلاثة أسس:

أ/ الحداثة: وهي حركة فكرية حديثة وشاملة، تجعل من العقل المرجع والسُلطة العليا، وهي ثورة تتجه صوب التجديد وإلغاء القديم وقطع الصلة مع الماضي.

ب/ البراجماتية: وهي مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها وآثارها عمليا، وأن صدق أي قضية هي كونها مفيدة، من خلالها يتجاوز الماضي، كما أن الحقيقة فيها نسبية لأنها من صنع الإنسان.

ج/ الديمقراطية الليبرالية: الديمقراطية نظام لا ديني منبثق عن تصور عن الحياة قائم على فصل الدين عن الدنيا، والليبرالية: هي التمرد، والرفض لكل أشكال السُلطة الخارجية المانعة من تحقيق الاستقلال الذاتي الفردي، والديمقراطية تستمد جذورها من أفكار المدرسة الليبرالية والتي يعد من أبرز مفكريها جون لوك، وآدم سميث، وديفد هيوم.

٨- التسامح الديني في الغرب براجماتي قائم على المنفعة، فهو بذلك أداة ووسيلة يستخدم لتحقيق المصلحة، وليس قيمة عليا أو فضيلة، فهو جيد بقدر ما يحقق للأطراف المختلفة من مصالح، ومن ثم يصبح أداة تستخدم لتحقيق أغراض محددة.

٩- واقع التسامح الديني في العالم الغربي أخذه الصفة القانونية والحماية من قبل المجتمع الدولي وحقوق الإنسان العالمية، لذلك كان واقعه كالتالي:

- لكل إنسان حرية الاعتقاد وله الحق أيضا أن يغير دينه ليعتنق ديناً آخر وله أن لا يعتقد في شيء قط.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٧٠٠
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

- إحياء العمل النقدي للكتب المقدسة ورفض التسليم باحتكار الكنيسة لتفسير نصوصها، ومن هنا يأتي دور الفلسفة والتي تقوم على العمل النقدي، فكل القيم والمفاهيم والأفكار معرضة للنقد.

- تقديس العقل: لم يكن أن يحل التسامح الديني في الغرب إلا بعد أن وثق الناس بعقل الفرد، فكل شخص يستخدم عقله ويفكر بنفسه من دون وصاية عليه.

- إحياء النزعة الإنسانية وذلك بالتركيز على الإنسان والإيمان بمقدراته وتشكيل حياته الشخصية، وإحلال الإنسان بدلاً من الله ﷻ.

- مواجهة الأصولية التي ترفض التطور وتحارب العلم وعدم التسامح مع المخالف.

١٠- التسامح الديني في الغرب لا يصلح في دولة عقدية وإنما في دولة لا دينية، فهو قائم على حيادية الدولة تجاه عقائد الناس وأفكارهم وارآئهم، ومنطلق من النسبية ومن الشك وعدم اليقين، وهذا يخالف الدولة العقدية التي ترسخ العقيدة واليقين في قلوب الناس.

١١- انتقال فكرة التسامح الديني بمفهومه الغربي إلى العالم الإسلامي يعود إلى عدة أسباب منها:

أ/ الضعف والانحطاط في الأمة الإسلامية ف وتأخرهم عن تقديم الإسلام. فأصبحت عالة على الغرب.

ب/ الجهل بالكتاب والسنة وفقدان الفهم الصحيح للاسلام.

ج/ الاستشراق تكمن خطورته ودوره في تلقف جمهرة من المنتسبين إلى الإسلام لأفكاره وأرائه، واعتناقهم لها، ونشرها بين المسلمين.

١٢- من مظاهر هذا التسامح الديني بمفهومه الغربي في العالم الإسلامي:

- إشاعة النزعة الإنسانية: وذلك باحترام الإنسان بحد ذاته، يقرر مصيره بنفسه، وهو المرجع، وله حق النقد والتحرر من كل تبعية.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

- انتشار الفكر الفلسفي الغربي: وذلك لأن الفلسلفة تقوم على النقد والشك والتي من خلالها تناقش كافة المسلمات القائمة على القبول والتسليم.

- نسبية الحقيقة: وهي أن كل شيء تابع لوجهة نظر كل شخص، والسبب في ذلك قياسهم الإسلام على غيره من المذاهب المنحرفة، فالمؤمنون بالنسبية يتعارضون جذرياً مع القائلين بوجود حقيقة مطلقة.

- القطيعة مع الماضي: ترض التراث والرجوع إلى الماضي واعتبارها سبب التخلف، وأن التقدم لن يكون إلا بالاتجاه إلى الحداثة الغربية وحصر الجهد بها.

١٣- مآلات هذا التسامح الديني في العالم الإسلامي تتلخص فيما يلي:

- إبراز الاتجاه العقلاني والتخلي عن مذهب السلف والمقصود به هو الاعتداد بالعقل، والوثوق بأحكامه واحترام نتائجه، وتقديمه على النقل عند التعارض.

- الانفتاح الفكري المطلق على الأمم الأخرى وذلك بالاطلاع والاستفادة مما عند الآخرين وترك الانكفاء على الذات والانغلاق عليها بلا ضوابط.

- الدعوة إلى التجديد بلا قيد ولا شرط مرجعيتهم التي ينطلقون منها في التجديد هي الفلسفة الغربية، وتجاربها مع الكتب المقدسة، وذلك لإحلالها محل المرجعية الإسلامية.

- المجاهرة بالآراء التي تخالف أصول الدين وقطعياته كإظهار القول بإنكار وجود الله أو إنكار نبوة محمد ﷺ أو أن القرآن محرّف، من باب حرية الرأي واختلاف الآراء.

- نفي حاكمية الشريعة وسيادتها وذلك لأن مصدر التشريع في الإسلام الكتاب والسنة، ومهمة الحكم في الإسلام حراسة الدين والدعوة إليه فالدولة تبعا للدين، بينما في النظام الديمقراطي مصدر التشريع ومنفذه بشر، فالإنسان هو صاحب السيادة وهو المرجعية العليا في المجتمع.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

١٤- أخيرا: يعتبر التسامح الديني من المصطلحات المجملة بين الأديان والمذاهب، لذلك يُسأل من ينادي به ماذا تقصد من هذا المصطلح ؟.

- فإن أريد بالتسامح: العفو والصفح في المعاملة، بالتنازل عن بعض الحقوق الشخصية مالية أو معنوية، أو ما يحيله الشرع الإسلامي إلى اجتهاد ولاة المسلمين في معاملة الحربيين من المنّ أو الفداء، حسب ما تقتضيه السياسة الشرعية، أو منح الذميين والمعاهدين والمستأمنين في المجتمع الإسلامي حقوقا مدنية، وإذناً في البقاء على دينهم وعباداتهم، من غير إكراه لهم على اعتناق الإسلام، فهو حق جاء به الإسلام، وحفل به تاريخه، وفاق به جميع الأنظمة القديمة والحديثة، وقد شهد له بذلك الأعداء، فهو بهذا المدلول فضيلة خلقية، ومنهج نبيل في العلاقات الدولية، والتنظيم الاجتماعي، لا يثلم عقيدة، ولا يهدر كرامة، ولا يضيع حقا.

- وإن كان التسامح يعني المداهنة، وإعطاء الدنية في الدين، وتسوية المسلمين بالمجرمين، وإدانة سبيل السابقين الأولين من المؤمنين، وإباحة جناب المجتمع المسلم، باسم الحرية الدينية وما شابهها، بحجة تحسين صورة الإسلام والمسلمين في أذهان الغربيين، فما هذا بتسامح، بل خنوع واستجداء، ونزع للباس التقوى.

والله اسأل التوفيق والإخلاص في القول والعمل.

* وصلى الله على نبيّنا مُحمّد وعلى آله وصحبه وسلم *

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩ Ali Fattani

الفهارس

۞ ١- فهرس المصادر والمراجع.

۞ ٢- فهرس الموضوعات.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** (جل منزله وعلا).

(١) **الاتجاهات العقلانية الحديثة**، د. ناصر عبدالكريم العقل، ط: دار الفضيلة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٢) **أثر الكنيسة على الفكر الأوربي**، د. أحمد علي عجيبة، ط: الأولى ٢٠٠٤م، دار الآفاق العربية.

(٣) **أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند ادوارد سعيد. حسن حنفي. عبدالله العروي**، د. نديم نجدي، دار الفارابي، ط: الأولى ٢٠٠٥م.

(٤) **الاستدلال الخاطئ بالقران والسنة على قضايا الحرية. دراسة نقدية**، د. ابراهيم بن محمد الحقيل، ط: الأولى مجلة البيان ١٤٣٤هـ.

(٥) **الإسلام الذي يريده الغرب قراءة في وثيقة أمريكية**، تأليف: صالح بن عبدالله الغامدي، ط: الثانية ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م. مركز الفكر المعاصر.

(٦) **الإسلام في الفكر الغربي**، د. لطيفة إبراهيم خضر، ط: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م عالم الكتب.

(٧) **الإسلام والغرب نحو عالم أفضل**، مجموعة باحثين، ط: الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم ناشرون.

(٨) **الإسلام والغرب**، د. محمود حمدي زقزوق، مكتبة الشروق الدولية، ط: الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٩) **الإسلام كمجاوز للحداثة ولما بعد الحداثة**، سالم القمودي، الانتشار العربي، ط: الأولى ٢٠٠٨م.

(١٠) **الأسس البنيوية لفكر الحداثة الغربية**، د. محمد عادل شريح، ط: الثانية ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، دار الفكر دمشق.

(١١) **الاستشراق عند ادوارد سعيد رؤية إسلامية**، د. تركي خالد الظفيري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط: الأولى ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الغامدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

(١٢) **الاستشراق. رؤية اسلامية**، أحمد غراب، المنتدى الإسلامي.

(١٣) **اسلمة الديمقراطية –حقيقة ام وهم؟ دراسة نقدية**، محمد شاكر الشريف، ط: الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار طيبة للنشر والتوزيع.

(١٤) **اسلام المجددين**، محمد حمزة، دار الطليعة بيروت، ط: الأولى ٢٠٠٧م.

(١٥) **اشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر. جدلية الاندماج والتنوع**، د.حسام الدين علي مجيد. مركز دراسات الوحدة العربية، ط: الأولى ٢٠١٠م.

(١٦) **الإصلاح الديمقراطي في الوطن العربي بين القرار الوطني والفوضى البناءة**، تأليف:عبدالقادر رزيق المخادمي، الناشر: دار الفجر للنشر والتوزيع ط: الأولى ٢٠٠٧م.

(١٧) **الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي**، د. راشد سعيد شهوان، دار النحوي للنشر والتوزيع ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(١٨) **أصول المعرفة والمنهج العقلي**، د. أيمن المصري، ط: الأولى ٢٠١٠م الناشر المركز الثقافي العربي.

(١٩) **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، محمد الطاهر بن عاشور، ط: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، دار النفائس – الأردن.

(٢٠) **الإلحاد في الغرب**، د. رمسيس عوض، ط: الأولى ١٩٩٧م، مؤسسة الانتشار العربي.

(٢١) **آلام العقل الغربي**، ريتشارد تارناس، ط: الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م الناشر: العبيكان.

(٢٢) **الانفتاح الفكري حقيقته وضوابطه**، د. عبدالرحيم بن صمايل السلمي، ط: الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م، مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

(٢٣) **الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون**، تأليف: كحيل مصطفى، ط: الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م منشورات الإختلاف.

(٢٤) **الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة**، علي بن بخيت الزهراني، دار صفية، ط: الثانية ١٤١٨هـ.

(٢٥) **الإنسان بين المادية والإسلام**، محمد قطب، ط: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، دار الشروق.

(٢٦) **إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم**، محمد بن صالح العلي، دار الأندلس الخضراء جدة ١٤١٥هـ.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

(٢٧) **أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة والمعاصرة**، د. عبدالمجيد نعنعي، الناشر: دار النهضة العربية.

(٢٨) **أوروبا في مطلع العصور الحديثة**، تأليف: د. عبدالعزيز محمد الشناوي، ط: الرابعة ١٩٨٢ م مكتبة الإنجليز المصرية.

(٢٩) **التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا**، تأليف د. عبدالحميد البطريق و د. عبدالعزيز نوار، ط: دار النهضة العربية.

(٣٠) **التاريخ الأوربي الحديث المعاصر حتى الحرب العالمية الأولى**، د: جلال يحى، الناشر: الكتاب الجامعي الحديث الإسكندرية.

(٣١) **التجديد في الفكر الإسلامي**، د. عدنان محمد أسامة دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ط: الأولى ١٤٢٤هـ.

(٣٢) **التحولات الفكرية للعولمة**، د. توفيق مجاهد الصالحي، ط: الأولى ٢٠١٠م الناشر: الهيئه العامة للكتاب.

(٣٣) **التراث والحداثة دراسات ومناقشات**، د. محمد عابد الجابري، ط: الثالثة. مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٦م.

(٣٤) **التسامح**، د: عصام عبدالله، الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي.

(٣٥) **التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة**، سور رحمن هدايات، ط: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، دار السلام للطباعة والنشر.

(٣٦) **التعددية العقائدية وموقف الإسلام منها**، يوسف محمد القحطاني، دار التدمرية ط: الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

(٣٧) **التيارات الفكرية المعاصرة والحملة على الإسلام**، د. محمد شيخاني، دار قتيبة ط: الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٣٨) **التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد**، تأليف: منى محمد بهي الدين الشافعي، ط: الأولى ١٤٢٩هـ - دار اليسر.

(٣٩) **تاريخ الفلسفة الحديثة**، يوسف كرم، الناشر: مكتبة الثقافة العربية، ط: الأولى ١٤٣٠هـ.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧..
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

(٤٠) **تاريخ الكتاب المقدس**، كارين ارمسترونج، ترجمة: د. محمد صفار، ط: الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م مكتبة الشروق الدوليين.

(٤١) **تأسيس الحرية مقدمة إلى أصوليات الإنسان**، د.عزت قرني، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ٢٠٠١م.

(٤٢) **تكوين العقل الحديث**، جون هرمان راندال، ط: الثانية. دار الثقافة بيروت.

(٤٣) **تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف**، محمد بن شاكر الشريف، ط: الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م مجلة البيان.

(٤٤) **تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة**،عبدالجليل أبو المجد وعبدالعالي حارث، ط: ٢٠١١م أفريقيا الشرق.

(٤٥) **تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر**، د. احمد بن محمد اللهيب، ط: الأولى مجلة البيان ١٤٣٢هـ.

(٤٦) **تشكيل العقل الحديث**، كرين برينتون، ترجمة: شوقي جلال، عالم المعرفة ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

(٤٧) **تطور الفكر السياسي من الاشتراكية إلى الليبرالية الجديدة**، د. عدنان السيد حسين، دار أمواج للنشر والتوزيع، ط: الأولى ٢٠٠٢م.

(٤٨) **تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة. دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السلف**، د.عفاف بنت حسن محمد مختار، ط: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

(٤٩) **جدل الثابت والمتغير في النقد العربي الحديث**، د. عبدالملك بو منجل، ط: الأولى ١٤٣١هـ، عالم الكتب الحديث - الأردن - ٢٠١٠م.

(٥٠) **الحداثة وما بعد الحداثة في فلسفة ريتشارد رودني**، محمد جديدي، ط: الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨ م منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم.

(٥١) **الحداثة في فكر محمد أركون**، فارح مسرحي، ط: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م منشورات الإختلاف.

(٥٢) **الحريات العامة في الدولة الإسلامية**، راشد الغنوشي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط: الأولى ١٩٩٣م.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

(٥٣) **الحق العربي في الإختلاف الفلسفي**، طه عبدالرحمن، ط: الأولى ٢٠٠٢م، الناشر: المركز الثقافي العربي الدار البيضاء بالمغرب.

(٥٤) **حقوق الإنسان وحرياته**، د. علي محمد الدباس و د. علي عليان أبو زيد، دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٤٣٠هـ.

(٥٥) **حقوق الإنسان**، د.سهيل حسين الفتلاوي، ط: الأولى. الناشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٤٣٠هـ.

(٥٦) **حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها**، د. عبدالرحيم بن صمايل السلمي،ط: الأولى ١٤٣٠هـ. مركز التأصيل للدراسات والبحوث ٢٠٠٩م

(٥٧) **حقيقة البدعة وأحكامها**، سعيد بن ناصر الغامدي، ط: الرابعة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، الناشر: مكتبة الرشد الرياض.

(٥٨) **حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل**، تأليف: د. موسى إبراهيم الإبراهيم، ط: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م. دار الإعلام.

(٥٩) **حول تطبيق الشريعة**، محمد قطب، مكتبة السنة ط: الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٦٠) **حوار الحضارات. إشكالية التصادم. وآفاق الحوار**، عطية فتحي الويشي، ط: الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م. مكتبة المنار الإسلامية.

(٦١) **الخوف من حكم الإسلاميين عن الدولة المدنية والحريات والمواطنة وتطبيق الشريعة**، عصام تليمة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت. ط: الأولى ٢٠١٣هـ.

(٦٢) **خطابنا الإسلامي في عصر العولمة**، يوسف القرضاوي، ط: الثانية ٢٠٠٨م دار الشروق.

(٦٣) **الدين**، د. محمد عبدالله دراز، الناشر: دار القلم، ط: الثانية١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(٦٤) **الديمقراطية في ميزان العقل والشرع**، د. نايف معروف، ط: الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

(٦٥) **الديمقراطية والعلمانية في التجربة الغربية رؤية إسلامية**، منير شفيق، ط: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١ المركز المغاربي للبحوث والترجمة.

(٦٦) **دراسات معرفية في الحداثة الغربية**. د. عبدالوهاب المسيري. ط: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. مكتبة الشروق الدولية.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الغامدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

(٦٧) **دراسات في التسامح**، ناجي البكوش وآخرين، إصدار المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ١٩٩٥م.

(٦٨) **درجات المعرفة بين الدين والفلسفة والعلم**، د. محمد مصطفى بيومي. الناشر: دار الفكر الجامعي. ط: الأولى ٢٠١٠م.

(٦٩) **دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة**، د.هاني يحيى نصري، ط: الأولى ١٤٢٢هـ. الناشر: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

(٧٠) **دعوة التقريب بين الأديان**. د. أحمد القاضي. دار ابن الجوزي. السعودية. ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

(٧١) **رحلة عقل. هكذا يقود العلم أشرس الملاحدة إلى الإيمان**، د. عمرو شريف، ط: الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠١٠ م الناشر: مكتبة الشروق الدولية.

(٧٢) **رسالة في التسامح**، جون لوك. ترجمة: عبدالرحمن بدوي، ط: الأولى ١٩٨٨م. الناشر: دار الغرب الإسلامي.

(٧٣) **السلفية وقضايا العصر**، د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي، ط: الأولى ١٤١٨هـ، دار اشبيليا للنشر والتوزيع.

(٧٤) **سقوط العلمانية**، أنور الجندي، الناشر: دار الكتاب المصري ١٩٩٠م.

(٧٥) **الصحوة الإسلامية في ميزان العقل**، د. فؤاد زكريا، ط: الأولى ٢٠٠٦م دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

(٧٦) **صحيح البخاري**، لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٣هـ.

(٧٧) **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

(٧٨) **ضوابط استعمال المصطلحات العقدية والفكرية عند أهل السنة والجماعة**، د. سعود بن سعد العتيبي، ط: الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩ م، مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

(٧٩) **طه عبدالرحمن ونقد الحداثة**، بو زبرة عبدالسلام، ط: الأولى ٢٠١١م الناشر: جداول للنشر والتوزيع.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧..
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

(٨٠) **العلمانيون والقرآن الكريم -تاريخية النص-** د. احمد ادريس الطعان، ط: الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧ م، دار ابن حزم للنشر والتوزيع.

(٨١) **العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة**، د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، دار العلماء للنشر والتوزيع.

(٨٢) **العلمانية والحداثة والعولمة**، د. عبدالوهاب المسيري، ط: الثانية ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م.

(٨٣) **العلم والدين في الفلسفة المعاصرة**، تأليف: إميل بوترو، ترجمة: د. احمد فؤاد، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

(٨٤) **علم الأديان مساهمة في التأسيس**، ميشال مسلان. ترجمة: عز الدين عناية، الناشر: المركز الثقافي العربي في الدار البيضاء، ط: الأولى ٢٠٠٩م.

(٨٥) **الفكر الإسلامي نقد واجتهاد**، محمد أركون، دار الساقي، ط: الثالثة ١٩٩٨م.

(٨٦) **الفلسفة الحديثة عرض ونقد**، د. احمد السيد رمضان، الناشر: الفيصلية ٢٠٠٥م.

(٨٧) **الفلسفة الحديثة**، د. أمل مبروك، الناشر: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠١١م-

(٨٨) **الفلسفة التطبيقية**، د. مصطفى النشار، سنة النشر:٢٠٠٥م، الناشر: الدار المصرية السعودية.

(٨٩) **الفلسفة والنزعة الإنسانية الفكر البرجماتي نموذجاً**، د. محمد عبدالحفيظ، الناشر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط: الأولى ٢٠٠٦م.

(٩٠) **الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم**، د.إبراهيم مصطفى إبراهيم، ط: الأولى ٢٠٠١م، الناشر: دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر.

(٩١) **فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المؤلف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط : دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ**

(٩٢) **فضاءات الحرية. بحث في مفهوم الحرية في الإسلام وفلسفتها وأبعادها وحدودها**، سلطان عبدالرحمن العميري. المركز العربي للدراسات الإنسانية.

(٩٣) **فلسفة التقدم. دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفاعلة في التاريخ**، د. حسن محمد الكحلاني. الناشر: مكتبة مدبولي ٢٠٠٣ م

(٩٤) **فلسفة الدين عند جوزايا رويس**، د.أحمد الأنصاري، مركز الكتاب للنشر. ط: الأولى ٢٠٠٤م.

ماجستير_ عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

(٩٥) **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م ط: الخامسة والثلاثون.

(٩٦) **في فلسفة الحضارة اليونانية - الإسلامية - الغربية**، د. أحمد محمود صبحي و د. صفاء عبدالسلام جعفر، ط: الأولى ٢٠٠٦م. الناشر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

(٩٧) **القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي مقدمات في الخطاب والمنهج**، عبدالولي الشلفي، ط: الأولى بيروت ٢٠١٣م، مركز نماء للبحوث والدراسات.

(٩٨) **قراءة النص الديني عند محمد أركون**، عبدالمجيد خليقي. منتدى المعارف. ط: الأولى ٢٠١٠م.

(٩٩) **قصة الإضطهاد الديني في المسيحية أو الإسلام**، د. توفيق الطويل، ط: الأولى ١٤١٢هـ، الناشر: الزهراء للإعلام العربي.

(١٠٠) **قصة الفلسفة الغربية**، د. يحيى هويدي، الناشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة.

(١٠١) **قصة الفلسفة الحديثة**، زكي نجيب محمود، القاهرة. لجنة التأليف والترجمة ١٣٥٥هـ.

(١٠٢) **قصة النزاع بين الدين والفلسفة**، د.توفيق الطويل، ط:الثانية. الناشر: مكتبة مصر.

(١٠٣) **قصة الحضارة: ول ديورانت**، الناشر: دار الجبل للطبع والنشر.

(١٠٤) **قضايا في نقد العقل الديني. كيف نفهم الإسلام اليوم**، محمد أركون. ترجمة وتعليق: هاشم صالح. دار الطليعة للطباعة والنشر. ط: الرابعة. بيروت.

(١٠٥) **قضايا في الفكر المعاصر**، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط: الأولى ١٩٩٧م بيروت.

(١٠٦) **قضية التنوير في العالم الإسلامي**، محمد قطب، دار الشروق. ط: الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(١٠٧) **لا ديمقراطية في الشورى**، د. فريال مهنا، دار الفكر بدمشق، ط: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(١٠٨) **لسان العرب**، ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور المصري، الناشر: دار صادر بيروت، ط: الأولى.

(١٠٩) **المبادئ الأساسية للنظر السياسية وأنظمة الحكم المعاصرة**، د. سعيد السيد علي، دار الكتب الحديث ١٤٢٨هـ.

(١١٠) **المسيحية**، د.احمد شلبي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط: الحادية عشر.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة.. الصورة النهائية) ٠٧-١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

(١١١) **المستشرقون. ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسة وتطبيقاً**، تأليف: د. عابد محمد السفياني ، ط: الأولى ١٤٠٨هـ، دار الفرقان.

(١١٢) **مستدرك الحاكم**: لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ

(١١٣) **المشاركة في البرلمان والوزارة – عرض ونقد –**، تأليف: محمد بن شاكر الشريف، سلسلة كتاب البيان.

(١١٤) **المعرفي والأيديولوجي في الفكر العربي المعاصر**، لمجموعة باحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، ط: الأولى ٢٠١٠م.

(١١٥) **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية**، تأليف: جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني بيروت.

(١١٦) **الملخص الفقهي**، د. صالح بن فوزان آل فوزان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ.

(١١٧) **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، محمد بن عبدالله الجلعود، ط: الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار اليقين للنشر والتوزيع.

(١١٨) **ما الفلسفة**، د. ابراهيم محمد تركي، ط: الأولى ٢٠٠٦ م دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

(١١٩) **ما هي الفلسفة**، د. حسين علي. ط: ٢٠١١م، الناشر: التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

(١٢٠) **ما بعد الحداثة والتنوير. موقف الإنطولوجيا التاريخية. دراسة نقدية**، د. الزواوي بغوره، ط: الأولى ٢٠٠٦م. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت.

(١٢١) **ماهي الديمقراطية. حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية**، آلان تورين. ترجمة: حسن قبيسي. دار الساقي. ط: الثانية ٢٠٠١م.

(١٢٢) **مباحث في التنوير موجودا ومنشورا**، صالح مصباح، ط: الأولى ٢٠١١م جداول للنشر والتوزيع.

(١٢٣) **مجلة الجمعية الفلسفية المصرية**، ط: الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م

(١٢٤) **مجلة التسامح**، العدد رقم ١١، علي أسعد وطفة.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧-١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

(١٢٥) **مجلة التسامح**، العدد رقم ٥، د. عاطف علبي.

(١٢٦) **محمد أركون مفكرا**، مجموعة باحثين، ط: الأولى ٢٠٠٩م. دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.

(١٢٧) **محاضرات في نظرية الحريات العامة**، حسن ملحم، الناشر: ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

(١٢٨) **مخاضات الحداثة التنويرية. القطيعة الابستمولوجية في الفكر والحياة**، هاشم صالح، ط: الأولى ٢٠٠٨م. دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت.

(١٢٩) **مدخل إلى الفلسفة**، د. أحمد السيد رمضان، ط: الثانية ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. الناشر: الفيصلية.

(١٣٠) **مدخل إلى التنوير الأوروبي**، هاشم صالح، دار الطليعة. ط: ٢٠٠٥م.

(١٣١) **مذاهب فكرية معاصرة**، محمد قطب، دار الشروق. ط: السادسة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(١٣٢) **مدخل جديد إلى الفلسفة**، د.عبدالرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات. ط: الأولى ١٩٧٢م.

(١٣٣) **مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام**، د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي، مكتبة المؤيد، ط: الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(١٣٤) **معارك التنويريين والأصوليين في أوروبا**، هاشم صالح، دار الساقي. ط: الأولى ٢٠١٠م.

(١٣٥) **معجم أعلام المورد**، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٩٢م.

(١٣٦) **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. المحقق: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر. ط: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(١٣٧) **مفهوم تجديد الدين**، بسطامي محمد سعيد، دار الدعوة. الكويت. ط: الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

(١٣٨) **مقاصد الشريعة الإسلامية**، محمد الطاهر بن عاشور، ط: الثانية ١٤٢١هـ-٢٠٠١م. دار النفائس للنشر والتوزيع.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

(١٣٩) **مقالات نقدية في الحداثة والعلمانية**، سعيد عبداللطيف فوده، ط: الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م. دار الفتح للدراسات والنشر.

(١٤٠) **ملاك الحقيقة**، مراد وهبة، ط: خاصة دار قباء.

(١٤١) **من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية**، د. محمد السيد الجليند، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.

(١٤٢) **من أجل نظرية إسلامية معاصرة في الفكر والحكم والسياسة**، سالم القمودي. ط: الأولى ٢٠٠٩م الانتشار العربي.

(١٤٣) **من أجل انطلاقة حضارية شاملة - أسس وأفكار في التراث والفكر والثقافة والإجتماع**، د. عبدالكريم بكار. دار القلم. دمشق. ط: الثالثة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(١٤٤) **من التراث إلى الاجتهاد. الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد**، زكي الميلاد، ط: الأولى ٢٠٠٤م، الناشر: المركز الثقافي العربي.

(١٤٥) **منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة**، د. نصر الدين مصباح القاضي، ط: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. دار الفكر العربي.

(١٤٦) **مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحديث**، د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي، ط: الأولى ١٤١٨هـ، مركز الدراسات والإعلام. دار اشبيليا.

(١٤٧) **مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة في العصر الحديث - مصر نموذجا**، د.أحمد قوشتي عبدالرحيم مخلوف، ط: الأولى ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م. مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

(١٤٨) **موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر**، د. مفيد الزيدي، الناشر: دار أسامة للنشر والتوزيع. ط: ٢٠٠٤م.

(١٤٩) **موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة والحديثة**، محمود شاكر، الناشر: دار أسامة للنشر والتوزيع.

(١٥٠) **موقف الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر من النص الشرعي**، د. سعد بن بجاد العتيبي، ط: الأولى ١٤٣١هـ. مركز الفكر المعاصر.

(١٥١) **موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين. دراسة تحليلية نقدية**، د. صالح محمد الدميجي، ط: الأولى. مجلة البيان ١٤٣٢هـ

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفايدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

(١٥٢) **موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية**، الأمين الصادق الأمين. ط: الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨ م مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. الرياض.

(١٥٣) **موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم** ﷺ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع. ط: الثالثة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(١٥٤) **موسوعة تاريخ أوروبا العام**، فرنسوا جورج دريفوس. ترجمة: حسين حيدر، منشورات عويدات. بيروت. باريس.

(١٥٥) **موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر**، د. مفيد الزيدي، دار أسامة للنشر والطباعة.

(١٥٦) **النخبة والحرية تونس. في الثلث الأول من القرن العشرين**، د. جمال الدين دراويل، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ١٤٣٢هـ.

(١٥٧) **النظام السياسي في الإسلام**، أ. د. نعمان عبدالرازق السامرائي، ط: الثانية ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(١٥٨) **النظام العام للدولة المسلمة**، د. عبدالله سهل العتيبي، ط: الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع.

(١٥٩) **نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية**، محمد أركون، دار الساقي. بيروت. ط:الأولى ٢٠١١م.

(١٦٠) **نظرية المعرفة والواقع التربوي العربي المعاصر**، د. محمد عوض الترتوري، ط: الأولى ٢٠١٠ م الأهلية للنشر والتوزيع.

(١٦١) **نظام الإسلام الحكم والدولة**، محمد المبارك، ط: دار الفكر. ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(١٦٢) **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، د. راجح عبدالحميد الكردي، مكتبة المؤيد. ط: الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(١٦٣) **نظرية السيادة**، د. صلاح الصاوي، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، ط: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

(١٦٤) **نقد النص**، علي حرب، ط: الرابعة ٢٠٠٥ م الناشر: المركز الثقافي العربي.

(١٦٥) **نقد التسامح الليبرالي**، أ.د. محمد بن أحمد مفتي. ط: مجلة البيان ١٤٣١هـ

(١٦٦) **نقض الجذور الفكرية للديمقراطية الغربية**، أ د. محمد أحمد مفتي، ط: الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م صادرة عن المنتدى الإسلامي.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

(١٦٧) **نهج الاعتزال في الاتجاهات الفكرية المعاصرة**، ظافر سعيد شرقه، ط: الأولى ١٤٣٣هـ. دار الوعي للنشر ومركز الفكر المعاصر.

(١٦٨) **الهوية العربية فجوة الأدلجة والواقع**، لطفي المرايحي، ط: الأولى. جانفي ٢٠١١م.

(١٦٩) **وسطية الإسلام في سماحة الدين وتسامحه**، د.محمد أحمد الصالح، ط: الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م دار عالم الكتب للطباعة والنشر بالرياض.

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
ملخص الرسالة	٣
Summary	٤
المقدمـــــــة	٥
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	٨
الدراسات السابقة	٨
خطـــــة البحـــــث	١٠
منهـــج البحـــث	١١
شكر وتقدير	١٢
التمهيـد : التسامـح في الإســـلام	١٣
تعريف التسامح في الإسلام	١٥
أسس التسامح في الإسلام	١٧
أهداف التسامح المحمود في الإسلام	٢٠
الفصل الأول : حقيقة التسامح الديني في الفكر الغربي	٢٣
المبحث الأول: المقصود بالتسامح الديني في الفكر الغربي	٢٥
- تعريف التسامح في الفكر الغربي	٢٥
- تعريف كلمة الدين في الفكر الغربي	٢٧
- تعريف التسامح الديني ومدلوله في الفكر الغربي	٢٨
المبحث الثاني: منهج التسامح الديني في الفكر الغربي	٣١
- الفرق بين الدين والفلسفة في الغرب	٣٢

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
الفصل الثاني: نشأة التسامح الديني في العالم الغربي وأسباب نجاحه	٣٧
المبحث الأول: نشأة التسامح الديني في العالم الغربي	٣٩
- أوروبا في عصر النهضة	٤٤
- ظهور التسامح الديني	٥٢
المبحث الثاني: أسباب نجاح التسامح الديني في العالم الغربي	٥٦
- السبب الأول: المذهب الإنساني	٥٧
- السبب الثاني: المذهب الشكي	٦١
- السبب الثالث: المذهب العقلي	٦٧
- مقومات التنوير الأساسية	٧٠
الفصل الثالث: أسس التسامح الديني في العالم في الغربي	٧٤
التمهيـــد	٧٦
المبحث الأول: الحداثـــة	٧٨
- ما بعد الحداثة	٨١
المبحث الثاني: البراجماتيـــة	٨٥
- تقريرات المنهج البراجماتي	٨٦
- انتقادات للبراجماتية	٨٨
المبحث الثالث: الديمقراطية الليبرالية	٩٢
- منطلقات الديمقراطية	٩٤
- الفكر الليبرالي في الديمقراطية الغربية	٩٧
- أسس الليبرالية	١٠٠

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
الفصل الرابع: واقع التسامح الديني في العالم الغربي	١٠٤
المبحث الأول: حرية الاعتقاد (أو ما يسمى بالحرية الدينية)	١٠٦
المبحث الثاني: إحيـاء العمـل النقـدي	١١٠
المبحث الثالث: تقديـس العقــل	١١٥
المبحث الرابع: إحياء النزعة الإنسانية	١١٩
المبحث الخامس: مواجهـة الأصوليــة	١٢٢
- التسامح الديني المعاصر	١٢٣
الفصل الخامس: انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي (الأسباب - المظاهر - المآلات)	١٢٨
التمهيـــد	١٣٠
المبحث الأول: أسباب انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي	١٣١
١- الضعف والانحطاط في الأمة الإسلامية وتأخرهم عن تقديم الإسلام	١٣١
٢- الجهل بالكتاب والسنة وفقدان الفهم الصحيح للإسلام	١٣٤
٣- الاستشـــــــراق	١٣٧
المبحث الثاني: مظاهر انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي	١٤١
١- إشاعة النزعة الإنسانية	١٤١
٢- انتشار الفكر الفلسفي الغربي	١٤٦
٣- نسبية الحقيقة	١٥١
٤- القطيعة مع الماضي	١٥٦

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٠٠٧
١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani

الموضـــــــــــــوع	الصفحة
المبحث الثالث: مآلات انتقال فكرة التسامح الديني بالمفهوم الغربي إلى العالم الإسلامي	١٦٤
١- إبراز الاتجاه العقلاني والتخلي عن مذهب السلف	١٦٤
- سمات الاتجاه العقلاني	١٦٥
- مصادر التلقي عند أصحاب الاتجاه العقلاني	١٦٦
- أسباب اشتغال القراء المعاصرين بالمنازعة في حجية السنة	١٧٢
- أسباب الموقف السلبي لأصحاب الاتجاه العقلاني لمذهب السلف	١٧٥
- أوجه الشبه الكبيرة بين المدرسة العقلية الحديثة وبين المعتزلة	١٧٧
- الركائز الأساسية للمدرسة العقلية الحديثة	١٧٨
- مصادر المعرفةن الأصلية في الإسلام	١٧٨
٢- الانفتاح الفكري المُطلق على الأمم الأخرى	١٨١
٣- الدعوة إلى التجديد بلا قيد ولا شرط	١٨٣
٤- المجاهرة بالآراء التي تخالف أصول الدين وقطعياته	١٨٦
٥- نفي حاكمية الشريعة وسيادتها	١٨٩
- الموقف من التسامح الديني بمفهومه الغربي المعاصر	١٩٣
الخاتمـــــة	١٩٧
الفهـــــارس	٢٠٣
فهرس المصادر والمراجع	٢٠٤
فهرس الموضوعات	٢١٧

ماجستير_عبدالرحمن أحمد الفاسدي (كامل الرسالة .. الصورة النهائية) ٢٠٠٧ ١٤٣٦/٠٦/٢٩
Ali Fattani